ساعدت وزارة المعارف على نشره

البيتوشي

تأليف

محمد الخال

قاضي السليمانية

مطبعة المعارف ـ بغداد

١٣٧٧ هـ ـ ١٩٥٨ م

الثمن ٥٠٠ فلس

تقـــديم

في صيف عام ١٩٥٣ ميلادية سافرت إلى الألوية الشمالية لغرض تفتيش محاكمها ، ولما أن فرغت من تفتيش محاكم الموصل وأربيل وكركوك عرجت إلى السليمانية ، وفي أثناء تفتيش محاكمها ، وجدت القاضي لمحكمة شرعيتها السيد محمد الخال من الأفاضل ، والادباء الأماثل ، وقد أضاف إلى علمه الجم في الأحكام الشرعيـــة توغله في الأدب والتاريخ والعلوم الأخرى ، فأصبح فيها مثالاً يحتذى ، وقد فهمت منه أنه قد ترجم للعلامة المفضال « الشيخ عبد الله البيتوشي الشهير » وألف بذلك كتاباً فرجوته أن يطلعني عليه وقد وفى بوعده وأرسله إليّ عصر ذلك اليوم ، ولما كان بقائي في السليمانية منحصراً في يوم واحد وليلة واحدة باشرت بقراءة الترجمة ليلاً ولم انم حتى أتيت على آخرها ووعدت القاضي بأنني سأسعى لطبع هذه الترجمة القيمة وعدت إلى بغداد .
وفي هذه السنة كلمت معالي الاستاذ السيد منير القاضي وزير معارف العراق حالياً عن الكتاب فرحّب به ووعد بالمساعدة لطبعه ، وها انني اكتب هذه الكلمة مقدماً الكتاب إلى القراء الأكارم .

* * *

لقد تناول المؤلف المترجم له عليه الرحمة فبين نسبه وموطنه وبيته وبيئته ، ومولده ، ونشأته ، ودراساته وشيوخه وتلامذته ، وزواجه ورحلاته ، وفقره ، وقناعته ، وأخـــلاقه ، وايمانه ووفاته . ثم تطرق إلى علمه وثقافته وأدبه ، وقوة شاعريته ونثره ومراسلاته الأدبية ، وتقاريظه والغازه ، وأحاجيه وعدد مؤلفاته ، ومحتوياتها ، وتراجم لمجموعة كبيرة من الأماثل والعلماء الأفاضل الذين ورد ذكرهم عرضاً في الترجمة ، وتطرق إلى بيان المدارس الدينية في كردستان ، ورحلاته إلى الاحساء مرة تلو الأخرى ، واتصاله بأمير الاحساء وعودته إلى البصرة واختياره السكنى فيها ، وكيفية وقوعه في الحصار عندما استولى

« صادق خان » الزندي على البصرة ، وتخلصه من الحصار ، واتصاله بعلماء البصرة وفضلائها ، ثم وفاته في البصرة ودفنه في مقبرة الحسن البصري في ناحية الزبير ، ورثاء علماء البصرة له .

واختتم الترجمة بخاتمة أنهى بها الكتاب .

ومن يتطلع في تعاريج هذه الفصول يجد المترجم له علماً شامخاً وعلماً وافراً ، وبحراً زاخراً ، ومقدرة فائقة ، وتضلعاً في اللغة العربية مالكاً زمامها ، متمكناً منها ، مسيطراً عليها بالرغم من كرديته .

وان أغرب ما في هذه الترجمة من الأدلة الواضحة على بعد غوره في بحر هذه اللغة قصيدته التي أظهر بها مقدرته اللغوية ، وتسلطه على مفرداتها ، وهي عبارة عن عشرة أبيات يتفرع منها سبع عشرة قصيدة ، وإحدى عشرة قطعة وكل قصيدة مؤلفة من عشرة أبيات وكل قطعة مؤلفة من خمسة أبيات وكل قصيدة من القصائد من بحر قائم بذاته مع الاحتفاظ بالموضوع وعدم تغييره بتنوع القصائد مع البراعة في الرقة ، والابداع في التركيب وروعة البيان ، وجودة المعنى ، وجزالة الألفاظ ، لم يسبق للناظم مثيل في هذه الطريقة لا في السابقين ولا في المحدثين ، فكان مفرداً في هذا الباب .

وان رسائله الأدبية لا تقل روعة عن منظومته فان نثره كاللؤلؤ المنظوم ، والدر المنثور فاق فيه على أقرانه ، وتجاوز من سبقه في الاعجاز ، والايجاز في محل الايجاز ، والاطناب في لزوم الاطناب . وأشهر هذه الرسائل رسالته التي أرسلها من الاحساء إلى بغداد للعلامة عبيد الله بن صبغة الله الحيدري والتي اشتهرت بين الادباء « بالرسالة العراقية » افتتحها بهذه الابيات الرقيقة :

إني أحنُّ إلى العراق ولم أكن　　لا من رصافته ولا من كرخه
لكن في بغداد لي من قربه　　أشهى إليَّ من الشباب وشرخه
بأبي الذي شوقي له شوق السقـــيم إلى الشفاء أو الظليم لفرخه

أو شوق أعرابيةٍ حنّت إلى أطلال نجدٍ - فارقته - ومرخه
قلبي أسير عنده وقف فقل إن لم يحلّ أساره فليرخه

إلى غير هذه الرسالة من القطع الفنية الرائعة .

لهذا فقد أصبح مؤلفه هذا فذاً في بابه نقدمه للقراء الكرام خدمة للادب والتأريخ ، وتخليداً لذكرى من يستحق التخليد من رجال العلم والأدب ، والله من وراء القصد .

ابراهيم الواعظ

رئيس هيأة التفتيش العدلي
في العراق

بغداد : ١٣ ربيع الأول سنة ١٣٧٦
١٨ تشرين الأول سنة ١٩٥٦

اهداء الكتاب

إلى العلماء والادباء الذين خدموا الاسلام ، والأدب العربي ، وضاعت تراجمهم ، وطوى الزمان أسماءهم وشهرتهم في مجاهله ، فأسدل عليهم ستائر النسيان ، فنسيت أحوالهم ، واهملت آثارهم .

محمد الخال

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد أن انبثق نور الاسلام ، وانتشر بين الشعوب والاقوام، ساهم كل منها بقسط وافر في نشر العلوم الاسلامية ، وخدمة اللغة القرآنية ، ولقح كل واحد منها الأدب العربي بلقاحه الخاص . ومن تلك الشعوب المسلمة التي سجل لها التأريخ بمداد من ذهب على صفحات الكون جهوداً فائقة في سبيل خدمة الدين والثقافة الاسلامية والأدب العربي ، الشعب الكردي النبيل الذي آمن من اعماق قلبه وصميم فؤاده ، والذي لقح الحضارة العربية ، والأدب العربي بلقاحه وأفكاره السامية ، وأساليبه الرفيعة ، وإن ما قدمه هذا الشعب في مختلف أدوار التاريخ الاسلامي ، من الخدمات العلمية العظيمة الخالدة ، لأمر واضح جلي لكل ذي بصيرة في التأريخ الاسلامي ، ولقد نبغ من أبنائه علماء وادباء يفوقون الحصر والعد كانت لهم أياد بيض ناصعة في دعم الثقافة العربية ، وتدوين علومها وآدابها ، وضبط احكام لغتها ، وكشف النقاب عن أسرارها ، وكانت ـ ولا تزال آثارهم العربية ، ونتائجهم الفكرية ، ومؤلفاتهم العلمية ، في مختلف العلوم والفنون الاسلامية ـ تدرس في مدارس العواصم والحواضر الاسلامية ، وكان علماء الاكراد الى عهد قريب ركناً ركيناً في بناء الحضارة الاسلامية .

ومن هؤلاء العلماء والادباء الأفذاذ الذين خدموا الأدب العربي والعلوم القرآنية بأدبهم الغزير ، وعلمهم الزاخر ، إمامنا العلامة (البيتوشي) في القرن الثاني عشر ، وأوائل القرن الثالث عشر الهجري .

لقد قرأت لأول مرة ـ وانا في بكرة الشباب ـ منظومته : (الكفاية) عند أستاذي المرحوم (الشيخ جلال القرداغي) ، حتى اذا وصلت الى هذين البيتين من مقدمتها :

أغربتُ في انشائها إغرابا ... فهي تجلَّتْ عُرُباً أترابا
يُحدى بها في الدوِّ للأيانقِ ... وتمتري دموعَ كلِ وامقِ

إهتزت لسماعها مشاعري ، وتكهربت بتيارها أعصابي ، ولما قرأت الباب الأول من المنظومة المذكورة ، فاذا هو مسائل علمية في غاية الاتقان ، واشعار غرامية كأنهن اللؤلؤ والمرجان ، في نحور خيرات حسان ، فاستهوتني المنظومة ، فما تركتها حتى درستها كلها ، واستظهرتها ، فحبب الي الشعر ، وأحببت (البيتوشي) منذ ذلك العهد ، وصرت أتتبع آثاره وأشعاره ، في زوايا المكتبات بكردستان، ولم أزل في جهد جهيد ، وسعي حثيث مستمر ، حتى وفقت - والحمد لله - للعثور على بعض منظوماته العلمية ، ومؤلفاته الجليلة ، وعلى نزر يسير من قصائده وأشعاره ، وأخبار أسفاره ، ورحلاته مع تواريخها ، وعلى بعض تقاريضه النثرية والنظمية ، مع بعض رسائله الأدبية وأن ما عثرت عليه كان شيئاً قليلا بالنسبة إلى آثار (البيتوشي) ، إلا أنني بالرغم من ذلك عزمت على أن أكتب شيئاً عنه ، ولكن الشعور بالعجز كان يكتنفني كلما رمت ذلك اذ أكاد اوقن بأنه ليس باستطاعة أحد أن يكتب حياة (البيتوشي) إلا هو نفسه ، ذلك لأنها محفوفة بالغموض ، اذ أنه عاش غريباً ومات غريباً قبل مائة وستين سنة في مدينة (البصرة) ، بعيداً عن أقاربه وذويه ، وعن أحبته وأصدقائه المعنيين بشؤونه .

فالبيتوشي وان كان أعجوبة زمانه إلا أن العلماء والكتاب ضنوا عليه بالترجمة فلم يكن منهم - مع مزيد الأسف - من قدم لنا صورة عن حياته ، أو مجموعة من أشعاره ، أو نبذة من أخباره ورحلاته ، اللهم الا ما نصادفه مكتوباً في صلب الكتب الخطية القديمة ، أو في ثناياها وحواشيها التي كانت موجودة في مكتبة (البيتوشي) نفسه ، وقد تفرقت وتمزقت اذ وقع كل كتاب بل كل ورقة منها في زاوية مهجورة من الزوايا ، نعم انى عثرت على بعض آثار (البيتوشي) ومخطوطاته ولكن بعد عناء وتعب شديدين .

ليس لي في هذا الكتاب إبداع أو ابتكار افتخر به ، أو كتابة ادبية ذات روعة اباهي بها ، ولكن لي شيئاً واحداً هو بذل ما في الطاقة من الجهد الجاهد لجمع ما امكن جمعه من آثاره ، ولم شتات صفحات حياته التي تفرقت في بطون الكتب القديمة وتبعثرت في حواشيها وذلك خدمة للتأريخ والأدب ، فكم من مكتبة تصفحت كتبها ؟! وأسفار قاسيتها ؟!! وطرق وعرة سلكتها ؟ !! وذلك للوقوف على شعر من أشعاره ، أو قطعة أدبية من آدابه ، أو لضبط تأريخ يتعلق بناحية من نواحي حياته ، أوغير ذلك ، إلى أن جمعت هذه الوريقات ، فانقذت بتلك المساعي البقية الباقية من آثاره المبعثرة ، واشعاره المتفرقة ، ومنظوماته العلمية ، من براثن الضياع والتلف ، بل أحييتها وبعثتها من مرقدها ، فالمخطوطات القديمة وما سجل في متونها وحواشيها بخط (البيتوشي) نفسه ، أو بخطوط تلاميذه ومحبيه الثقات المعجبين بعلمه وأدبه ، هي وحدها مصادر بحثي ، ومنابع تأليفي لهذا الكتاب ، فان وفقت لما يرضيك أيها القاري الكريم ! فهو غاية آمالي ، ومنتهى أماني ، والا فمعذرة مني اليك ، ولو انصفت لم تلم .

فما ظنك بمن ذهب من السليمانية في شمالي العراق الى البصرة والزبير في أقصى جنوبيه وقطع مئات الأميال لتحري مكتبة باش أعيان وغيرها ؟!!

ان آثار (البيتوشي) وأشعاره ، وتآليفه ، ومنظوماته العلمية ، قد تفرقت ، وتبعثرت في زوايا المكتبات بالحجاز ونجد والعراق وايران ، وان مثل هذا البحث لا يمكن أن يكون كاملا ما لم يتوغل المرء في تلك البلاد ومكتباتها ، وان الحدود السياسية بين الحكومات المذكورة حالت دون ذلك ، إلا أن لي كبير الأمل بالقراء الكرام أن لا يبخلوا علينا بارسال مالديهم من المعلومات حول هذا الموضوع ، لكي نضيفها الى كتابنا هذا في الطبعة الثانية انشاء الله .

ولا يغرب عن البال أن الذي عثرنا عليه أثناء التحري من أشعاره ، ورسائله بين المكتبات ، أو ارسلت صورته الينا كان اكثره محرفا مضطرب

الشكل والضبط لم يحسن كاتبوه النقل عن النسخة التي نسخوا عنها ، ولعلها كانت محرفة أيضاً ، فوقع تحريف على تحريف ، شأن كثير من الكتب التي ينسخها كاتب غير متضلع من الأدب العربي ، فحاولت تصحيحها بقدر الطاقة ، ولا اقصد بذلك شيئاً سوى الاعتذار عما قد يجده القارىء الكريم من النقص أو الخطأ ، وما العصمة إلا لله .

ان هذا الكتاب وان كان ترجمة لحياة (البيتوشي) إلا انه في الوقت ذاته ديوان لما عثرت عليه من أشعاره ، وقصائده في زوايا المكتبات ، وسجل لآثاره الأدبية مع شروح لنا مختصرة وتعليقات مفيدة ، وارجو أن لا يصمني القارىء بشيء من التنطع إذا وجدني قد كتبت معنى الكلمة سهلة أوجملة واضحة لا تحتاج الى توضيح أو بيان ، لأن غرضي من ذلك تعميم الفائدة ، وبخاصة لاخواننا الاكراد .

كان (البيتوشي) عالماً متبحراً ، ولغويا بارعا ، وشاعراً مجيداً ، وأديباً كبيراً ، وكاتباً ماهراً وخطاطاً باهراً ، وكان مع ذلك إماماً كبيراً في العلوم الاسلامية ، حتى أمكنته من قيادها ، وألقت اليه مقاليد أسرارها ، وله منظومات علمية ، وتآليف قيمة ، تشهد بعبقريته .

وفي حياة البيتوشي نواح عـدة حافلة بالمتعة والمرح مليئة بالاعاجيب والابتكار ، والحيوية الفياضة ، والطموح والمغامرات وركوب الاخطار ، وتحمل المشاق والمتاعب والتبصر النافذ الى الحقيقة ، ونقد الاحوال الاجتماعيـة والتشكي منها .

رحم الله (البيتوشي) لقد عاش ثمانين سنة لخدمة العلم والدين والادب .

نتضرع الى المولى أن يوفقنا لكتابة حياة العلامة (الشـيخ معروف) النودهي الكردي رحمه الله ، كما وفقنا لكتابة حياة البيتوشي وحياة (المفتي الزهاوي) رحمهم الله .

وهأنذا كـكردي اعترف بقصر باعي ، وقلة متاعي في الكتابة الادبية بالغة العربية فان وجـــد القارىء ما ينبو عنه الذوق أو تستثقله السليقة فيما سطره يراعي فاني اعتذر بما اعتذر به البيتوشي نفسه في آخر منظومته (الـكفاية) حيث قال :

وان تجد شيئاً خلاف الأدب فالطبع كردي وهذا عربي

لا أنسى شكر الاستاذين الجليلين اللذين قاما بتصحيح الـكتاب وتنقيحه ، وهما السيد رشيد الخطيب والسيد محمود الملاح حفظهما الله .

السليمانية محمد الخال

القسم الاول

---

١ — البيتوشي نسبه وموطنه .

٢ — بيته

٣ — مولده ، ونشأته ، ورحلاته ، وزواجه ، ووفاته .

٤ — علمه ، وثقافته ، وأدبه .

٥ — فقره وقناعته .

٦ — ايمانه ، ووفاؤه .

٧ — شعره وشاعريته .

٨ — نثره .

٩ — مؤلفاته .

١٠ — ألغازه وأحاجيه .

البيتوشي

نسبه ، وموطنه

شاءت الأقدار أن تكتب الخلود لأسماء بعض الاماكن المهجورة ، فجادت عليها بعلم من أعلام العلم ، أو بقطب من أقطاب الأدب ، فنسب اليها ، فخلدت بخلوده ، فالبيتوشي خالد بعلمه ، وبيتوش مخلّدة به .

إن البيتوشي هو الشيخ عبدالله بن الشيخ محمد بن اسماعيل بن ابراهيم ابن عز الدين الشافعي الكردي ، الآلاني ، الخانخلي ، البيتوشي .

والكردي نسبة الى (كرد) وهم قوم من الأقوام (الآرية) ، والاكثرية الساحقة منهم تنتمي الى الأشعرية معتقداً ، والشافعية مذهباً ، وبينهم قليل من الحنفية ، كما ينتمي قسم قليل منهم الى الجعفرية ، واكثرهم في ايران .

والاكراد يسكنون في كردستان الممتدة من جبال (ارارات) بل من ولاية (أريفان) شمالاً الى (جبل حمرين) ، و (الاهواز) و (بندر بوشهر) جنوباً ، ومن (ملاطية) و (ارضروم) ، و (مرعش) غرباً إلى منتهى ولاية (أردلان) ، وولاية (بختياري) باصفهان شرقاً ، وهي تقع بين الدرجتين (٣٠ ، ٤٠) عرضاً والدرجتين (٣٧ ، ٥١) طولا .

وقد امتازت هذه البلاد بجمالها ، من أرض خضراء ، وسماء زرقاء ، وجبال شاهقة ، وأنهار رائقة ، ورياض باسمة ، وأشجار باسقة ، وثمار

يانعة ، ومراعي واسعة ، وأزهار فواحـــة ، وطيور مغرّدة ، فكانت ولا تزال من أجمل بقاع الشرق الاوسط ، مما يأخذ بالالباب ، ويسبَح في روعته الخيال .

و (الآلاني) نسبة الى ناحية (آلان) الايرانية المتاخمة لآلان العراقية و (آلان) هذه بقعة تابعة لقضاء (سردشت) طولها زهاء ثلاثين ميلا وعرضها يقارب عشرين ميلا ، وتشتمل على أثنتين وعشرين قرية ، وهي منطقة جبليـــة ذات تلال وأودية تنبسط تدريجياً تارة ، وتتموج بين الارتفاع والانخفاض والاستقامة والانحناء تارة اخرى ، وهي مشهورة بطيب هوائها ، وصفاء مائها ، وكثرة اشجارها ، وجودة ثمارها ، ووفرة أعنابها وتينها وتفاحها ورمانها .

و (الخانخلي) نسبة الى (خانخل) ، وهي قرية تقع في الجنوب الشرقي من بيتوش ، وتبعد عنها مسافة ساعتين بالسير المعتدل ، ويظهر أن أصل البيتوشي كان من أهل تلك القرية ، غير أن والده أو أحد أجداده انتقل عنها الى بيتوش .

و (البيتوشي) نسبة الى (بيتوش) قرية صغيرة في منحدر الجبـــل المشرف على نهر (الزاب) الصغير الحد الفاصل بين (آلان) العراق و (آلان) ايران ، وهي تبعد عن النهر مسافة ساعتين ، وتقع شمالي بلدة السليمانية على بعد خمسين ميلا تقريباً ، فيها أنهار جارية ، وعيون دافقة ، وبساتين جميلة حافلة بأشجار الجوز واللوز والاجاص والسفرجل وغيرها ،

مما تشتهيه الأنفس وتلذه الأعين ، وخلف القرية جبل مرتفع عال ، متوج الهامة بالثلوج اكثر أوقات السنة يبدو للناظر بجلال وجمال وهيبة ووقار .

وأحسن ما قيل في تعريف (بيتوش) هو ما كتبه البيتوشي نفسه في الأحساء نثراً ونظماً ، حنيناً إلى وطنه ، وذلك في قصيدته العصماء المشهورة التي أثبتها في كتابيه (الحفاية) و (صرف العناية) شرحي منظومته (الكفاية) ، وما نثره من غرر الدرر بتلك المناسبة في الشرحين المذكورين ، وذلك عند شرح قوله :

جَنَّبها عَنِ الكَلامِ الحُوشِي　　　ناظِمُها المفتَقِرُ البيتوشي

حيث يقول : « ... والبيتوشي بموحدة تحتية مكسورة ، فتحتية مثناة ساكنة ، ففوقية مثناة مضمومة ، ثم شين معجمة ، ثم ياء مشددة ، نسبة الى بيتوش قرية من قرى الاكراد ، كثيرة الاشجار ، وافرة الثمار ، متدفقة الانهار ، قليلة الاكدار ، لسان الحصر عن أوصافها ذو قصور ، وكأن طيب هوائها الممدود والمقصور ، من هوى المقصور ، وقد أنشدتُ فيها ، على أنّي بالبعاد جافيها ، فقلت :

ألا حَيِّ بيتُوشاً وأكنافها التي　　　يَكادُ يُرَوّي الصاديات سَرابُها(١)

مَرابِعُ يُزري بالعبيرِ رَغامُها　　　وَتَهْزَأُ بالظَّبي النُّفورِ كَعابُها(٢)

---

(١) الصاديات : جمع صادية وهي العطشى .

(٢) الرغام : التراب · الكعاب : كسحاب الجارية حينما ينهد ثدياها .

(بِلادٌ بها حلَّ الشبابُ تمائمي ... وأوّلُ أرضٍ مسَّ جِلْدي ترابُها (١)
لقد كان لي منها عَرينٌ وكان مِنْ ... مُقامي لها سُحْبٌ سَكُوبٌ رَبابُها (٢)
ولم تَنْبُ بي - إنْ يَنْبُ يوماً بأهلِهِ ... مَكانٌ - ولم يَنْعَقْ عَليَّ غرابُها (٣)
ولكنْ دَعاني لاغترابي مَعْشَرٌ ... غِياثٌ إذا الأهوالُ ماجَ عُبابُها (٤)
فهاجَرْتُها هَجْرَ الحُسامِ قِرابَهُ ... عَلى رُغْمِها تبكي عَليَّ هِضابُها
يَعِزُّ على الإنسانِ تَوديعُ نُورِهِ ... وسُودٍ جِعادٍ أن تَنائى شَبابُها (٥)
ورُبَّ قضايا لا أبا حَسَنٍ لَها ... بها بَعْدَ إبعادي تجلّ مُصابُها (٦)

---

(١) التمائم : جمع تميمة وهي العوذة تعلق على الطفل ، فاذا كبر وشب قطعت عنه ، . والبيت لبعض الأسديين من الشعراء المتقدمين .

(٢) العرين : مأوى الأسد . المقام : بالضم الاقامة . الرباب : بالفتح السحاب الابيض .

(٣) يقال نبا به البلد اذا ازعج منه من نحو وباء أوضيق معيشة ، (ولم ينعق علي غرابها) أي لم أرفيها ما أتطيرمنه ، إذ كانت العرب تتشاءم بنعيق الغراب .

(٤) العباب : بالضم معظم السيل ، ثم ان البيتوشي ذكر هذه القصيدة في كل من كتابيه (الحفاية) و (صرف العناية) الا ان هذا البيت موجود في الكتاب الاول غير المطبوع دون الثاني المطبوع ، ولعله من سهو الناسخ أو الطابع .

(٥) هذا البيت كالتعليل لقوله : (تبكي علي هضابها) يصعب على انسان العين توديع نوره له ، ويصعب على خصل شعر سود جعاد - والجعاد ضد السباط - نأي شبابها أي مفارقته لها ، و (سود جعاد) بالجر عطف على الانسان .

(٦) ورب قضايا الخ : مأخوذ من قول بعضهم : قضية ولا ابا حسن لها ، يريد بأبي حسن علياً رضي الله عنه .

فعُوِضتُ عَنها في اغترابِيَ رفعَةً ... مِن الدهر يُعيي النيّرَيْنِ طِلابُها (١)
ومَنْ يَطْلُبِ العَليا يَجُبْ كلَّ فَدْفَدٍ ... وإن ساوَرتهُ أُسدُها وذئابُها (٢)
عَلى أنني أهتزُّ مهما ذكرتُها ... كما مالَ بالقومِ السُكارى شرابُها (٣)
فللقلب مِنْ شَوقي إليها انصداعُه ... وللعين مِنْ نَوحي عليها انسكابُها
لعلَّ الليالي أن يُبدِّلْنَ حالَةً ... بأُخرى فمن عاداتِهِنَّ انقلابُها

بيئته

كان البيتوشي من بيت دين وعلم وفضل وتدريس ، تولى جماعة من أهل هذا البيت التدريس في بيتوش ، ونبغ منهم كثيرون ، فكان والده الشيخ محمد مدرساً بها ، وكانت مدرسته دائماً محط رجال الفضل ، فقصدها طلاب العلم من كل حدب وصوب ، وتوجهت اليها ركائب الأكابر من سائر النواحي والبلدان .

---

(١) فعوضت : بالبناء للمجهول: يعيي : من الاعياء وهو التعب . النيران : الشمس والقمر . الطلاب : مصدر طالبه بمعنى طلب منه حقاً له عليه ، أي إنني اكتسبت في غربتي ورحلاتي رفعة وشرفاً يعجز النيران عن مطالبتها ، فكيف بنيلها ؟.

(٢) يجب : من جاب الارض اذا قطعها بالسير . الفدفد : الصحراء . المساورة : المواثبة .

(٣) شرابها : الضمير للقوم .

ومن هؤلاء النوابغ أخوه الأكبر الشيخ محمود البيتوشي ، وكان على قدم والده بعده فضلا وعلما وتدريساً ، فنشر لواء التدريس في مدرسة بيتوش ، بعد أن رجع اليها من الاحساء ، الى أن توفي ، رحمه الله ، وكان الشيخ محمود البيتوشي حافظاً لتحفة المحتاج في شرح المنهاج ، لابن حجر الهيتمي ، وذلك لأنه لما عزم هو وأخوه الشيخ عبدالله البيتوشي على السفر إلى بغداد ، ولم يكن لديهما مال يوصلهما اليها ، وكان لديهما كتابا تحفة المحتاج والقاموس المحيط للفيروزآبادي ، قام الشيخ محمود بحفظ التحفة ، كما قام البيتوشي بحفظ القاموس ، ثم باعا الكتابين المذكورين ، وصرفا ثمنهما في طريقهما الى بغداد ، فلما وصلا اليها اتصلا باستاذهما العلامة السيد صبغة الله الحيدري ، ثم ذهبا إلى الاحساء ، وذلك قبل سنة ١١٧١هـ ، كما سيتضح ذلك فيما بعد ، لا كما قال العلامة الشيخ محمد القزلجي حفظه الله في كتابه (التعريف) في ص ١٩ والمرحوم محمد أمين زكي في كتابه (تاريخ السليمانية وأنحائها) في ص ٢٦٩ من أن الشيخ محموداً رجع من بغداد الى بيتوش .

ولأهل بيتوش وأطرافها ، اعتقادٌ كبير في رجال هذه الأسرة الشريفة ، ولياذٌ بهم ، وفزعٌ اليهم في مهمات امورهم ، وهم لا يزالون كذلك حتى الآن .

مولده

ونشأته ، ورحلاته ، وزواجه ، ووفاته

ولد البيتوشي بقرية بيتوش ، ولا نعلم سنة ولادته على وجه الضبط ، إلا أن الأرجح أنها كانت بين سنتي ١١٣٠ - ١١٤٠ هـ بدلائل : منها ، أنه أرخ سنة ولادة يوسف بن شيخه بك البيتوشي بقصيدة فارسية راقية سنذكرها فيما بعد ، وهي سنة ١١٥٥ هـ ، ومما لا شك فيه أن عمر البيتوشي آنذاك لم يكن أقل من عشرين سنة إن لم يكن خمساً وعشرين سنة .

ومنها قوله في منظومته : (حديقة السرائر ، في نظم الكبائر) التي أتم نظمها في صفر سنة ١١٩٠ هـ ببلدة البصرة مخاطباً نفسه :

إلامَ تَسهو في المعاصي وتَني ... في أمره ومُعظَمُ العمر فَني

إلى أن يقول :

يا رَبِّ قد شِبْتُ ولَستُ أرحَمُ ... شَيْبِيَ فارحمهُ فأَنتَ أرحَمُ

ولا يخفى أن مَن تأمل في هذا البيت الدال على ظهور بوادر الشيب في رأس البيتوشي وعارضيه ولحيته مع قصر قامته وسمرة لونه ، وصحة بنيته ، ومتانة جسمه ، وقناعته الروحية ، وكثرة تجواله وتنقلاته في البلدان - الامور التي تؤخر غالباً بياض الشعر وأمارات الشيخوخة الأخرى - أقول : إن من تأمل فيما ذكر يغلب على ظنه أنه كان آنذاك قد جاوز العقد الخامس من العمر .

ومنها قوله من قصيدة له في مدح الشيخ أحمد الكوّازي نظمها سنة ١٢٠٨ هـ وسنذكرها فيما بعد .

مَنْ يَبِعْني مِن أُوَيقاتِ الصِبا   أعطِهِ مِن عُمُري سبعين عاما

ومعلوم أن البيتوشي لابد أن يكون حينذاك في العقد الثامن من العمر .

نشأ البيتوشي بقرية بيتوش وترعرع فيها ، واستمع إلى أبيه وكان أول ما استمع منه تعاليم الدين ، وقرأ عليه القرآن الكريم ، ثم أخذ شيئاً من النحو والصرف ، واللغة ، وحفظ بعض المتون ، ثم مات أبوه ، وكان عمر البيتوشي آنذاك حوالي خمس عشرة سنة ، فرحل مع أخيه الشيخ محمود إلى مدرسة الملا محمد الشهير بابن الحاج [1] في قرية (سنجوي)

---

(١) هو الملا محمد بن الحاج حسن من أهل قرية سنجوي ، كان فريد عصره ووحيد دهره ، وكان محدثاً وفقيهاً له مؤلفات عديدة وتعليقات مفيدة ، منها : كتابه المسمى بـ (رفع الخفا على ذات الشفا) ، في السيرة النبوية ، كتاب فريد في بابه ، لم ينسج على منواله ، يقع في خمسمائة صفحة تقريباً ، ومنها منظومته في المحاسن النبوية ، المسماة بـ (نظم محاسن الغرر) ، ومنها شرحه على نظم محاسن الغرر ، ومنها حاشيته المدونة على كتاب (البهجة المرضية ، في شرح الألفية) ومنها رسالته المسماة بـ (ايقاد الضرام ، على من لم يوقع طلاق العوام) ، ومنها رسالته في تحقيق معنى الاكراه الشرعي ، ومنها رسالته في نكاح المتعة ، ومنها رسالته في بيان المقصور والممدود ، نظم منها الباب الأول ، ثم عاقه عائق ، فأكمل الكتاب نثراً .

كان ابن الحاج مدرساً في القرية المذكورة ، ثم بعد سنوات عديدة تركها =

بقضاء سردشت فلازم مجلس افادته مدة من الاعوام ، الى أن تضلع من العلوم العربية اصولها وفروعها ثم انتقل الى قرية ماوران بلواء أربيل ، فأقام بها ردحاً من الزمن ، واغترف فيها من بحار علوم شيخ المشايخ صبغة الله افندي الحيدري (١) بن ابراهيم بن حيدر الثاني بن أحمد الملقب

= وانتقل الى (هزار مرد) الواقعة على مقربة من السليمانية ، فنشر فيها ألوية التدريس ، وكانت مدرسته دائماً عامرة بطلاب اذكياء أمثال البيتوشي والشيخ معروف النودهي .

والشيخ محمد بن الحاج هو الذي قيل في حقه بالفارسية :

ملا محمد آنكه ز درياي علم خويش گوش زمانه پر ز دُرِّ شاهوار كرد

ذكرى چو ذكر او نبود درهزار ذكر مردى بسان او نبود در (هزارمرد)

يعني : ان الملا محمد (الشهير بابن الحاج) ، هو الذي يشنف مسامع الدهر من بحار علمه بدرر تليق بتيجان الملوك والسلاطين ، فلا ذكر كذكره بين الوف الأذكار ، ولا أحد يضاهيه بين آلاف الرجال .

(١) ـ ولد هذا النحرير في قرية ماوران بلواء أربيل ، وكان جده حيدر الثاني في قيد الحياة ، ولما سأل جده أباه عن اسمه ، وقال : صبغة الله ، قال جده: (وهو صَبَّغهُ) ، فكان ما فاه به تأريخ ميلاده وهو سنة ١١١٤هـ انتقل من ماوران الى بغداد في النصف الاخير من القرن الثاني عشر ، فانفرد فيها بالرئاسة العلمية ، وحصلت له مكانة عالية عند واليها (احمد پاشا) بن حسن پاشا ثم حنّ الى وطنه ، فرجع الى ماوران ، ثم بعد وفاة الوزير المشار اليه عاد الى بغداد ، فاحيا فيها معالم العلم بعد اندراسها ، وتوفي في حدود سنة (١٢٠٠ هـ) واعقب ولديه الفاضلين العليمين عبيدالله والحاج محمد أسعد صدرالدين .

بـ (أحمد بن حيدرين) بن حيدر الاول [١] ، وأخذ عنه العلوم العقلية والنقلية .

وبالجملة فان البيتوشي أخذ العلوم الاسلامية عن أكابر علماء كردستان ، ونهل من المناهل العلمية ، متدرجاً فيها شأن شباب زمانه من طلاب العلوم الاسلامية ، حيث انها بطبيعة الحال كانت في العصور السابقة (حينما كانت بغداد مركز العلم والثقافة ، وبلاد فارس محط رحال الأفاضل والفطاحل) أعمر بلاد في العالم وأزهاها بالمدارس والمدرسين والعلماء المتبحرين والادباء البارزين ، ورجالاتها أشهر ، ومدارسها أزهر ،

(١) يقول العلامة الشيخ محمد القزلجي في كتابه : التعريف) انهذا المليم هو مؤسس السلالة الحيدرية اشتغل في حرير بتدريس العلوم إلى أن توفي بعد الألف بقليل ، وتوالت تلك الحكمة في اعقابه نسلاً بعد نسل ، ولم يزالوا صدوراً وأئمة زهاء ثلثمائة سنة ، لهم تآليف عديدة في كل علم وفن ، وخاصة في الفقه والحكمة والكلام ، ملأوا بعلومهم وتآليفهم الأقطار والبلاد ، ومن الحيدرية انفرقت الاسرة الكواكبية في حلب .

يقول عصام الدين الموصلي في كتابه : (الروض النضر ، في علماء العصر) تحت عنوان : (السادة الحيدرية) أما هذا البيت فهو سماء فضل من الفضائل اعماده ، وخيام علم قد رقت على سطح المجرة أوتاده ، وكرسي كمال نصب على عرش الاعجاز والفصاحة ، ومسند معال وضع على نقش الاعجاز والرجاحة ، فمنه انتشرت أصناف الأدب والفضائل ، وعنه اخذت أنواع الفوائد من المسائل ، رضيهم نتيجة مقدمة الفضل والعرفان ، وفطيمهم زهرة سماء الفهم والاتقان ، وكل منهم علامة زمانه ، وفهامة وقته وأوانه ؛ الى آخر ما ذكره .

وكان علماء كردستان في تلك العصور النيّرة مقتبسين من أنوار بغداد وفارس ، وناهلين من مناهلها العذبة ، وكانت مدن كردستان وقراها غاصّــة بالمدارس والطلاب وبأهل العلم ورجال الأدب [1] فساعدت البيتوشي تلك الظروف والبيئات على التعلم وتكوين شخصيته كعالم نبيه

---

(١) فقد كان في كردستان من المساجد والجوامع والمدارس ما يفوق الحصر والعد ، بحيث لا ترى قرية مهما كانت صغيرة إلا وفيها مسجد أو جامع مع مدرسة عامرة بطلاب العلوم الدينية الذين وقفوا حياتهم على تحصيل العلوم الاسلامية وآدابها باخلاص وعزم ديني صادق ، تدرس فيها العلوم الاسلامية على أتقن وأجود ما يرام ، ولقد نبغ فيهم علماء حازوا قصب السبق في ميدان الجهاد العلمي ، وكانت من ناحية الثقافة الاسـلامية ، مستواها العلمي معادل لمستوى المدن ذات الحضارة ، وكانت هذه المدارس في جميع انحاء كردستان ، مرتبط بعضها ببعض ، ومتصلة الحلقات بتجوال الطلاب الدائمي ، من مدرسة الى اخرى ، بعيدة أو قريبة كأنها جامعة ذات فروع ، ولا تزال تلك الحالة باقية آثارها الى اليوم ، في انحاء كردستان ، ولعمري ان الاكراد لمدينون جداً لتلك المدارس الزاهرة ، والمساجد والجوامع العامرة لما اسدته من التأثير الحسن الى عقلية العنصر الكردي وتحضره ونضجه عموماً لاسيما السنيين منهم بالنسبة للشعوب المجاورة لهم ، كما هو جلي واضح لكل ذي بصيرة ، ويجب على الجيل الحاضر أن ينظر الى هذه المدارس وآثارها والى علمائها وطلابها بعين العبرة والتقديس والاجلال ، لا كما نلمسه مع الأسف من بعض المعاصرين ممن غرتهم المظاهر وأوهمتهم دسائس الأجانب من حيث لا يدرون وصرفتهم وأغرتهم بتلك الظروف السياسية القاسية التي مرت ولا تزال تمر على الكرد وكردستان .

وأديب ألمعي ، غير أن ما وصل اليه البيتوشي لم يكن في نظره غاية التحصيل ، بل توجهت همته الى التبحر في العلوم ، ففارق بلده مع أخيه الاكبر (الشيخ محمود) ، ورحلا عن وطنهما على عادة العلماء النابهين ، مارين في طريقهما بالمدارس ومجامع العلماء ، في المدن الاسلامية ، إلى أن وصلا الى بلدة (الاحساء) ، ولا نعرف كيف وصلا ومتى ؟ وأي داع قذفهما اليها في أول الأمر ؟ ولكننا نعرف أن ذكاء البيتوشي الجم ، ونبوغه الفطري ، وعقليته الوثابة ، وحبه التجوال ، وروح الاستطلاع ، كل هذه كانت الاسباب الرئيسة للنأي به عن وطنه ومحيطه الذي عاش فيه تحلق به في أجواء بعيدة ، وتكشف له عن آفاق بعيدة مجهولة لم يكن يعرفها .

بعد وصولهما الى الاحساء ، انتصب الشيخ محمود مدرساً في إحدى المدارس الموجودة هناك بأمر حاكمها الشيخ عرعر ، ويظهر من الرسالة الآتية للبيتوشي المشتملة على السؤال الموجه منه إلى أخيه بالاحساء حول إعراب بيت نظمه البيتوشي ، بأنه كان مدرساً في مدرسة أخرى غير مدرسة أخيـــه ، وبقيا هنالك الى سنة ١١٧٨ هـ ، واشتغلا بالتدريس والتأليف ، واتصل البيتوشي بالشيخ أحمـــد بن عبدالله بن محمد آل عبدالقادر الانصاري الخزرجي الاحسائي ، الذي صار فيما بعد حاكماً للاحساء ، والذي ألف له البيتوشي منظومته الشهيرة بـ (الكفاية) وحصلت بينهما علاقة وثيقة واخوة صادقة .

ومما يؤيد ذهاب الشيخ محمود مع أخيـــه البيتوشي الى الاحساء

وانتصابه مدرساً هناك ، ما كتبه البيتوشي بخطه في آخر كتاب (البهجة المرضية ، في شرح الألفية) الذي نسخه حيث يقول في آخره :
وقد كملت ـ والحمد لله رب العالمين ـ هذه النسخة المباركة الميمونة ، على يد أفقر العباد الى الله ، الغني عمن سواه ، درويش عبدالله الكردي البيتوشي ، وذلك ببلدة الاحساء من هجر البحرين بأمر الأخ الأجل الشيخ محمود المنصوب مدرساً بأمر الشيخ عرعر حاكم الاحساء سنة اثنتين وسبعين ومائة والف وهذا الكتاب موجود في مكتبة أحد أقارب البيتوشي وهو الملا أحمد بن عبدالله .

كان البيتوشي في أول الأمر عابداً متصوفاً ، وزاهداً متقشفاً وكان يلقب نفسه بالدرويش ويخاطبها به ، ويقول في بعض أشعاره الغرامية[1] :

أتظن يا درويش سيد قومه   الماء يُطفي كلَّ نار تُوقَدُ
إن الهوى ـ وشربتَ صِرف مُدامه ـ   يُبدي الخوارقَ والخلائقُ تشهدُ
ها إنَّ نار خدوده يوم اللقا   فرحاً من الدمع الهتون تزيَّدُ

غير أن نبوغ البيتوشي الخاص بالشعر وسائر آداب اللغة العربية ـ لغة القرآن الكريم ، ومفتاح كنوزه وأسراره وحكمه اللامتناهية ـ مكنهُ من الخوض في ذلك ومن أن يتثقف ـ ثقافة أدبية عربية عالية حتى أصبح من الشعراء الافذاذ والأدباء البارعين ذوي الشهرة المستفيضة

---

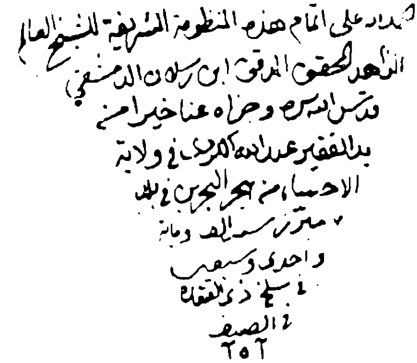
(١) هذه الابيات الثلاثة مكتوبة بخط البيتوشي على هامش صفحة من كتاب (البهجة المرضية) المكتوب بخطه أيضاً .

بالأدب العربي ، وذلك بجانب علمه الغزير ، وثقافته العامة وتحققه بالعلوم الاسلامية .

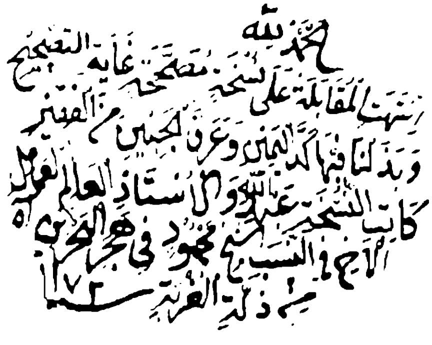
لذلك نأسف كل الأسف على انه لم يكن من العلماء والكتاب من قدم لنا صورة واضحة من حياة البيتوشي ، أو مجموعة من أشعاره أو نبذة من أخباره ورحلاته ، اللهم إلا ما نصادفه مكتوباً في صلب الكتب القديمة أو في حواشيها ، أو مكتوباً بخطه في ثنايا كتبه التي تفرقت أيدي سبا ، ومن حسن حظي انني عثرت بعد عناء شديد ، وتعب مضنٍ ، على مقدار لا بأس به من مخطوطاته الثمينة التي تعد بحق أهم المصادر التي تلقي الضوء على أكثر نواحي حياته المبهمة ويستنبط منها تواريخ أكثر مراحل حياته المليئة بالاعاجيب والعبر كما سيأتي .

ونستطيع أن نستخلص من التواريخ التي ذكرها البيتوشي لمؤلفاته أو كتبها بخطه في صلب بعض الكتب أو في حواشيها ، ومن ذكر البلاد التي ألف أو كتب فيها ـ طريق رحلاته ـ وتواريخها ، فهو قد نزل أول الأمر ببلدة (مبرز) بولاية الاحساء قبل سنة ١١٧١ هـ إذ يقول في آخر رسالة ابن رسلان التي نسخها بنفسه لنفسه : [الحمد لله على إتمام هذه المنظومة الشريفة للشيخ العالم الزاهد المحقق المدقق ابن رسلان الدمشقي قدس سره ، من يد الفقير عبدالله الكردي في ولاية الاحساء من هجر البحرين في بلدة مبرز سنة الف ومائة وإحدى وسبعين] .
وهذا الكتاب موجود في مكتبة أحد أقارب البيتوشي وهو المدعو الملا أحمد بن عبدالله ، وهذه صورة ما كتبه البيتوشي بخطه نطرف به

القراء الكرام كأثر تاريخي وبرهان علمي :


حمد الله على اتمام هذه المنظومة الشريفة للشيخ العالم
الزاهد المحقق المدقق ابن رسلان الدمشقي
قدس الله سره وجزاه عنا خيراً امين
بيد الفقير عبدالله الكردي في ولاية
الاحسا من هجر البحرين في بلد
المبرز سنة الف ومائة
واحدى وسبعين
في سلخ ذي القعدة
في الصيف
٦٥٢

ثم كتب بخطه في آخر كتاب (البهجة المرضية) : [الحمد لله ، انتهت المقابلة على نسخة مصححة غاية التصحيح ، وبذلنا فيها كد اليمين ، وعرق الجبين ، من الفقير كاتب النسخة عبدالله ، والاستاذ العالم العامل الأخ في النسب الشيخ محمود في هجر البحرين آه من ذلة الغربة سنة ١١٧٢ هـ] وهذه صورة ما كتبه البيتوشي بخطه :


الحمد لله
انتهت المقابلة على نسخة مصححة غاية التصحيح
وبذلنا فيها كد اليمين وعرق الجبين من الفقير
كاتب النسخة عبدالله والاستاذ العالم العامل
الاخ في النسب الشيخ محمود في هجر البحرين اه
من ذلة الغربة ١١٧٢

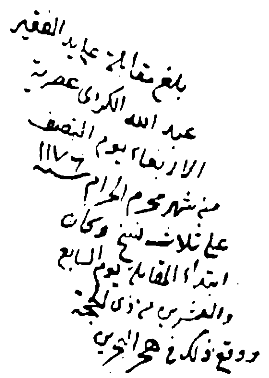
ثم كتب بخطه في ظهر كتاب : (فرائد القلائد ، في مختصر شرح الشواهد) ما هذا نصه : [ثم دخل في نوبة العبد الحقير المحتاج إلى ربه الغني ، عبدالله بن محمد الكردي الآلاني البيتوشي ، بالاحساء في حدود

هجر البحرين، أواخر سنة ١١٧٥ هـ بالشراء الشرعي] . وهذه صورة ما كتبه البيتوشي بخطه :


ثم دخل في نوبة العبد الحقير المحتاج
إلى ربه الغني عبد الله بن محمد الكردي
الأكراني البيتوشي بالأحساء حدود
هجر البحرين أواخر سنة ٧ السنة بالشراء
الشرعي

ثم كتب في آخر صفحة من الكتاب المذكور : (بلغ مقابلته على يد الحقير عبدالله الكردي عصرية الأربعاء ، يوم النصف من شهر محرم الحرام سنة ١١٧٦ هـ على ثلاث نسخ ، وكان ابتداء المقابلة يوم السابع والعشرين من ذي الحجة ، ووقع ذلك في هجر البحرين] .

وهذه صورة ما كتبه البيتوشي بخطه :


بلغ مقابلة على يد الفقير
عبد الله الكردي عصرية
الأربعاء يوم النصف
من شهر محرم الحرام سنة ١١٧٦
على ثلاث نسخ وكان
ابتداء المقابلة يوم السابع
والعشرين من ذي الحجة
ووقع ذلك في هجر البحرين

ثم قرّظ الكتاب المذكور ، بهذين البيتين الثبتين بخطه ، وهما :

أشْكُرْ صَنِيعَ الفاضِلِ العَيْني ، فَكَمْ عادتْ عليكَ مِنَ العُلومِ عَوائِدُ

إن كنتَ تشهدُ بالكمالِ لغيره فله على دعوى الكمال (شَواهِدُ)

وهذا الكتاب موجود في مكتبة الأديب الملا محمد الكردي بالسليمانية حفظه الله .

وفي سنة ١١٧٧ هـ وقع منه الى أخيه الأكبر الشيخ محمود المدرس بالاحساء سؤال حول إعراب بيت نظمه البيتوشي وكانا في هجر البحرين ، وذلك على ما حكاه في الرسالة الآتية التي عثرنا عليها في مجموعة خطية بمكتبة الملا عبدالله ، إمام الجامع الكبير بالسليمانية حيث يقول : [ومما وقع لي - وأنا الفقير الى الله ، عبدالله - مع شيخي وأخي الشيخ محمود ، سنة ١١٧٧ هـ في هجر البحرين ، أني عملت بيتاً وأرسلته اليه ، اسأله إعرابه ، وصورته :

كم مُصَلٍّ صائمٍ من غير ذوقٍ رام وَصْلا
قلتُ لمّا قال لي هَلْ كلُّ مَن صامَ وصَلّا

بينوا لنا - أدامكم الله للتبيين ، ويُبلغكم إلى ذروة سنام اليقين - مقولَ (قلتُ) المذكور في البيت ، وقاكم الله قول ليت ، ولا أفجعكم بنعي مَيْت ، وأقنعنا الله وإياكم بالقِصَر والزيت ، فوافق وصول السؤال اليه ، والقاء الرسول الألوكة عليه ، وقت اشتغاله بالتدريس ، وافادته الناس بالعلم النفيس ، فبعد أن نظر سويعة ، في تلك الرقيمة ، كتب إليَّ فيها كالمنصفين لا المجادلين المتعسفين ! (مقول قلت لا أعرفه في هذا الحين ، وعسى الله أن يأتي باليقين) ، فلما بلغني شريف جوابه ، وفهمت فحوى خطابه ، رددت اليه ما كتبه إلتذاذاً بالخطاب الواقع ، بعد أن

أعربت قوله : (لَأعرِفهُ) الذي هو مضارع ، إعرابَ فعل الأمر ، ففهم بتلك الاشارة الخفية حقيقة الأمر ، واتضح أنّ (لا) التي في عجز البيت هي مقول القول ، وسَلمَتِ المسألة من الهول بحول من له القوة والطول ، وحمــل ذلك الاعراب ، على غاية الاغراب ، وأغراه مغري العجب بالاستنان في سَنَن الطرب [١] .

وبسطُ ما ذكر بطريق الاشــارة ، لمن لم يدلَّه الى التحقيق خفي العبارة ، ان وَصلَ فعل ماضٍ من الوصول ، ولا الموصولة بوَصلَ خطا كما هو دأب الملغزين هي مقول قلتُ ، وادغام لام وَصلَ - مع كونها متحركة - في لام لا كهو [٢] في قوله تعالى : (ما لك لا تأمنّا) ، لا أن الواو من (وصلا) حرف عطف كما يوهم لفظ صام ، وصلّا من الصلاة ، لأنه [٣] لو كان كذلك لكتبت لفظة صلا بالياء لا بالألف كما ترى ، أي كم مصل صائم الخ ، لما قال لي هل من صام وصل ؟ قلت له : لا) .

ثم حن البيتوشي وكذا أخوه الأكبر الشيخ محمود الى وطنهما فرجعا معاً إلى قرية بيتوش ولقيهما حاكمها مرحباً وتهافت عليهما أهل القرية وعلماء الاطراف ، فقام الشيخ محمود مقام والده ، ونشر ألوية التدريس

---

(١) يقال : استنّ الفرس : عدا إقبالا وإدبارا ، واستن به الهوى حيث اراد : أي ذهب به كل مذهب .

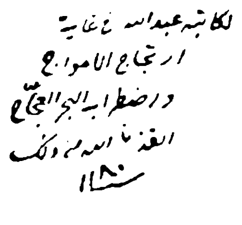
(٢) أي كادغام نون لا تأمن - مع كونها متحركة - في نون (نا) في قوله تعالى : لا تأمنا .

(٣) لأنه : دليل لقوله : لا أن الواو الخ .

فيها ، الى أن توفي رحمه الله ، وأقام البيتوشي فيها الى أوائل سنة ١١٨٠ هـ ، وفي سنة ١١٧٩ هـ شرح في بيتوش منظومته في العروض والقوافي ، ويقول في آخر الشرح : (تم هذا الشرح في نواحي الكرد ، سنة الف وتسع وسبعين بعد المائة ، في مدرسة بيتوش الصيفية ، في أيام الحكومة اليوسفية)[1] ، وفي أوائل سنة ١١٨٠ هـ كتب في بيتوش رسالته التي سنوردها فيما بعد الى استاذه (ابن الحاج) في قريـــة (هزارمرد) .

ثم ذهب البيتوشي مرة ثانية الى الاحساء أوائل سنة ١١٨٠ هـ فنزل بالبصرة عند صديقه الشيخ درويش الكوازي العباسي ، من آل عبدالسلام ، وبعد أيام ركب البحر متوجهاً الى الاحساء ، إذ يقول في آخر حاشية له كتبها على هامش كتاب : (البهجة المرضية ، في شرح الألفية) : « لكاتبه عبدالله في غايـــة ارتجاج الأمواج ، واضطراب البحر الهياج ، انقذنا الله من ذلك ، وسائر المهالك ، سنة [١١٨٠ هـ] » .

وهذه صورة ما كتبه البيتوشي بخطه :

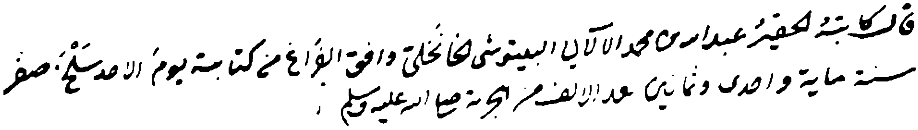

لكاتبه عبدالله في غاية
ارتجاج الامواج
واضطراب البحر الهياج
انقذنا الله من ذلك
سنة ١١٨٠

---

(٩) نسبة الى (يوسف بن شيخة بك) البيتوشي حاكم مقاطعة بيتوش ولد هذا الحاكم سنة ١١٥٥ هـ ، وقد ارخ البيتوشي سنة ولادته بقصيدة فارسية بديعة سنثبتها فيما بعد .

ووصل الى الاحساء في السنة نفسها ، ويدلنا على ذلك ما كتبه على آخر الجزء الثاني من تحفة المحتاج حيث يقول : « بلغ المقابلة ثانياً على عدة نسخ صحاح ، أوائل شهر ربيع الأول في الاحساء ١١٨٠ هـ » .

وفي سنة (١١٨١ هـ) نسخ بنفسه لنفسه الأجزاء الاربعة من (شرح البهجة الوردية الصغير) لشيخ الاسلام القاضي زكريا الانصاري ويقول في آخر الجزء الاول : « قال كاتبه الحقير عبدالله بن محمد الآلاني البيتوشي الخانخلي ، وافق الفراغ من كتابته يوم الأحد سلخ صفر سنة مائة واحدى وثمانين بعد الألف » . وهذه صورة ما كتبه بخطه :


قال كاتبه الحقير عبدالله بن محمد الآلاني البيتوشي الخانخلي وافق الفراغ من كتابته يوم الاحد سلخ صفر سنة مائة واحدى وثمانين بعد الالف من الهجرة صلى الله عليه وسلم

ويقول في آخر الجزء الثاني : « تم هذا الجزء عصرية الاثنين أواسط ربيع الآخر سنة ١١٨١ في الاحساء المعمورة » .

ويقول في آخر الجزء الثالث : « تم عصر الخميس سلخ جمادى الاولى سنة ١١٨١ هـ » .

أما الجزء الرابع فقد ضاعت صحيفته الاخيرة الحاوية لتاريخ ختم الكتابة ، ولعلها كانت حاوية شيئاً من أشعاره في تقريظ الكتاب ، وفي غيره على ما هو دأبه ، كما ضاعت مائة وعشر صحائف من أول الجزء الأول من الكتاب ، والكتاب موجود لدي .

وفي غضون سنة (١١٨١ — ١١٨٦ هـ) أصاب البيتوشي داء الحنين إلى الوطن فرجع إلى بيتوش وبقي فيها بين أقاربه وذويه ردحاً من الزمن وفي أواخر شعبان سنة ١١٨٦هـ ذهب من بيتوش الى قرية (هزارمرد) لزيارة استاذه (ابن الحاج) المدرس بها، وهناك كتب بخطه الجميل تقريظاً بالنثر والنظم لرسالة استاذه المذكور: (ايقاد الضرام على من يوقع طلاق العوام) المؤلفة في السنة عينها، والمكتوبة بخط المؤلف، حيث يقول في آخره: (تم بيد مقرّظه سنة ١١٨٦ هـ)، والرسالة موجودة في مكتبتي، وسندرج نص التقريظ فيما يأتي، كما أنه كتب هناك بخطه حاشية على متن الجزء الثالث من كتاب شرح البهجة المار ذكره، ويقول في آخرها: (تم في ليلة النصف من رمضان سنة ١١٨٦ في قرية هزارمرد بقلم الفقير عبدالله بن محمد عفا الله عنهما).

ويستبان من هذا ايضاً أن البيتوشي رحمه الله كان ينقل معه دائماً في أسفاره ورحلاته كتبه القيمة المعني بها، ومؤلفاته الثمينة.

وصادف ذهاب البيتوشي الى قرية (هزارمرد) وجود (الشيخ معروف) النودهي هناك تلميذاً عند (ابن الحاج)، وكان عمر النودهي آنذاك عشرين سنة، والبيتوشي قد اكمل الخمسين من عمره، ومن حسن حظ النودهي ان استاذه حينما أضاف البيتوشي عنده في هذه المرة، اختار حجرة الشيخ معروف الخاصة لاستراحته وسكناه مدة بقائه ضيفاً هناك بصحبة الشيخ معروف، كما عرّف له شخصية البيتوشي بنبوغه الفذ، وعلمه الغزير، وأدبه الجم، وأوصاه بأن يغتنم هذه الفرصة السانحة الثمينة

من صحبته ويستفيد من ينبوع علمه وأدبه وثقافته مهما كلفه الأمر ، وكلما أمكن ، فرافقه النودهي وصحبه أياماً وليالي اغترف فيها من بحار علمه ، وأخذ منه إلهام الشعر ووحي الأدب كما سيتضح فيما سننقله نصاً عن الشيخ معروف النودهي رحمه الله .

وفي اواخر سنة ١١٨٨ هـ ترك البيتوشي كردستان نهائياً وللمرة الثالثة ، وذهب إلى بغداد ، ومنها إلى البصرة ، ونزل بها أوائل سنة ١١٨٩ هـ وعين مدرساً بالمدرسة الرحمانية هناك ، وبعد برهة وجيزة من وصوله هاجمها (صادق خان الزندي) بعساكره الجرارة ، فطوق البلدة مدة ستة عشر شهراً ، فوقع البيتوشي في فخ الحصار ، وبعد مضي سنة من المحاصرة شرع في نظم (الزواجر ، عن اقتراف الكبائر) للشيخ أحمد بن حجر الهيتمي[1] ، فأكمل النظم في شهر صفر سنة ١١٩٠ هـ كما سنفصل ذلك في فصل مؤلفاته .

وفي اواخر سنة ١١٩٠ هـ ترك البصرة وذهب الى (الاحساء) للمرة الثالثة ، وكان في العقد السادس من العمر ، وقد تخدد وجهه وظهرت بوادر الشيب في شعره ، فألقى فيها عصا الترحال ، كما يتبين ذلك من اواخر منظومته (الكفاية) حيث يقول :

نظمتها في بلد الأحساء لا زال محمياً من البأساء

---

(١) هو ابو العباس احمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الانصاري ولد في مصر سنة ٩٠٩ ومات في مكة سنة ٩٧٤ هـ وله عشرون تأليفاً اهمها (تحفة المحتاج ، بشرح المنهاج) .

وحين منّ الله بالإتمام أرّختها بـ (أحسن الختام)

١١٩١

وفي هذه الرحلات لا بد أن البيتوشي كان يأخذ من العلماء الأجلاء، كما كانوا يأخذون منه ، وفي كل مرة كان يقصد الاحساء ليلاقي صديقه الأديب (الشيخ أحمد) الاحسائي ، لأنه كانت بينهما صلات ترجع إلى نحو ثلاثين سنة منذ كان البيتوشي رفيقاً له في أيام التحصيل ، وخاصة في هذه المرة الأخيرة ، فان صديقه هذا صار حاكماً للاحساء .

ولما استقر البيتوشي بالاحساء واستوطن بها نظم كفايته المشهورة باسم حاكمها الشيخ أحمد وقدمها اليه ، فأقبل عليه الحاكم بذلك اقبالاً أكثر من السابق وأقبل عليه باقباله شيء من الدنيا ، ونال بمنظومته هذه مكاناً سامياً عنـــد ادباء الاحساء وغيرهم ، وتألق نجمه ، وبرز اسمه بين شعراء عصره ، ولاقى من حفاوة الحاكم والأدباء والوجهاء ما لم يلقه إلا القليلون ، كما يظهر ذلك بكل وضوح من بعض فقرات رسالته إلى (عبيدالله الحيدري) المشهورة بـ (الرسالة العراقية) حيث يقول فيها :

« ... وحال التأريخ في الاحساء أتقلب في روض من العيش أريض ، وأتبختر في بُرد من العافية طويل عريض ، بين سادة سُمحاء يُكرمون ولا يمكرون ، ويُطعمون ولا يَطمعون ، ويَبهرون ولا يَرهبون ، ويَبتكرون ولا يرتبكون ، لا تمل مناجاتهم ، ولا تُخشى مداجاتهم ، إلى أخلاق في رقة النسيم ، ومحاورات في عذوبة التسنيم ، لا تكبو في حلبة الفخار جيادهم ، ولا تصلد في مشاهدة النوال زنادهم ، ثابت

لديهم - كما أبتغي - قدمي ، مُجرىً عليهم ما نفث به فمي ، أو كتبه قلمي ،

لا عيب فيهم سوى انّ النزيل بهم
يسلو عن الأهل والأوطان والحشم

ومما يجدر بالذكر ان هذا الحاكم ، علاوة على أنه كان سيداً مطاعاً ، وحاكماً معطاءً ، كان شاعراً ماهراً ، وأديباً واسع المعرفة ، بعيد الخيال ، رقيق الشعور ، وكانت علاقته بالبيتوشي علاقة علمية روحية ، وأدبية وثيقة ، فكان البيتوشي يتفيأ ظلال عزه وكرمه ، وكان هو يقدّر البيتوشي حق قدره ، ويمدّه دائماً بما لديه من مال وجاه ، ويظله برعايته وجوده ، وبهذه المناسبة جرت بينهما أشعار وأبيات رقراقة ، ينعكس منها مقدار الاتصال بين هذين الأديبين ، وسنذكر منها ما عثرنا عليه إن شاء الله في القسم الثاني من الكتاب .

إن البيتوشي تزوج ببنت قاضي الاحساء الشيخ عبد القادر وانجبت له بنات بدلالة قوله في احدى قصائده :

أثقلتْ ظهري بناتٌ عِدةٌ لم أطق منها نهوضاً وقياما

ومن تلك البنات فاطمة الزهراء التي أرّخ سنة ولادتها - وهي سنة ١١٩٣ هـ - بقوله :

سُئلتُ عن تأريخ ميلاد ابنتي فاطمة الزهراء بامتحان
فقلتُ لولا ما يضاهي قدّها من غصن بانٍ كان (غصن بان)[(١)]

---

(١) هذان البيتان مكتوبان بخط البيتوشي في صلب مسودة شرحه : (الحفاية ، بتوضيح الكفاية) المكتوبة بخطه أيضاً .

لحروف (غصن بان) التي هي بحساب الجمل الف ومائة وثلاثة وتسعون تاريخ ميلاد بنته فاطمة الزهراء .

وبالجملة فان البيتوشي بعدما استوطن الاحساء ، وتنفس الصعداء ، شرع في التصنيف والتدريس ، فقصدته الطلبة من الآفاق ، وظل عاكفاً على التدريس والتأليف إلى أن توفي رحمه الله .

يقول الشيخ عثمان بن سند [1] تلميذ البيتوشي في كتابه : (أصفى الموارد ، في سلسال أحوال الامام خالد) في [ص ١٠٢] إن البيتوشي توفى عام عشر ومائتين والف ، ويقول في كتابه (سبائك العسجد ، في أخبار أحمد بن رزق الأسعد) في [ص ٤٠] بأنه توفي عام (١٢١١ هـ) وأرخه بقوله : (جاه غرب) ، وأيا ما كان فقد توجه البيتوشي من الاحساء إلى البصرة في السنة التي توفي فيها لزيارة صديقه (الشيخ أحمد ابن الشيخ درويش) العباسي ، وبعد برهة وجيزة من وصوله اليها توفي رحمه الله بسبب وعكة ألمت به عن عمر يناهز الثمانين عاماً ، فمات فيها غريباً عن وطنه وبعيداً عن أولاده وذويه ، ودفن بالزبير بمقبرة الحسن البصري رحمه الله ، في قبر غير معلوم لأبناء هذا الزمان ، وذلك على ما حققناه بالبصرة والزبير وعلى ما سيتضح من كلام الشيخ عثمان ، لا كما قاله الشيخ محمد القزلجي في كتابه (التعريف) في [ص ٩٩] ، والمرحوم (السيد محمد أمين زكى) في كتابه : (تاريخ السليمانية وانحائها)

---

(١) هو بدر الدين عثمان بن سند النجدي الوائلي ولد بنجد سنة ١١٨٠هـ وتوفى ببغداد سنة ١٢٤٢ .

نجي [ص ٢٧٠] من أنه توفي بالأحساء سنة (١٢٢١ هـ) .

يقول الشيخ عثمان في كتابه : (سبائك العسجد) في [ص ٣٨] إن الشيخ أحمد العباسي بنى للبيتوشي مدرسة في البصرة بعد وروده بأيام بغية توطينه فيها ، ولكن أيدي الأقدار ، منعتهما عن بلوغ الأوطار ، إخترمت المنية المدرس ، قبل أن يقرر ويدرس ، والواقف قبل اتمام الوظائف ، فرحمهما الله رحمة الأبرار ، أودرّ عليهما شآبيب العفو المدرار ، فبكى عليهما كل يفاع ، واعمل في مراثيهما كل يراع .

رثى البيتوشي كثيرٌ من الأدباء والفضلاء ، منهم الشيخ عثمان بن سند ، رثاه بقصائد منها ما نشره في كتابه : (سبائك العسجد) كقوله :

على مثله يبكي يراعٌ ودفترٌ ... وتبكي أعاريضٌ عليه وأسطرُ
وتبكيه أجفان القضايا بأسرها ... إذا نزلت يوماً ولا ثَمّ حيدرُ
وتبكيه أبحاث الأعاريب لانه ... أبو بشرها إن عاص منهنّ مضمرُ
ويبكي عليه النثر ان قيل هل فتى ؟ ... أبرّ على سحبان إن قام ينثرُ
وتبكي عليه للمدارس أعينٌ ... جرَيْنَ على خد المدى وهي أبحرُ
ويبكي عليه العلم عُطّلَ نحرُهُ ... ويا طالما منه بدا فيه جوهرُ
وتبكيه أبحاثٌ له ودقائقٌ ... تبرقع إلاّ عن ذكاه وتعسرُ
ويبكي عليه حلمه ووقاره ... إذا جال في بُرد الشقاق الموقرُ
ويبكيه محرابٌ له ومنابرٌ ... أحال عليها بالمآثر يأمرُ
ويندبه الطلاب إن عاص معضلٌ ... وأشكل إشكالٌ وأعوز مُظهرُ
كفى حزَناً أني أمرُّ بقبره ... فأمضي وقلبي بالأسى متكسرُ

فلا دمعتي ترقى ولا سلوتي تُرى ... ولا ترحي يفنى ولا الصبرَ أقدرُ
وحقِ علومٍ زاخراتٍ بقلبه ... ومُنفجراتٍ من ذكاه تفجّرُ
وعهدٍ له عندي بقلبي طويته ... ولو أنه بالقول منيَ يُنشرُ
لقد هاجني وجدٌ عليه ولوعةٌ ... لها بين طيات الضلوع تسعّرُ
وعزَ عزائي واستحال تجلدي ... وأعوزني مما أبث التصبرُ
فها أنا ذا بالي الشوى متغيرٌ ... وها أنا ذا واهي القوى متحسرُ
وكيف اصطباري أو سلوّيَ عن فتىً
بذكراه أذيال الهدى تتعطرُ
مشارٌ اليه بالأصابع مذ بدا ... متى قام في نادي البلاغة يجهرُ
ولكنه للخير والبر فاعلٌ ... ولو أنه للعلم والحلم مصدرُ
ومشتغلٌ عما نهى الله بالذي ... به الله من أسنى المقاصد يأمرُ
وتمييز أرباب الضلالة والهدى ... فها حبُه تقوى وبغضاه منكرُ
همامٌ يُنادى للجميل وفعلهِ ... ولو أنه عما يضير مُحذِرُ
وما زال مُغرىً بالمكارم مولعاً ... لدُنْ شبَّ حتى شاب منه المعذّرُ
مضافٌ اليه كل فضلٍ وسؤددٍ ... ولو أنه بين الورى متصدرُ
تحنُّ المعالي نحوه وهو في الثرى ... فبطن الثرى مذ ضمّه الدهر يفخرُ
سقى قبره مُزنُ الرضى وتسحبت ... على تربة وارته للعفو أبحرُ
واني لأبكيه وإن لام لائمٌ ... وأشمتُ أعداءاً ولجّ مُعيّرُ
وأبكي له بيض الصفات وغرّها ... ولو أن دمعي ما أُبكّيه أحمرُ
وأندبه في بكرةٍ وعشيةٍ ... واني عليه بالبكاء مقصّرُ

فلو قمتُ أبكيه الليالي انه ... لأحقر شيء في علاه وأيسرُ
وكيف رقادي وهو في اللحد راقدٌ
وكيف بروزي وهو في القبر مضمرُ
فيا قبرُ ! إن أضمرتَ ظاهر ذاته ... فأوصافه فينا تذاع وتظهرُ
ويا جنة الفردوس بُشراكِ بامرىءٍ ... اذا اُحضر الأخيار فهو المصدّرُ
أغرٌ من الفتيان لم يألف الخنا ... عفافاً ولم يُلمم بناديه منكرُ
اُبكّيه ما دامت شموس علومه
على صفحات الكتب بالطرف تنظرُ
وما هتفت وُرقٌ فهجن صبابتي ... اليه ومن شأن العميد التذكّرُ

كان البيتوشي طويل العمر ، ويدل هذا على قوة بنيته الاصلية ، وعلى ايمانه وقناعته وعفته ، وكان قصير القامـة أسمر اللون ، يقول السيد رسول ابن السيد محمد البرزنجي في ترجمته لحياة الشيخ معروف النودهي المنشورة في مقدمة تخميس النودهي للقصيدة البردية المطبوعة (سـنة ٩٣٣ م ٣٥٢ هـ) في الصفحة (٩) : يقول الشيخ معروف النودهي [١] : « إني كنت تلميذاً عند استاذي (الشيخ محمد) الشهير

(١) هو السيد محمد الشهير بالمعروف ابن السيد مصطفى وحفيد السيد عيسى البرزنجي ، كان قدس سره عَلَم الهداية ، وسراج الامة ، وبحراً زاخراً في العلوم العربية ، وإماماً كبيراً في التفسير والحديث والفقه ، وكان صافي الذهن فياض القريحة ، ذا ذكاء وقاد ، وكان مع ذلك شاعراً بليغاً في العربيـة ، والفارسية ، والكردية ، له من المنظومات والمؤلفات ما ينيف على ستين مجلداً ، =

بابن الحاج بقرية (هزار مرد) ، وكنت جالساً في خدمته ، فجاءه رجل قصير القامة ، اسمر اللون ، فاستقبله الاستاذ وعانقه واجلسه بجنبه ، ثم قال لي : هذا هو الشيخ عبدالله البيتوشي ، ربما عرّفته عندك بانه تاج الأدباء ، ورئيس العلماء ، ما من علم الا وهو ألمعي فيه ، ولا فن الا وهو أوحدي به ، فعليك أن تضيفه بحجرتك ، واني قبل ذلك وجدت جملة من رسائله الأدبية ، كل منها كانت مشتملة على اللغة والأدب والنظم والنثر ، فقرأتها عنده ، ووجهني في تلك الأيام القليلة توجيهاً أدبياً صحيحاً ، وبذلك حصلت لي ملكة النظم والنثر » .

يظهر من هذا أن البيتوشي كانت له رسائل ادبية قبل ذلك السفر على كثرتها تتلى وتقرأ ، وتحفظ حفظ النفائس في الخزائن ، لكنها مع مزيد الأسف لم يبق منها شيء فدفن منها ما حفظ في الصدور ، وانعدم منها ما كتب في السطور .

كفى البيتوشي فخراً : أن مفتي بغداد (محمد فيضي الزهاوي) [١] الكردي ، والد جميل صدقي الزهاوي [٢] ـ الذي وصفه العلامة (السيد

= كلها آية في الابداع والبراعة ، تلقى العلم من الشيخ محمد بن الحاج في مدرسة هزارمرد ، ولد رحمه الله في قرية (نودي) بلواء السليمانية سنة ١١٦٦ هـ ، وتوفي ببلدة السليمانية سنة ١٢٥٤ هـ .

(١) هو محمد بن أحمد بن حسن بن رستم بن كيخسر بن أمير بابا سليمان ، ولد بالسليمانية سنة ١٢١٧ وتوفي ببغداد سنة ١٣٠٨ هـ .

(٢) هو جميل صدقي بن محمد فيضي الزهاوي ولد في بغداد سنة ١٢٧٩هـ وتوفي بها سنة ١٩٣٥ م .

محمود الآلوسي [1] صاحب تفسير روح المعاني في كتابه (غرائب الاغتراب) بانه ثالث الرافعي والنووي - كان يفتخر دوما بين علماء بغداد وادبائها ، بانه قرأ العلوم العربية عند العلامـــة الشيخ معروف النودهي، واخذ الأدب عنه ، والشيخ معروف هذا كان يباهي بانه صحب البيتوشي اياماً قلائل ، وانه قرأ عنده بعض رسائله الأدبية ، وبذلك تفتحت قريحته الشعرية ، وقويت فيه الروح الادبية .

ان قلب البيتوشي كان متعلقاً بوطنه الأصلي كردستان تعلق الطائر بعشه ، ، وكان متأثراً من ابتعاده عنه ، ومتأسفاً عليـــه ،وكانت ذكريات ايامه الماضية تملأ نفسه وتهزه فتجده في أكثر الأحيان باكياً حزيناً ، متألماً من غدر الأيام وجفائها ، وانه ما فتيء يحن الى وطنه ويشتاق اليه ، ويذكره في نظمه ونثره ، وفيه يقول في آخر رســـالته العراقية : « لـكن لا عتب على نازح صدع قلبه تذكر أوطانه ، صدع الزجاج ، واخلَّ منه طولُ حنينه الى اخوانه ، المزاجَ ، ففي دماغي من السوداء ، التي هي أسوأ داء ، ما لو صب في الفرات لانقلب نيلا ، أو حمل به رأس غيري لاندق عنقه ولو كان فيلا » .

ومما يبدو لي - وهو جدير بالذكر - أن الأسباب في تردد البيتوشـي بين وطنه كردستان وبين الأحساء التابعة لملكة نجد بسواحل خليج البصرة هذه المرات العديدة ، مع ما بينهما من بعد

(١) هو شهاب الدين أبو الثناء محمود بن عبدالله الحسيني ولد في بغداد سنة ١٢١٧ هـ وتوفى بها سنة ١٢٧٠ هـ .

الشقة وتحمل المصاعب ومتاعب الاسفار ، ولا سيما أن وسائط النقل كانت قليلة في ذلك العهد ومنحصرة في ركوب الدواب ، فنقول إن أهمها كما يظهر هو ما يأتي :

(١) عدم استتباب الأمن في كردستان بحيث يتمكن البيتوشي بكل حرية من إرواء غليله ، وبلوغ طموحه بالاتصال بالعلماء والفضلاء في مدارس كردستان المنتشرة في طول البلاد وعرضها ، بين الجبال والأودية الصعبة المرور ، المخيفة العبور ، وذلك بسبب مد الفتن وجزرها ، والحروب بين الايرانيين والعثمانيين على رقعة كردستان ، حيث يحرض كل منهما عشائر الاكراد ورؤساءها في الحدود على جيرانهم الأكراد ، فكانت الحرب سجالا بين العشائر المتاخمة للحدود ، حتى بين أبناء العشيرة الواحدة بل وبين الأب وابنه ، والأخ واخيه ، كما حدث فعلا بين بعض امراء بابان الملتجئين الى ايران واخيه الحاكم في كردستان ، بعد ان جهزته حكومة ايران بالعدد والعدد .

(٢) عدم تيسر اسباب المعيشة والاستراحة في كردستان بسبب الفتن والقلاقل كما بينا بحيث يتسنى لشخص البيتوشي الطامح بلوغ مآربه السامية واهدافه العلمية العالية .

(٣) وجود علاقة حب صادق وجاذبية مودة قاهرة بينه وبين أصدقاء أعزاء له بالأحسان في ايام الشباب والتحصيل ، وعلى رأسهم حاكمها الشيخ أحمد المار ذكره ، فكان البيتوشي رحمه الله منجذباً بتلك

العاطفة القاهرة والولاء الصادق بين آونة واخرى ، وبتعبير أصح أن البيتوشي في تلك الرحلات كان واقعاً بين دوافع القلاقل والاضطرابات والفوضى في بلاده ، وجواذب أصدقائه وأحبائه في الاحساء من جهة ، وبين قواسر الاغتراب والبعد عن الوطن والأهل والأقارب والأساتذة والتلامذة وخلان الشباب ، وأصدقاء الصبا والفتوة ، وبواعث حب الوطن والحنين اليه والى الأهل والأخلاء من جهة اخرى ، كما هو أمر طبيعي قاهر ، ويتضح ذلك بكل جلاء من قوله في قصيدته السابقة :

ولـكن دعاني لاغترابي معشر	غياث اذا الأهوال ماج عبابها
فهاجرتها هجر الحسام قرابـــه	على رغمها تبكي عليّ هضابها
على أنني أهتز مهما ذكـرتها	كما مال بالقوم السكارى شرابها

(٤) طموح البيتوشي الى طلب المعالي وحب الظهور الغريزي في كل انسان ، واكمال الشخصية الفذة بالاتصال بمجامع العلم والأدب ومجالس الفضلاء والادباء في الحواضر والعواصم ، وعدم تيسر ذلك في الانزواء بزاوية من زوايا كردستان المترامية الاطراف ، والبعيدة عن امهات المدن والمراكز الشهيرة .

علمه وثقافته وأدبه

تثقف البيتوشي بالثقافة العربية الأدبية والدينية ، فكان إمام المعقول والمنقول ، وكان وافر البضاعة ، غزير المادة ، قوي البيان ، واسع الذرع

في جميع العلوم الاسلامية ، وذلك بنبوغه الفطري وعبقريته الفـذة ، وله آثار وتآليف كثيرة ، دالة على سعة علمه وقوة بصيرته ، كما سيأتي البحث عنها كماً وكيفاً .

وكانت له - كما بينا - نزعة أدبية فائقة بالاضافة الى نزعته العلمية ، فكان منذ صباه ولوعاً بالأدب ، مشغوفاً بمطالعة فنونه دؤوباً على قراءته وحفظ الكثير منه ، وكان عديم النظير في زمانه بالنظم والنثر ، حيث خلّف تراثاً أدبياً غزيراً كالماء الزلال والسحر الحلال تناقله الألسن ويحفظه الادباء ، وقد حل محل الصدارة في عصره الذي عاش فيه وسيبقى على مر الزمن ما بقيت لغة القرآن ، وكان كثير الاستحضار لمستحسنات الشعر والحكايات الأدبيـة وأخبار الادباء والشعراء وأمثال العرب وحوادثها ، وأما اللغة وحفظ شواهدها وتقييد أوابدها فكان فيها اعجوبـة الأعاجيب ، وحسبك أنه حفظ القاموس المحيط ومقامات الحريري وكثيراً من الدواوين ، وبالجملة فانه شرب كؤوس الأدب حتى الثمالة ، ومما يدل على ذلك ابلغ دلالة هذه الفقرات الآتية من رسالته العراقية : « ... واني في أثناء ذلك لم آل في اقتناء علم الأدب ، وتتبع خفايا كلام العرب ، فقطعتُ من تلك الفنون الشجراء والمرداء ، وطويتُ منها الآهل والبيداء ، ولم أترك منها مورداً إلا وعرّست عليه ، ولا طللاً إلا وحثثت ركابي اليه ، حتى صار الأدبُ حشوَ إهابي ، وملءَ جرابي ، فطفقت أصوغ من الغزل والتشبيب ما تُغنّي به الغواني في سهواتها ، ومن الوعظ ما ترفضُ منه مآقي العبّاد في خلواتها ، ومن رقيق

المديح ما تندى له صفاة الشحيح ، ومن الهزل والمجون ما يطرب له العاقل والمجنون » .

وكانت رحلات البيتوشي سبباً في نمو أفكاره وسعة اطلاعه وصقل ذوقه في الشعر والكتابة ، ومعرفته بفنون الكلام ، وكان له بجانب ثقافته العربية ثقافة فارسية وكردية ، غير أنه لم يكتب إلا بالعربية ، سوى النزر اليسير من الأدب الفارسي والكردي ، وكان له خط جميل مع السرعة ، ولقد نسخ بنفسه لنفسه كتاب (شرح البهجة الوردية) للقاضي زكريا الانصاري بأربعة أجزاء في ستة أشهر تقريباً ، وبالجملة فان البيتوشي كان أديباً واسع المعرفة ، بعيد الخيال ، مرهف الحس ، رقيق الشعور لا يختلف اثنان في علمه وفضله ووقوفه على دقايق العربية ، حتى انه أتى بالمعجزة في باب الأدب ، ومن أغرب الغرائب انه صاغ قصيدة سداسية الأجزاء خاطب بها استاذه (ابن الحاج) رحمه الله مؤلفة من عشرة أبيات تتضمن مع الأصل سبع عشرة قصيدة ، وإحدى عشرة قطعة ، كل قصيدة مؤلفة من عشرة أبيات ، وكل قطعة مؤلفة من خمسة أبيات ، أي تؤلف منها القصائد والقطع المذكورة بنظرات خاصة واعتبارات مختلفة ، فكلمات القصيدة كقطع الشطرنج التي يلعب بها ، فكما أن تحريك كل قطعة منها يشكل نوعاً من اللعب ، وبامكانك تحريكها يميناً وشمالا فكذلك يلعب بكلمات كل بيت منها بأنظمة كلية ، فتصاغ منها باعتبارها القصائد والقطع العديدة ، وتنحصر مواضيع القصائد والقطع في التشكي من مكابدة الفراق وحرمان الوصال بتعابير

رقيقة وتراكيب بديعة مع الاحتفاظ بجودة المعنى ، وبلاغة الاسلوب ، وروعة البيان ، ومتانة القوافي .

والقصيدة من البحر الكامل وعروضه الاولى وضربها الثاني وهو المقطوع ، أي أن كل مصراع يحوي ثلاث مرات (متفاعلن) إلا أن متفاعلن الأخير منه نقل الى (متفاعِل) بسكون اللام كما أن كلاً من باقي أجزائه مضمر فيصير (متفاعلن) بسكون التاء ثم ينقل إلى (مستفعلن) .

عثرنا عليها في مجموعة خطية بمكتبة المرحوم الملا محمد بن الحاج ملا عبدالله الجلي بكويسنجق ، وقد كتبت هذه العبارة عنوانا لها : (هذه قصيدة واحدة تتضمن قصائد عديدة للفاضل البيتوشي مخاطباً بها استاذه (ابن الحاج) وكانت مجردة عن الشرح والتعليق وبيان كيفية تخريج القصائد منها ، ثم رأيتها في مكتبة الأديب الشيخ مصطفى آل الشيخ عبدالسلام بالسليمانية كتبت ايضاً بدون شرح أو بيان كيفية التخريج ، غير أننا استخرجنا منها القصائد والقطع الآتيـــة حسبما تراءى لنا ، وهذا هو أصل القصيدة :

يا سيدي ، زاد اكتسابي ، في الهوى
كربي عَلا ، من زفرتي ، وعويلي
رَبعي عفا ، فارحم شبابي ، قد ذوى … قلبي الصِلا ، من حرقتي ، وغليلي [1]

---

(١) الربع : الدار وما حولها . عفا : أي امحى واندرس . ذوى : ذبل ونشف ماؤه . الصلا : أصله صلاء بالهمزة النار ، حذفت للضرورة . الغليل : العطش الشديد ، أي صار قلبي ناراً من عطشي وحرقتي .

دا وِ الحشا، وارفع عذابي، بالدّوا يا ذا العُلا ، يا قبلتي ، وقبيلي
جُد بالولا ، في غربتي ، وسؤولي[1] بالمصطفى ، طال اغترابي ، باللّوى

والقاب في ، هذا التصابي ، ما ارعوى
بئس البـــلا ، واحسرتي ، وذبولي[2]

هذا الجفا ، فيـــه انقلابي ، كالشُّوا
شاوي الـكُلا ، يا نشوتي ، وشَمولي[3]

عطفاً فقد ، جدّ اضطرابي ، في الجوى
طال القِلا ، من شقوتي ، وخمولي[4]

عزّ الشفا ، من عُظم ما بي ، في النوى
المبتلى ، من كربتي ، ونحولي[5]

---

(١) اللوى : الرمل المتراكم المعوج في البوادي . السؤول: كثير السؤال وهو هنا كناية عن كـثرة الاحتياج .

(٢) التصابي : الميل الى اللهو واللعب . ارعوى : يقال ارعوى عن الجهل كف عنه .

(٣) الشوى : ما يشوى من اللحم . الـكُلا : جمع كُلية بالضم ، وشاوي الـكلا خبر بعد خبر لقوله : هذا الجفا . الشَّمول بالفتح : الخمر ، أي انني أتقلب في الجفاء والحسرة كما يتقلب اللحم المشوي على النار ، وفي الجمع بين الشوا والشمول والنشوة مناسبة لطيفة .

(٤) الجوى : شدة الوجد من حزن أو عشق . القِلا : البغض .

(٥) النوى : البعد والفراق . للمبتلى : متعلق بقوله : عز ، وهو إما مصدر ميمي أو اسم مفعول وقوله : من كربتي متعلق بالشفاء . النحول : ضعف =

لا صبرَ عن ، تلك الروابى ، للثوى
مرعى الطّلا ، يا جنتي ، ومَقيــلي[1]
لميا الشفا ، منها التهابى ، لا السّوى
خــيرَ الملا ، هي بغيتي ، فادعوالي[2]

وتصاغ من هذه القصيدة ست عشرة قصيدة اخرى ، ولاحدى عشرة قطعة ، إلا أن بعضاً منها من ألوان الشعر العربى الجيدة ولا تختلف عن أوزان الشعر المتعارفة كـكثير من الاشعار والموشحات الاندلسية ، اذ تضارع بعضها بعض المضارعة .

القصيدة الاولى تحصل بحذف الجزء الأخير من آخر كل بيت وجعل الـكلمة التي قبله منتهى البيت ، هكذا :

يا سيدي ، زاد اكتسابى في الـ هوى كربى علا من زفرتي

وهكذا إلى آخرها .

= الجسم، أي أن شفائي من الـكرب والنحول محال لعظم ما بي من البعد والفراق.

(١) الروابي : جمع رابية لما ارتفع من الارض . الثوى : الاقامـــة . الطلا : ولد الظبي ساعة يولد ، أي لا صبر على الابتعاد عن تلك الروابي التي خصصت للاقامة والتي هي مرعى الطلا .

(٢) لميا : أصله لمياء ، صفة مشبهة لمن اسودت شفتها مضافة إلى الشفا ، وهو حرف الشيء وطرفه ، والمضاف صفة للروابي . الالتهاب : الاحتراق . لا السوى : أي أن احتراقي منها لا من سواها ، فالالف واللام عوض عن المضاف اليه . خير الملا : منادى محذوف الياء بقرينة قوله : فادعوا لي . هي : مبتدأ راجع إلى الروابي .

الثانية ـ وهي من الرجز المجزوء المدور ـ تحصل بحذف الجزءين الأخيرين من آخر كل بيت من أصل القصيدة ، هكذا :

يا سيدي ، زاد اكتسا بى ، في الهوى ، كربى علا

وهكذا إلى آخرها .

الثالثة ـ وهي من الرجز المشطور ـ تحصل بحذف الشطر الثانى من كل بيت من أصل القصيدة ، هكذا :

يا سيدي ، زاد اكتسابى ، في الهوى

وهكذا إلى آخرها .

الرابعة تحصل بحذف الشطر الثاني والجزء الأخير من الشطر الاول من كل بيت من أصل القصيدة ، هكذا :

يا سيدي ، زاد اكتسابى

وهكذا إلى آخرها .

الخامسة تحصل بحذف الجزء الاول من أول كل بيت من أصل القصيدة ، هكذا :

زاد اكتسابى ، في الهوى كربى علا ، من زفرتي وعويلي

وهكذا إلى آخرها .

السادسة تحصل بحذف الشطر الاول من كل بيت من أصل القصيدة ، هكذا :

كربى علا ، من زفرتي ، وعويلي

وهكذا إلى آخرها .

السابعة - وهي من الرجز المنهوك - تحصل بحذف الشطر الثاني والجزء الأول من الشطر الأول من كل بيت من أصل القصيدة ، هكذا :

زاد اكتسابي في الهوى

وهكذا إلى آخرها .

الثامنة - وهي من الرجز المنهوك - تحصل بحذف الشطر الأول والجزء الأخير من الشطر الثاني من كل بيت من أصل القصيدة ، هكذا :

كربي علا من زفرتي

وهكذا إلى آخرها .

التاسعة - وهي من الرجز المجزوء - تحصل بحذف الجزء الأول والأخير من كل بيت من أصل القصيدة ، هكذا :

زاد اكتسابي ، في الهوى   كربي علا ، من زفرتي

وهكذا إلى آخرها .

العاشرة - وهي من الرجز المجزوء - تحصل بحذف الجزء الأول والأخير من الشطر الثاني من كل بيت من أصل القصيدة ، هكذا :

يا سيدي ، زاد اكتسا   بي ، في الهوى ، من زفرتي

وهكذا إلى آخرها .

الحادية عشرة تحصل بحذف الجزء الأخير من الشطر الأول والجزء الاول من الشطر الثاني من كل بيت من أصل القصيدة ، هكذا :

يا سيدي ، زاد اكتسابي   من زفرتي ، وعويل

وهكذا الى آخرها .

الثانية عشرة - وهي من الرجز المشطور - تحصل بحذف الجزئين الأخيرين من الشطر الأول والجزء الأخير من الشطر الثاني من كل بيت من أصل القصيدة، هكذا :

يا سيدي ، كربي علا ، من زفرتي

وهكذا الى آخرها .

الثالثة عشرة - وهي من الرجز المنهوك - تحصل بحذف الجزئين الأخيرين من كل شطر من أصل القصيدة ، هكذا :

يا سيدي ، كربي علا

وهكذا إلى آخرها .

الرابعة عشرة - وهي من الكامل المجزوء - تحصل بحذف الجزئين الأخيرين من الشطر الأول من كل بيت من أصل القصيدة ، هكذا :

يا سيدي ، كربي علا   من زفرتي ، وعويلي

وهكذا إلى آخرها .

الخامسة عشرة - وهي من الرجز المجزوء - تحصل بحذف الجزئين الأخيرين من الشطر الثاني ، ونقل الجزء الأول منه الى موضع الجزء الثاني من الشطر الأول من كل بيت من أصل القصيدة ، هكذا :

يا سيدي ، كربي عـــلا   زاد اكتسابي ، في الهوى

وهكذا الى آخرها .

السادسة عشرة - وهي من الكامل المجزوء المقطوع الضرب - تحصل بحذف الجزء الأول من كل شطر من أصل القصيدة ، هكذا :

زاد اكتسابي ، في الهوى　　من زفرتي ، وعويلي

وهكذا إلى آخرها .

القطعة الاولى - وهي من الرجز التام عروضاً وضرباً - تحصل بحذف الشطر الثاني من أبيات القصيدة ، وضم الشطر الاول من البيت الأول إلى الشطر الأول من البيت الثاني ، وهكذا إلى آخر القصيدة ، هكذا :

يا سيدي ، زاد اكتسابي ، في الهوى

ربعي عفا ، فارحم شبابي ، قد ذوى

وهكذا إلى آخرها .

الثانية - وهي من الكامل المجزوء المضمر المرفل المصرع زيد في عروضه للتصريع والحاقه بالضرب المرفل وإلا فلا ترفيل في عروض الكامل - تحصل بحذف الشطر الثاني والجزء الأخير من الشطر الأول من كل بيت من أصل القصيدة ، وضم الباقي من البيت الأول إلى الباقي من البيت الثاني ، هكذا :

يا سيدي ، زاد اكتسابي　　ربعي عفا ، فارحم شبابي

وهكذا إلى آخرها .

الثالثة - وهي من الرجز المجزوء - تحصل بحذف الشطر الثاني والجزء الأول من الشطر الاول من كل بيت من أصل القصيدة ، وضم الباقي من البيت الاول الى الباقي من البيت الثاني ، هكذا :

زاد اكتسابي ، في الهوى　　فارحم شبابي ، قد ذوى

وهكذا إلى آخرها .

الرابعة - تحصل بضم الجزء الثاني من الشطر الأول من البيت الأول الى الجزء الثاني من الشطر الأول من البيت الثاني من أصل القصيدة ، هكذا :

زاد اكتسابى ، فارحم شبابى

وهكذا إلى آخرها .

الخامسة - وهي من الكامل المصرع المقطوع الضرب والعروض ، والقطع في العروض إنما يجوز للتصريع والالحاق بالضرب في النقص وإلا فلا قطع في عروض الكامل - تحصل بحذف الشطر الاول من كل بيت من أصل القصيدة ، وضم الشطر الثاني من البيت الأول إلى الشطر الثاني من البيت الثاني ، هكذا :

كربي علا ، من زفرتي ، وعويلي   قلبي الصِلا ، من حرقتي ، وغليلي

وهكذا إلى آخرها :

السادسة - وهي من الرجز المجزوء - تحصل بحذف الشطر الأول والجزء الأخير من الشطر الثاني من كل بيت من أصل القصيدة ، وضم الباقي من البيت الأول إلى الباقي من البيت الثاني ، هكذا :

كربى علا ، من زفرتي   قلبي الصِلا ، من حرقتي

وهكذا إلى آخرها .

السابعة - وهي من الرجز المنهوك - تحصل بضم الجزء الأول من الشطر الثاني من البيت الأول إلى الجزء الأول من الشطر الثاني من البيت الثاني من أصل القصيدة ، هكذا :

كربى علا ، قلبي الصِلا

وهكذا إلى آخرها .

الثامنة - وهي من الرجز المنهوك - تحصل بضم الجزء الأول من الشطر الاول من البيت الأول إلى الجزء الأول من الشطر الأول من البيت الثاني من أصل القصيدة ، هكذا :

يا سيدي ، ربعي عفا

وهكذا إلى آخرها .

التاسعة - وهي من الرجز التام - تحصل بضم الجزء الاول من الشطر الاول والجزئين الاولين من الشطر الثاني من البيت الاول إلى نظائرها من البيت الثاني من أصل القصيدة ، هكذا :

يا سيدي ، كربى علا ، من زفرتي
ربعي عفا ، قلبي الصِلا ، من حرقتي

وهكذا إلى آخرها .

العاشرة - وهي من الرجز المجزوء - تحصل بضم الجزء الاول من كل شطر من البيت الاول إلى نظيره من البيت الثاني من أصل القصيدة ، هكذا :

يا سيدي ، كربى علا   ربعي عفا ، قلبي الصِلا

وهكذا إلى آخرها .

الحادية عشرة - وهي من الرجز المشطور - تحصل بضم الجزء الاول من كل شطر من البيت الاول إلى الجزء الاول من الشطر الاول

من البيت الثاني من أصل القصيدة ، هكذا :

يا سيدي ، كربي علا ، ربعي عفا

وهكذا إلى آخرها .

ويمكن تأليف قصائد وقطع اخرى منها ايضاً ، وذلك علاوة على ما استنبطناه سابقاً مع صحة الاوزان ، إلا أن معانيها لا تخلو من ركاكة فلذا تركناها جانباً .

والحق ان الصنعة في نظم هذه القصيدة بالغة غاية الإبداع ونهاية الاتقان وهي إن دلت على شيء فعلى نفوذ الذكاء وثاقب التفكير وطول الباع في اللغة والأدب والعروض ، وما ذلك على (البيتوشي) النابغة بعزيز ، يضاف الى ذلك أني لم أجد من ادباء العربية ـ قديماً وحديثاً ـ من سبق البيتوشي الى مثل هذا التبرز في هذا الميدان .

أجل ، إن الحريري (١) صاغ قصيدة سداسية الاجزاء في المقامة الثالثة والعشرين المعروفة بالبغدادية ، والقصيدة من البحر الكامل إلا أن الجزئين الاولين من المصراع الاول فيها مضمران ، والضرب مقطوع ، غير أن قصيدة الحريري تتضمن قصيدة واحدة فحسب ، وذلك بحذف الجزء الاخير من آخر كل بيت ، وهذه هي :

يا طالب الدنيا الدنيـــة إنها   شَرَكُ الردى وقرارة الأكدار

---

(١) هو أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان البصري الحريري صاحب المقامات المشهورة باسمه ، ولد سنة ٤٤٦ هـ وتوفى سنة ٥١٦ هـ .

دارٌ متى، ما أضحكت في يومها أبكت غداً تباً لها من دار

إلى آخرها .

ومما لا شك فيه أن البيتوشي اهتدى بأضواء هذه القصيدة ، إلا أنه أبدع وابتكر في فنه وسار به إلى نهاية الشوط[1] .

قال العلامة سماحة الشيخ محمد البشير الابراهيمي ، حينما زارني في مكتبي بالسليمانية سنة [١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م] ودار البحث بيني وبينه في هذه القصيدة ، قال إنها مقتبسة من قصيدة (أبي يحيى بن عاصم الوزير) الأندلسي المنشورة في كتاب (أزهار الرياض ، في أخبار عياض) .

---

(١) وقد تذكرت بهذه القصيدة الصنعة التي ابدعها السيد أحمد فائز البرزنجي الكردي في كتابه (كنزاللسين) فان هذا الكتاب عبارة عن أحدعشر علماً من العلوم الاثني عشر يقرأ بخمسة عشر نوعاً ، ويشتمل على قصيدتين فارسية وتركية ، وعلى أربعة ابيات باللغات الروسية والفرنسية والكردية ، وذلك كما يأتي:

إن الكتاب المذكور كما ذكرنا عبارة عن أحد عشر جدولاً ، الجدول الأول في علم الكلام ، والثاني في التفسير ، والثالث في الحديث ، والرابع في الفقه ، والخامس في النحو والصرف ، والسادس في الحكمة ، والسابع في المنطق ، والثامن في المعاني والبيان والبديع والآداب ، وكل هذه الجداول باللغة العربية ، والجدول التاسع قصيدة تركية في مدح السلطان عبدالحميد الثاني ، والعاشر قصيدة فارسية في مدح السلطان نفسه ، والحادي عشر أربعة أبيات ، واحد منها باللغة الكردية ، والثاني باللغة الروسية ، والثالث والرابع باللغة الفرنسية .

ومن أغرب الغرائب أنه اذا قرىء الكتاب أفقياً تنقلب الكلمات التركية والفارسية والفرنسية والروسية والكردية إلى كلمات عربية ، وتنقلب =

وبعد مطالعتها تبين أنها قصيدة مؤلفة من مائة وعشرين بيتاً ، كتب بعض كلماتها - في نسخة المؤلف - بالمداد الأحمر ، وبعضها بالأخضر تتولد من المكتوب بالأحمر قصيدة ، ومن المكتوب بالأخضر اخرى بديعة ، وكل واحدة من هاتين البنتين تلد موشحة ، ولكن بطريقة اخرى غير طريقة البيتوشي في استخراج القصائد ، فقصيدة البيتوشي الأم ، وطريقة استخراج القصائد منها ليست من وادي قصيدة ابن عاصم ولا مقتبسة منها ، على أن كتاب (أزهار الرياض) قد طبع بعد وفاة البيتوشي بسبعة واربعين ومائة عام ، ومن المستبعد جداً أن البيتوشي رأى إحدى النسختين الخطيتين من الكتاب المذكور اللتين عثر عليهما أخيراً في دار الكتب المصرية والخزانة التيمورية .

كتب البيتوشي بخطه في ظهر مسودة شرحه (الحفاية) المكتوبة بخطه أيضاً : ما ألطف قول القائل !! :

أقول لظبي مرَّ بي وهو سانحٌ   أأنت أخو ليلى ؟ فقال يُقال
فقلتُ يُقالُ المستقيلُ من الهوى   إذا مسَّه ضُرٌّ ؟ فقال يُقالُ

= جميع العلوم المذكورة والقصائد والأشعار إلى علم الفقه ووجوب طاعة السلطان وفضائل آل عثمان ، واذا لقطت من أواخر كل جدول في آخر الكتاب كلمة واحدة يحصل من مجموعها بيت عربي فيه تأريخ تأليف الكتاب ، وهذا البيت هو:

ما نيل ما أبدعتُ من عجائبي   لذا أتى التأريخ (من غرائبي)
١٣٠٣

وهذا الكتاب غير مطبوع ، ونسخته الوحيدة المقرظة بتقاريظ علماء استانبول وأدبائها موجودة لديَّ .

ثم يقول البيتوشي ولمـا وقفتُ على هذين البيتين عززتهما بثالث وهو قولي :

فقلت حبيبي ! هل يُقالُ بظلكم إذا جاءكم مُضنىً ؟ فقال يُقال

ثم يقول : ولا أظن رابعاً يأتي برابع والله أعلم .

في (يتيمة الدهر) للثعالبي[1] : ان البيت الأول لمجنون العامري[2] ، والثاني لأبي الحسن محمد بن رامين ، هذا ثم ان كلمة (يقال) في البيت الأول مضارع مجهول من قال يقول قولاً ، وفي الثاني من أقال إقالة بمعنى صفح ، وفي الثالث من قال يقيل قيلولة بمعنى نام في القائلة أي منتصف النهار .

فالبيت الأول بليغ والثاني أبلغ منه ، والثالث أبلغ منهما ، ولعمري إن في بيت البيتوشي من قوة الخيال ورقة الحسن ، وسلامة الذوق ، ما يشهد به كل أديب ، والبديع حكمه بعدم امكان الاتيان ببيت رابع ، أي من القافية نفسها لأنه لا يوجد في اللغة العربية (يقال) بالبناء للمجهول لمعنىً رابع حسب المعاجم الموجودة ، فلذا قال : (ولا أظن ، والله أعلم) .

والحق الذي لا مراء فيه أن البيتوشي كان خارقة الطبيعة ، ومعجزة

---

(١) هو أبو منصور عبدالملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي النيسابوري . ولد سنة ٣٥٠ هـ ومات سنة ٤٢٩ هـ ، له تآليف كثيرة طبع منها (٢٩) مؤلفاً .

(٢) هو قيس بن الملوح بن مزاحم بن قيس العامري توفى سنة ٨٠ هـ .

العصر ، وانه أمدّ بأدبه الغزير الأدب العربي بغذاء قــوي صالح .

ولنعم ما قال حاكم الاحساء الشيخ أحمــد بن عبدالله في قصيدته العصماء التي قالها في مدح البيتوشي والتي سنذكرها فيما بعد :

كل معنى رائقٍ في لفظــه كزناد فيــه لمع النار كنا
دبّج النظم بزاهي نظمــه (فالجنى الداني) لنا عنه تدنى

إلى آخرها .

يقول الشيخ عثمان بن سند الوائلي البصري في كتابه (سبائك العسجد ، في أخبار أحمد نجل رزق الأسعد) في الصفحات : [٣٤ و ٣٥ و ٣٦] : (إن الشيخ عبدالله بن الشيخ محمد الكردي ، الفائق بشعره الكندي ، أحد الأدباء الكرام ، والأقطاب الدائرة عليه رحى النظام ، والبحر الذي لا تنتهي عجائبه ، ولا تقاوم بالأفكار غواربه ، والسماء التي لا تأفل كواكبها ولا تبخل بالجود سحائبها ، ولا يكتنه مقدارها ، ولا تخسف أقمارها ، والمزنة الدافق مطرها ، والروضة الوارق زهرها ، قد رحل وهو غلام ، إلى بغداد والشام ، وارتفع له المقام ، فاستفاد وأفاد ، واستجاد وأجاد ، وبحث وحقق ، وقرر ودقق ، وأبدع وآنق ، وقيد وأطلق ، وحرّر وحبّر ، وعجّز وصدّر ، واختصر وطوّل ، حتى صار في الأدب الأول ، تأدب بالفضلاء ، وتهذب بالنبلاء ، وكتب فملك من القلم الناصية ، وصار فيه بمنزلة السنان في العالية ، وخطب فأقرت له مصاقع البادية ، وألقت اليه المسائل النحوية الأعنة ، فاجتنى زهر

رياضها المفننة ، وأماط عن وجوه مخدراتها الأكنة ، إن بحث في أدب البحث والمناظرة ، كان بنزارة العلم ناظرة ، أو في دقائق الهيئة فهو مركز الدائرة ، أو في الحكمة فهو فيها الأمثال السائرة ، قد قمر السيد[1] في التعريف ، وابن الحاجب في التصريف ، ولو رآه التفتازاني[2] بالناظر ، لقال إن هو إلا عبدالقاهر[3] أو السكاكي[4] والخطيب[5] لأقرّ اله في التلخيص والتهذيب ، برع في علم الميزان ، حتى غدا

---

(١) هو علي بن محمد بن علي المعروف بالسيد الشريف الجرجاني ، ولد في قرية (تاكو) قرب (استراباد) سنة ٧٤٠ هـ وتوفي في شيراز سنة ٨١٦ هـ له نحو خمسين مصنفاً منها التعريفات .

(٢) التفتازاني : هو مسعود بن عمر بن عبدالله من أئمة العربية والبيان والمنطق والكلام ، ولد بتفتازان من بلاد خراسان سنة ٧١٢ هـ وتوفى بسمرقند سنة ٧٩١ هـ ، له تآليف كثيرة مهمة أكثرها مطبوع وله حاشية مدونة غير مطبوعة على تفسير الكشاف وهي نادرة الوجود ، وعندي منها نسخة صحيحة .

(٣) عبد القاهر : هو أبو بكر عبدالقاهر بن عبد الرحمن بن محمد واضع أصول البلاغة ، من أهل جرجان بين (طبرستان وخراسان) له شعر رقيق وتصانيف مهمة ، توفى سنة ٤٧١ هـ .

(٤) السكاكي : هو أبو يعقوب سراج الدين إمام في العربية والأدب ولد بخوارزم سنة ٥٥٤ هـ وتوفى فيها سنة ٦٢٦ هـ .

(٥) الخطيب : هو يحى بن علي بن محمد التبريزي من أئمة اللغة والأدب ولد بتبريز سنة ٤٢١ وتوفى فيها سنة ٥٠٢ هـ .

ابن سينا [١] في البرهان ، وإن جرى في حلبة الاصول ، أفاد حاصل التحصيل والمحصول ، فلا غرو أن يحتاج المحصّل الى علمه والمترسّل الى نثره ونظمه ، والمشكلات الى فصله ، والمعضلات الى حلّه ، والمهمات الى ايضاحه ، والمظلمات الى مصباحه ، والمقدمات الى انتاجه ، والمطالب الى احتجاجه ، والأقلام الى بنانه ، والأحكام الى برهانه ، والأجواد الى تمدحه ، والمغلقات الى فتحه ، والمسائل الى تصحيحه ، والمعاضل الى تصريحه ، والاشارات الى تلويحه ، والعبارات الى تنقيحه ، والبلاغة الى تبيانه ، والبيان الى ايضاحه وبيانه ، والمعاني الى إشاراته ، والمباني الى عباراته ، والأغاني الى انشاده ، وخدود الطروس الى مداده ، والأشعار الى قوافيه ، والأسمار الى نوادر فيه ، ونحور الشواهد الى عقود اعرابه ، وصدور الفوائد الى نهود آدابه ، ولئن اشتهر صيته وطار ، لقد علا زُحل في سمو المقدار ، وسناء ذُكاء في رابعة النهار ، واحتاجت اليه المسائل احتياج الأرض الى الوابل ، والذابل العسّال الى العامل ، والحسام الى الضرب ، ويوح الى الشرق والغرب ، والبدن الى الروح والقلب ، وتجملت بدرره الأشعار ، تجمل المعصم بالسوار ، فافتقرت

---

(١) ابن سينا : هو أبو علي حسين بن عبد الله بن سينا الفيلسوف الرئيس صاحب التصانيف في الطب والمنطق والطبيعيات والالهيات ، ولد في إحدى قرى بخارى سنة ٣٧٠ وتوفى سنة ٤٢٨ هـ ، له نحو مائة تأليف ، وله شعر رقيق بالعربية والفارسية .

اليه الأدباء ، افتقار الصب إلى نشق الصبا ، واهتزت اليه طربا ، اهتزاز افنان الرُبا .

إذا نُشرت يوماً مطاوي نظامه   بمجلس آداب قُضي أنه الكندي
بلفظ شأى نظمَ الجُمان طلاوةً   ولكنه في الفكر أحلى من الشهد
هو الشعر عِقداً نظَّمته يد الذ كا   وشعر الفتى الكردي واسطة العِقد
كما أن مدح القرم أحمد ذي الندى   لك الله وردُ المجد أو زهرُ الحمد
إذا أخذ الكرديُ في نعت أهيفٍ
أراك الهوى العُذري يصبو إلى الكرد
ومهما جرى في مدح نهدٍ وناهدٍ   تيقنت أن لا وجد إلاّ الى النهد
وإن فاتني وصف الخرائد منجداً   فلا قلب إلا وهو يصبو إلى نجد
وإن أعرقت أشعاره في خرائدٍ   أراك قلوبَ الناس معرقةَ الوجد

وقد رحل إلى الحرمين ، فدُعي إمامهما ، ودخل الكوفتين ، فشأى محسّنهما ومعظمهما ، وصل الأحساء والبحرين ، فصار رأساً في صدورهما ، قضى شيخنا ذو الأرَب ، في عامٍ أرَّختُه : [جاه غرب] سنة ١٢١١ هـ) .

ويقول الشيخ عثمان بن سند أيضاً في كتابه (أصفى الموارد ، من سلسال أحوال الامام خالد) في الصفحة : [١٠٢] : « وممن لقيه في ذلك السفر ، فسُرَّ قلبه وطرفه أقر ، شيخنا عبدالله بن محمد الكردي ، الجهبذ المفرد ، البيتوشي الآلاني ، الخانخلي سيبويه الثاني ، كان - والله - نادرة الزمان ، نشأ في بيتوش وقرأ فيها القرآن ، وحصل العلم على أجلاَّء علماء بلاد بابان ، فممن أخذ هو عنه الامام (ابن الحاج) ،

وعني بالأدب فنفق به وراج ، ثم رحل من بلاده إلى بغداد ، ثم الشام فاستفاد من العلوم المستجاد ، وكان في أول أمره على أقدام التصوف ساعيا ، مثابراً على وظائفه ولأربابه مراعيا ، ثم آثر الاشتغال بالعلوم الرسمية ، وخص بمزيد الاشتغال الفنون اللغوية ، حتى أُلقي اليه زمام الأساليب الأدبية ، له شعرٌ يسحر الالباب برقته ، ويداوي العي بلطيف نفثته ، جمع مع الرقة الجزالة ، ونزل من البلاغة منزل البدر من الهالة ، ألّف المؤلفات الجمّة الفوائد ، وانفرد بأبحاثٍ هي الفرائد ، توطن في هجر البحرين ، فدُعي في علمائه العين ، ومدح ملوكه ببنات أفكار ، حيّرت في بداعتها مصادم هاتيك الاقطار ، ونظم ايام محاصرة (صادق خان) ، للبصرة تراجم الزواجر نظماً ضاهى عقود الجمان ، وشَرَحه شرحاً حل من البيان محل الروح من الجثمان ، ونظر إلى لطائف المآخذ من أنوار إنسان ، سمعتُ في الاحساء غالبه ، فخليتُ عاطلَ سمعي بالموجبة منه والسالبة ، وقرأتُ شرحه على نظمه حروف المعاني ، ومتن الألفية وشرح السعد على الزنجاني ، وشاركته في شرح الشافية في الصرف ، وسمعتُ شرح سقط الزند عام ألف ومائتين وأربع من الهجرة ، وشرح الفاكهي وحاشيته عليه مسوّدةً على الطرّة ، وشرح حسام كاتي وغير ذلك ، وكتبتُ من نظمه ما هو الشذرات والسبائك ، وانتفعتُ بدعواته ، وتوجه نظراته ، كان كثير التلاوة للقرآن ، قرأت عليه في أقصر الزمان ، برواية حفص عن عاصم ، فانه في هاتيك المعالم ، جزريّها وشاطبيها ، كما أنه على الاطلاق نحويُّها ، ولما خرج من الاحساء

فاراً بدينه ، توطن البصرة وكرع من جود (ابن درويش) في معينه ، فاتفق لقاؤه لمولانا (محمد أسعد) ، فتفاءل بمطالعته أن طالعه أسعد ، وشيخنا المذكور ممدود ، من تلامذة عبيدالله رحمه البرّ الودود ، وكنتُ أيضاً ممن لقيه في ذلك العام ، وتبرك بمشاهدته في ذلك المقام ، إلا أن زيادة الاحترام ، منعتني عن العرفان التام ، فبقيت متشوقاً إلى ملاقاته ، حائماً الى التحلي بافاداته ، إلا أن عوائق الأيام ، مانعتني عن بلوغ المرام ، لما ان شيخنا المار ، كثير الثناء عليه وعلى آبائه الأبرار ، حتى أنه أرسل الرسالة العراقية الى والده ، ففقأ بها عيون حساده ، رسالة نطقت منها المباني بأن منشئها البديع الثاني ، توفي في عام عشرة ومائتين والف ، فبقيت بعده باكي العين ، ورثيته بقصائد هي سلوان المطاع ، وسُلافة الأفكار والطباع ، وروماً للاختصار ، لم أنظمها في سلك التقصار » .

إن البيتوشي كان مالكاً ناصية التأليف والنظم ، فياضاً غير متردد ، وكان التأليف والتصنيف والنظم من أبسط الامور وأسهلها وأسرعها لديه ، ولا يمحو ما كتبه أو نظمه ، ولا يحاول تنقيحه وتصحيحه على العكس من غيره ، فان أكثر العلماء والأدباء اذا ألفوا أو نظموا شيئاً كانوا يصرفون وقتاً طويلاً في تنقيحه وتمحيصه ، فيكتبون ثم يطلّسون ما كتبوا ، ثم يعيدون كتابة ما طلّسوا وهكذا ، ودليلنا على ذلك أولاً أنه أكمل نظم كفايته المشهورة مع شرحه الكبير (الحفاية) في سبعة أشهر تقريباً ، ثانياً لأنني رأيت مسوّدة الحفاية بخط البيتوشي عند أحد أقاربه فلم أر فيها حكاً أو اصلاحاً أو طلساً أو تصحيحاً ، اللهم إلا شيئاً

يسيراً جداً ، ثالثاً كثرة الكتب والمنظومات العلمية التي ألفها أو نظمها ، وكثرة القصائد والرسائل الأدبية التي أرسلها إلى الامراء والادباء ، رابعاً أنه كان راضياً عما نظمه أو ألفه في شبابه بعد أن بلغ أشده ، وثبتت في المعارف قدمه ، كما سيتضح كل ذلك فيما بعد .

كان البيتوشي لسناً ، وكانت له مهارة في صناعة الجدل ، وحذق باهر في قوة الحجة وبداهة الفكر ، لا يلحقه فيها أحد إلا القليلون ، وانه ما ناقش أحداً إلا أفحمه ، ولا جادل عالماً إلا ألزمه ، ويقول في ذلك :

لديّ لجامٌ للجموح يردّه وعندي هجارٌ للشرود المندد (١)

لسانيَ يقضي لي شباه وحدّه إذا وهنت عما أزاوله يدي (٢)

إن البيتوشي كانت له ثقافة فارسية وكردية ، وكان أديباً فيهما أيضاً ، وأن أدبه الفارسي والكردي لا يقلاّن من حيث الروعة ، والبلاغة ، وقوة التفكير ، واتساع افق الخيال الرائع عن أدبه العربي ، إلا أنه لم يصل إلي منهما سوى شيء يسير سأورده فيما بعد .

---

(١) الهجار : حبل يشد في رسغ البعير ثم يشد الى حقوه . الشرود : بفتح الشين صفة مشبهة لما نفر وخرج من الطاعة . المندد : المخالف .

(٢) الشبا : جمع شباة حد السيف ، أي ان لساني ينتقم من الخصم بحده اذا ضعفت وعجزت يدي عن ذلك .

هذان البيتان مكتوبان بخط البيتوشي في مسودة شرحه (الحماية) المكتوبة بخطه أيضاً .

فقره وقناعته

لو تتبعت أخبار البيتوشي ، وأنعمت النظر في أقواله عن نفسه سواء ما كان منها نثراً أو نظماً ، لظهر لك بكل جلاء أنه لم يكن ذا حظ يذكر من حطام الدنيا ، بل كان - ككثير من العلماء والادباء - معدماً محتاجاً في أكثر أيام حياته ، قاسى من ذلك الأمرّين ، وجالد بالصبر نوائب الدهر ، ومتاعب الزمن ، وان حياته في أيام التدريس كانت أتعس منها في أيام التحصيل ، ومن غرر أشعاره المنبأة عن إملاقه وحاجته قوله :

ورِثَتْ همومَ أبي البشرْ أولادُه لما غَبَرْ
فجُعِلْتُ ذا حظين فيـ من غاب منهم أو حضرْ
فكأن آدمَ لم يخلِّف بعده غيري ذكر

ويقول فيما يقارب هذا المعنى أيضاً :

قُسِمَتْ همومُ أبي البريّة والبريّة شاهده
فحُبِيتُ ثلثيها وهم فيما بقي متوارده
فكأن آدم مات عن ابن وبنت واحده

ومن بدائع أشعاره في فقره وقناعته قوله :

يا أغنياء زماننا إنّ العنا من إرث آدم جدنا مثل الغنى
ما بالكم قد حزتم كل الغنى عنّا وأبقيتم لنا كل العنا
إما خذوا من ذا العناء نصيبكم أو لا ، فقولوا نحن أولاد الزنا

ومما يدل على قناعته وعلو همته أنه لم يتمن في هذه الابيات الثلاثة

مشاركة الاغنياء في دنياهم ، بل إنما طلب منهم أن يشاركوا رجال الاعمال والاصلاح في أعمالهم ، وأن يساهموهم في نصبهم وتعبهم. وله فيما يقارب هذا المعنى ايضاً قوله :

أودى أبونا آدم فتقاسمت أمواله الجهـال ظلماً دوننا [١]

إنا جميعاً نسل شخص واحد أترون أهلَ الفضل أولادَ الزنا

ومن أشعاره في التشكي من الايام قوله :

كفى حزَناً أني أموت ببلدة فواضل أهل العلم فيها جواهل [٢]

وجاهلها من كثرة المال فاضلٌ وفاضلها من قلة المال جاهل

فوا أسفاً ! ان المدارس عُطلت لقد هبط الأعلى وقام الاسافل

وقوله [٣] :

قلتُ للنفس إذ تـمادت لـكسب المجد جداً حِذار أن تتناهى

أُتركي فيَّ للسفاهــة باباً أطلبُ الدهر منه مالاً وجاها

على أنه كان مع فقره وعوزه ، قنوعاً باسماً منبسط الوجه زاهداً ورعاً ، وكان يأمر دوماً بالقناعة ويقول [٤] :

---

(١) هذان البيتان مع الابيات التسعة السابقة بخط البيتوشي نفسه على ظهر مسودة شرحه (الحفاية) المكتوبة بخطه ايضاً .

(٢) هذه الابيات الثلاثة في كشكول مخطوط للمرحوم الشيخ عبداللطيف السنوي بالسليمانية ، وفي مجاميع اخرى .

(٣) هذان البيتان منقولان من كتاب المترجم : (الحفاية) .

(٤) هذان البيتان والبيتان التاليان لهما منقولات من كتاب المترجم : (طريقة البصائر ، الى حديقة السرائر) .

اقنع من الدنيا بميسورها ... واشرب قَراح الماء في الكفّ
وكُفَّ نفساً طـال إهمالها ... فانما الراحــة في الكفّ (١)

وكان له تعمق روحي وصلابة في الدين مع تحرج وخشية ، وكان كبير النفس نبيلاً يترفع عن المعيشة الدنيئة وموالاة أهل المناصب والدنيا ، وكان يأمر دوماً بذلك ويقول :

تجنَّبْ موالاة أهــل الغنى ... فدنياهم عن قريب تبيد
ولازمْ مصافاة أهل التقى ... ولا تعد عيناك عنهم تريد (٢)

وكانت له كبرياء وعزة نفس وشهامة ، وكان يضرب في علوّ الهمة بسهم وافر ، ويتضح ذلك بكل جلاء من قوله من قصيدة سنذكرها فيما بعد منها هذان البيتان :

إلامَ في طلب الآمال يدفعني ... وجهُ البسيطة يمناها ويسراها
والله لم ترضني الدنيا ولو قدمي ... فوق الثريا ونعلي فوق جوزاها

ويعجبني من هذه المعاني قوله في رسالته العراقيــــة :

(وبعد فانى مذ طوّحتْ بي طوائح الاغتراب ، وأناتني عن شرف تلك الاعتاب ، لم يزل الدهر يرمقني شزراً ، ويلحظني خزراً ، ويوسعني هُجراً وهَجراً ، ويعطيني غارب كل هُجن ، وينيخ بى على كل وجين ، لا أسري منه إلا في داج داجن ، ولا أرد إلا على آجن ، يسومني خطة الأذى ،

---

(١) فانما الراحة الخ : اي ان الاستراحة في الكف عن الطمع ، ويوهم ايضاً الى ان الراحة - وهي باطن اليد - جزء من الكف ففيه تورية .

(٢) ولا تعد الخ : ففيه اقتباس واختزال .

ويقلاني قِلى المقلة للقذى ، لكنه مع ذلك يزاول مني فتىً شديد الشكيمة أبيّا ، ويرعى مني مرعىً وبيّا ، ويستمري مني دمماً عصيا ، ويخوض مني غمرة الدأماء ، ويزاحم مني صخرة صمّاء ، لا يتعثر مني إلا بحد صارمٍ قضيب ، ولا يعجم مني غير عود على ناب الزمان صليب ، لم يحملني - والحمد لله - تصريفه لأحوالي ، وإعلاله لآمالي ، على ابتذالي بالتملق الى والي ، حياءً من قولي الذي شرّق به الركبان وغرّبوا ، وأطرب أولي الالباب لما صعّدوا النظر فيه وصوبوا :

لا تمددنّ يداً يوماً لأخذ يدٍ ... ولو أضرّت بك اللأواء والنوب
فالصبر صبرٌ على مَنّ الرجال ولو ... أربى على المن والسلوى الذي وهبوا

على أن التعفف كان دأبي ، وأجمل ثيابي ، قبل أن أطوي بُرد شبابي ، فكيف وليل الشباب انقضى ، وصبح المشيب أضا :

اذا الفتى ذمّ عيشاً في شبيبته ... فما يقول اذا عصر الشباب مضى

بل كنتُ مما شاهدتُ من تقلّب الزمان بين قالبي البرد والحر ، وتبدله من الشر الى الخير ومن الخير الى الشر ، مغتبطاً بالعنا اغتباط المثري بالغنى ، واجتني من غصون المنايا ثمار المنى ، إقتفاءً لأسلافٍ كان ذلك سيماهم ، وقليل ما هم) .

وكان البيتوشي مع ذلك سريع البديهة ، حاضر الذهن ، سميراً لطيفاً ، خفيف الروح ، فكه المجلس ، حسن الدعابة ، يروى أنه ألجأته الايام السود مرة في عنفوان شبابه الى أن يعمل بالاجرة ، فاتفق مع جمالة ليساعدهم على سوق القافلة بأجرة زهيدة ، وكان على ظهر أول جمل من

القافلة هودج فيه نسوة ، وكانت الجمالة تحدو الابل كل بأحدوّة ، وكان كل واحد منهم يرفع صوته بها ، فجاءت النوبة على البيتوشي ، ولم يكن سمع قبل ذلك بالحُداء ، فأنشد قائلاً :

اني أقود جملاً ممراحا ذا قبـــة مملوءة احراحا

فسأله صاحب النسوة لم أتيت بالاحراح جمعاً مكسراً ؟ فقال لأنني أظن أن النسوة في الهودج مكسرات ليست بينهن بكر ، وكان الأمر كما ظن البيتوشي ، فتبسم السائل من الجواب .

ايمانه ووفاؤه

كان البيتوشي مؤمناً موحداً من أعماق قلبه ، ومن صميم فؤاده ، لا يشوب ايمانه أدنى شائبة من شوائب الشرك والفساد ، فكان يدعو الى التوجه الى الله وحده ، لا الى غيره من المشايخ والقبور ، ويقول :

بالحق لُذ يا من غدا في تيهِ حَيرته يهيم .(١)

من يعتصم بالله يُهـ ـدَ الى صراطٍ مستقيمْ

وكان قوي الاعتماد على الله ، متنسكاً ، عاملاً بعلمه ، قائماً بحقه ، جامعاً بين العلم والتقوى ، شديد الحرص على أداء الفرائض بالجماعة ، وعلى محافظة الرواتب المؤكدة ، وكان مغرماً بالقرآن وقراءته وتدريسه ،

---

(١) البيتان مثبتان في الكشكول المخطوط للملا عبدالله الامام بالجامع الكبير بالسليمانية .

لم تكن تمر عليه لحظة من دون عبادة أو إفادة ، وكان له صلابة في الدين مع تحرّج وخشية ، وكان دائماً بين الخوف والرجاء ، ويقول في هذا المعنى :

القلبُ من أجل ما قد جنيتُ يخشى ويَوجل[1]

والظنُّ فيه جميـلٌ ولطفه بيَ أجملْ

وكان مواظباً على السنّة ، متجنباً البدعة ، ويقول في التحذير من استنان سنّة سيئة :

يا محدثاً سنّةً في الدين سيئـةً أقصر فانك قد بالغت في ضررك

المرء يعجز عما قد جنى أترى تقوى على وزر مَن يأتي على أثرك ؟

وكان فخوراً بعلمه ، لا يعد لنفسه مزية أرفع ، ولا عزاً أمنع من كونه عالماً تقياً ، وأديباً واسع المعرفة ، وكان يرجح العلم والتقوى على الجاه والمال ، والنسب والنشب ، ويقول في ذلك :

الفخرُ في التقوى اذا رمتَ أن تفخر لا في نسبٍ أو رتبْ

ما رفع القربى أبا طالبٍ ولم يضع سلمان بُعدُ النسبْ

كان البيتوشي وفياً لا ينسى فضلا أو نعمة لأحد عليه ، ونلمح في شعره الوفاء لمن أحسن صحبته ، وبذل له الاحسان ، ومن ذلك قوله في بعض مراسلاته الأدبية التي لم نعثر عليها مع مزيد الأسف :

---

(١) البيتان مع الابيات الاربعة التالية منقولة من كتاب (طريقة البصائر) للمترجم .

أقول ـ والشوق قد شبت لواعجه ... في القلب مني وفي الأحشاء نيرانا[1]
يا مَشرعاً عذُبت منه موارده ... إني اليك لقد أصبحتُ ظمآنا
الله يعلم أني لم أزل أبـــداً ... أطوي حشايَ على الود الذي كانا
فهل خليل ـ ولا لي دونه أملٌ ـ ... يرعى وفائي كما أرعاه ، أم خانا ؟
فقُوا وخونوا وجوروا واعدلوا فأرى
في الحـــالتين لـكم فضلا واحسانا

ومن دلائل وفائه رثاؤه المشهور للشيخ درويش الـكوازي العباسي، من آل عبدالسلام ، وحنينه الى الايام التي قضاها في كنفه ، بقصيدته الدالية التي هي من عيون قصائده ، والتي سنوردها فيما بعد .

إن البيتوشي كان يأمر دوماً بالوفاء والشكر لصاحب الفضل والنعمة ويقول :

بُثّ الثناء لمن أولى اليك يداً ... ان كنت تعجز أن تجزي بما واسى[2]
فقد أتى من رسول الله سيدنا ... لا يشكر الله من لا يشكر الناسا

ويقول أيضاً :

---

(١) هـذه الابيات الخمسة مثبتة في مجموعة خطية بمكتبة الشيخ محمد العسافي بالبصرة .

(٢) واسى : أي واساك به غيرك ، لا يشكر الله الخ : يحتمل روايتين نصب الاول و رفعه مع نصب الثاني ، ثم ان هذين البيتين والبيتين التاليين منقولات من كتاب (طريقة البصائر) للمترجم .

جُد بالذي ملكت يمناك من نشبٍ ... كي يشكروك اذا ضمّتك أرماسُ [1]
أما سمعت حديثاً صح مُسنده ... لا يشكر اللهُ من لا يشكر الناسُ

ويقول في ملازمته أهل الفضل :

عليك بأهل الفضل والزم فناءهم ... وإن لم تكن منهم تنل بهم فخرا [2]
ألم تر أهل الكهف ما إن يزال كلـ ... ـبهم في كتاب الله يتلوهمُ ذكرا

يظهر مما نقلناه من كتاب (سبائك العسجد) للشيخ عثمان بن سند ، ومن الابيات الثلاثة الآتية للبيتوشي انه زار الحجاز وأدى فريضة الحج ، وبقي في تلك الربوع مدة اتصل فيها بأقطاب العلم والأدب هنـــاك ، وتوثقت بينه وبينهم عرى الصداقة والمودة ، بحيث انطبعت على صفحة خاطره ، وجملته يذكرهم في شعره ويقول :

ما أمرّ الفراق يا خيرة العر ... ب وأحلى الوصال بعد البعاد [3]
يا أهيل الحجاز أن غرامي ... للقاكم ما إن له من نفاد
أحسنَ الدهر أم أسا فرجائي ... نظرة منكم تجي بمرادي

---

(١) ارماس : جمع رمس وهو القبر لا يشكر الله الخ : يحتمل روايتين نصب الاول ورفعه مع رفع الثاني والتقدير لا يشكره الناس .

(٢) هذان البيتان مثبتان في مجموعة خطية بمكتبة الشيخ محمد العساقي بالبصرة .

(٣) سمعت هذه الابيات الثلاثة من الملا احمد البيتوشي .

شعره وشاعريته

كان البيتوشي رحمه الله شاعراً بفطرته ، ينبع القريض من لسانه وقلمه ، بين آن وآخر ، ولما يبلغ العشرين من عمره ، وبعد أن شعر بفطرته هذه ، لم يهجر القريض كل الهجر ، ولكنه لم يوجه اليه كل همه ، ولا جعله شغله الشاغل وذلك لما طغى عليه من ناحية اخرى مما فطر عليه وهو أقوى وأشد ، وأعني به نبوغه العلمي ، وأن يكون مشاراً اليه بالبنان كامام ، فلا يقول الشعر ، ولا ينظم القريض إلا بين الفينة والفينة بمناسبات تنبه مشاعره ، وتحرك عواطفه كما يظهر ذلك بكل وضوح من قوله في قصيدة دالية ، قالها في مدح الشيخ أحمد بن محمد بن رزق ، والتي سنثبتها فيما بعد ، حيث يقول :

مع أنني لا أرتضي بالشعر لي ... لقباً وإن يكُ كله من عسجد
يأباه لي علمي وآبائي الألى ... ورثوا المكارم سيداً عن سيد
لكنْ أحيـــاناً أذود بنظمه ... عن خاطري همّ الزمان الأنكد

ظل البيتوشي مستمراً على دأبه هذا فكان يقول الشعر بين آونة واخرى ، وكان يثبته في صلب كتاب من كتبه أو في حاشيته أو في ورقة على حدة .

وفي حدود سنة ١١٥٥ هـ - وعمر البيتوشي يومئذ عشرون سنة تقريباً - نظم الكافي في علمي العروض والقوافي ، لكي يمتحن به قريحته ويعرف درجة مقدرته الشعرية .

ساعده على اتقان فنه الشعري استعداده الفطري السليم ، وذوقه الرقيق ، واستغراقه في قراءة الأدب القديم بحيث امتزج بنفسه ، وتمثل في لفظه ومعناه .

إن أكثر أشعاره التي بأيدينا هي في مواضيع علمية ، كمنظومة الكفاية ، وحديقة السرائر ، والمكفرات ، والعروض والقوافي ، وغيرها ، ولكنه مع ذلك كان شاعراً في الحب والغرام ، والمدح والرثاء ، والوصف والعتاب ، والشكوى والمداعبات ، بل وفي كل المعاني المعروفة ، والأغراض المألوفة ، وله قصائد طويلة وقصيرة ، كما أن له مقطعات منها الثنائيات ، والثلاثيات ، والرباعيات والخماسيات ، وقد أجاد في كل ذلك إجادة تشهد له بشدة الرسوخ ، وسعة الخيـــال ، والوقوف على معاني الشعر وأساليبه العربية ، وربما كان لكثرة رحلاته وانتقاله في العراق وايران وسورية ونجد أثر في اتساع مدى فكره الشعري ، وكان دائماً يغوص في طلب المعاني ، ثم يصوغها ببراعة ، فينشد القصائد والأشعار بمناسبات توقظ مشاعره ، وتنبه عواطفه ، وكان يجمع الى حسن التعبير وفصاحة اللفظ وبراعته جودة المعنى وصحته وسمو المرمى والتفكير ، وكان ما يعانيه من قلة ذات اليد ومن رقة الحال يلهمه أحياناً قصائد في المدح مجتديا بها ، كما ان بهاء الطبيعة وجمـــال المناظر في وطنه الأصلي كردستان كانا يولدان في نفسه حب الجمال ، ويوحيان اليه دائماً بعاطفة الحب والغرام ، وبالجملة فانه شاعر مدح ان جواد منح ، وشاعر غزل لمن غزال سنح ، وقد بلغ في هذين الفنين أسمى ما يبلغه شاعر ، ومن الغزل

قوله من قصيدة لم يصلنا منها سوى هذه الابيات الثلاثة التي سمعتها من العلامة الشيخ محمد القزلجي حفظه الله ، وما أعذبها !! :

لم أنس إذ بانت لنا في ليلة   من فرعها ونهار وجه نيّر
في خُرّدٍ بيض الترائب نُهّد   سود الغدائر ضُمّخت بالعنبر (١)
قَضبانُ بانٍ فوق كُثبانٍ زهت   من فوقهنّ شقائق ابن المنذر (٢)

وقوله وهو من نوع الزجل :

أحاف بين غدا   للخاق بالمرصـــاد (٣)
وخَطّ في صحن خدّكْ   آلمَص (٤)

---

(١) الخرد : جمع خريدة وهي البكر التي لم تمس . الترائب : جمع تريبة لموضع القلادة من الصدر . النهد : جمع ناهد للمرأة التي نهـــد ثدياها . الغدائر : الذوائب .

(٢) تضاف الشقائق الى النعمان بن المنذر ، لانه جاء الى موضع وقد اعتم نبته من أصفر ، واحمر ، وفيه من الشقائق ماراقه فقال : ما أحسن هذه الشقائق ، احموها ، وكان أول من حماها فلذا اضيفت اليه .

(٣) هذه الابيات الاربعة مثبتة في ظهر مسودة (الحفاية) المكتوبة بخط البيتوشي .

(٤) المص هذا اللفظ فاتحة سورة (الاعراف) من القرآن الكريم ، وفواتح السور من قبيل المتشابه الذي استأثر الله بعلمه ، غير ان البيتوشي استخدم هذه الكلمة في معنى غرامي وهو أنه أشار بالألف إلى أنف المحبوبة ، وباللام الى صدغها ، وبالميم الى فمها ، وبالصاد الى عينيها .

والنورِ والطورِ والآ ياتِ التي في ص[1]
لا بــدَّ ما يرتوي من عذب ريقكْ صاد[2]

وقوله :

ومحيــاكَ عاذلي لو رآكا لم يكن قط لامني في هواكا[3]
قام بدرُ الدجى يباهيك لكن مع ذاك البهاء ليس هُناكا
أخبرتني الوشاة أنيّ سالٍ صدقوا وقد سلوتُ لكن سواكا
كيف أسلو وليس يسلو سوى القلب وقلبي أفنيته في هــواكا

وقوله :

شتتني شتّ الأولى كانوا مقيمين سَببا
أفنى شبابي في الهوى والقلب والدين سَببا
فلا رعى لي صحبةً ولا رعى لي نسبا

وقوله :

مالي أبكي عليكَ فتزدا دُ بهاء وبهجةً وبشاشه[4]
قال إنّ الرياض تزهو إذا ما نلنَ من واكف السحاب رشاشهْ

---

(١) النور والطور و ص : اسماء لثلاث سور من القرآن الكريم .

(٢) الصاد : العطشان .

(٣) ومحياك : الواو للقسم . هذه الابيات الاربعة مع الابيات الثلاثة تاليتها مكتوبة بخط البيتوشي في ظهر مسودة شرحه (الحفاية) المكتوبة بخطه أيضاً .

(٤) هذان البيتان والبيتان التاليان لهما منقولات من كتاب (الحفاية) للمترجم ، وكذلك الأبيات الأربعة الآتية .

وقوله :

أيا عذولي لو رأيتَ دَعْدا تبينُ خداً وتصونُ خدّا
تُريك قرباً وتُريك بُعدا صرتَ لها إن رضيتَكَ عبدا

إن البيتوشي كان يتوسم في كل نظرة اشارة ، وفي كل ابتسامة إلهاماً شعريا ، ووحياً روحياً ، وكان يجد في الحب ينبوع الشعر والحكمة ، لذا تراه دائماً يصف في مقدمات قصائده ، وخاصة في شواهد (الكفاية) عواطف الشباب ، ولواعج الحب والغرام ، وخواطر العشق وما اليها باسلوب فني متين ، يطرب السامع ، غير انه غلبت عليه في آخر أيامه نزعة صوفية فكان يتجنب حتى النظرات العفيفة فيما اذا كانت مظنة لشبهة غرام وجالبة لأنظار الرقباء والوشاة ويقول :

ليَ عينٌ أراحني الله منها وفؤادٌ عدمته من فؤاد
تلك تغري بي الوشاة وهذا في مطاوي الحشا كجمر الرماد

ويقول :

يا مولعاً بهوى الأوتار والنغم وهائماً بجباه الغيد واللمم
مسرّةٌ تنتج الأحزان عن كثب
لا خيرَ في شبَعٍ يفضي الى التُخَم

ان ملكة الشعر عند البيتوشي قد بلغت حد الكمال في النمو والنضج ، فشعره رفيع القدر ، بعيد عن التكلف ، كأنه نثر مع اتقانه في النظم ، فلا تدري - وأنت تقرأ - أتقرأ نظماً منثوراً ، أو نثراً منظوماً ؟ كما قال هو نفسو في مقدمة منظومته (حديقة السرائر) :

منظومةٌ لكنها كالنثر   تكاد كالماء الزلال تجري

هذا في منظوماته العلمية ، وأما في غيرها فنجده كثير الاعتناء باللفظ والصنعة ، كقوله في مدح سليمان بك بن عبدالله الشاوي :

فهو العصامي العظامي الذي   بوجوده وجدوده زان الدنا

كما نجده أحياناً ينحو في أشعاره منحى القدماء من الوقوف على الاطلال الدوارس ، ومناجاة المنازل ، وذكر العيس والعنس ، والبيد والسبسب ، ومراتع الظباء ، وأحياناً يذكر الألفاظ الغريبة الثقيلة على السمع والفهم على سبيل الأعراب كقوله :

يا من يزحّي عَنسه العَملّسا   العيطموسَ العرمس العرندسا

وللبيتوشي كثير من المعاني المبتكرة ، قد فاز في استخراجها بقسط وافر ، وانفرد بابداع معان سامية لم يسبقه اليها أحد ، منها حكمه على كرام العصر بالعنة ، وعلى عداتهم بالعقم ، الأمر الذي يستوجب - لا محالة - انقراضهم من بيننا ، فيقول [1] :

كان الكرام اذا ما ألقحوا عِدة   إما غداً وضعتْ أو لا فبعد غدِ

والآن عُنُّوا جميعاً أم عِداتهم   صارت عقاماً فاستيأسنَ من ولد

فقد جمع البيتوشي في هذين البيتين بين الالقاح ، والوضع ، والعنة ، والعقم ، واليأس من الولد ، كل ذلك مع الاجادة في الاستعارة ، وحسن الالتئام في العبارة ، والابتكار في المعنى ، والابداع في المبنى ، ويقول البيتوشي : لم أجد من سبقني إلى النزول في ميدان هذا المعنى .

---

(١) هذان البيتان منقولان من كتاب (الحفاية) للمترجم .

ومنها قوله :

ورِثتْ هموم أبي البشرْ أولادُه لمّا غبرْ

فجُعِلتُ ذا حظين فيـ من غاب منهم أو حضرْ

فكأن آدمَ لم يخلّـ ـف بعده غيري ذكر

وقوله :

قُسِمتْ همومُ أبي البريّة والبريّة شاهده

فحُبِيتُ ثلثيها وهم فيما بقي متوارده

فكأن آدم مات عن ابن وبنت واحده

لقد أسلفنا ذكر هذه الأبيات الستة في فصل (فقره وقناعته ، فالأبيات الثلاثة الاولى تقول : إن الهموم والغموم التي خلفها أبو البشر قد قسمت على أولاده ، فكان للبيتوشي سهمان ولسائر أولاده سهم واحد ، فكأن آدم خلّف ابناً واحداً هو البيتوشي وبقية أولاده بمثابة بنت واحدة وللذكر مثل حظ الانثيين .

والأبيات الثلاثة الأخيرة تقول : ان الأحزان والأشجان التي خلفها آدم قد قسمت على أولاده ، فجعل للبيتوشي ثلثاها وللباقين الثلث الباقي ، فكأن وراثة آدم كانت منحصرة في ابن و بنت فقط ، وهذان المعنيان في التشكي من الأيام وآلامها معنيان مبتكران لم يسبق اليهما أحد مع ما فيهما من الاشارة الى مسألة من مسائل علم الفرائض .

ومنها قوله في تفضيل وجه الممدوح على البدر في قصيدته التي مدح بها سليمان بك الشاوي وستأتي فيما بعد :

قد كاد يحكي البدرُ غرّة وجهه ثم انتهى فكأنه ما مُكّنا
فلذا اكتسى ثوب الخجالة والضنى أو ما ترى فيه انخناساً وانحنا

يعني يحاول القمر من أول الشهر الى ليلة البدر أن يحسّن نفسه ويقرّبها من جمال وجه الممدوح ، وعندما يرى نفسه ليلة البدر لا يشبهه تماماً يخجل ويحاول إخفاء نفسه وراء الستار عن أعين الناظرين ، ويخنس ليلة فليلة ثم ينحني ظهره غماً وأسفاً حتى يمّحي تماماً .

ويبدو لي أن هذا المعنى مبتكر لم يسبقه اليه أحد غير أنه يوجد بيتان باللغة الفارسية يقربان من هذا المعنى ، وهما :

هرشب مه‌نوسوى فزو نى تازد
تا همجو جمال تو جمالى سازد
درچارده هم شب چوبخود پردازد
چون نيست چوروى توزخود بگدازد

ولا نعرف صاحب هذين البيتين ، وهل تعاصر الشاعران أم تقدم أحدهما على الآخر ؟ ومن المتقدم ؟ هذا ما لا نعرفه ، ولكنه كثيراً ما يعرض المعنى للشاعر فينظمه ولا يمر بخاطره وقت نظمه أنه مسبوق به ، وربما كان مما لم يقف عليه في شعر غيره ، وباب التوارد واسع ، كما وقع لكثير من الشعراء ، مع العلم بأن إسناد الخجالة ، وإخفاء النفس مع الخنوس والانحناء إلى القمر غير موجود في البيتين الفارسيين ، وان مدار البلاغة والابتكار هو هذه المعاني .

وللبيتوشي تضمينات بليغة لأشعار بعض المتقدمين من الشعراء

فيأخذ البيت أو البيتين فيضمهما ببيت واحد ، وأبدع ما يظهر من براعته أنه يحول المعنى الأصلي إلى معنى آخر وينقله من القصد الذي قيل فيه الى غيره في دقة ورقة سبك ، وهذا النوع يدل على سعة ذرع في النظم وقوة تصرف في الفن ، فمن تضميناته قوله مضمناً بيتين (للمعري) في تشبيه فرند السيف بالجدول وآثار دبيب النمل :

انظر الى دمعي القاني وعارض مَن
بخده قد غدا يزهو على القمر [1]
(ما كنتُ أحسب جفنا قبل مسكنه
في الجفن يُطوى على نارٍ ولا نهر)
(ولا حسبتُ صغار النمل يمكنها
مشيٌ على اللُّج أو سعي على السُّمر)

فالجفن في شعر المعري بمعنى غمد السيف ، ويشار بالنار الى لمعان السيف ، وبالنهر إلى الخطوط والجداول الموجودة في متن السيف ، وبصغار النمل إلى النقط والنقوش الموجودة على السيف ، وباللج إلى بياضه ، وبالسُّمر - جمع سمير - الى حدة السيف .

ومما يوجب الدهشة أن بيتي المعري يتبدل فحوى جميع أجزائهما بمجرد التضمين ، وينقلب من الأساس رأساً على عقب ، فيصير الجفن بمعنى

---

(١) هذا التضمين منقول من شرح المترجم لمنظومته في العروض والقوافي .

غطاء العين ، ويراد بالنار والنهر الدموع الحارة الجارية بكثرة ، وبصغار النمل عذار المحبوب ، وبالثلج غرّته البيضاء المتلألئة ، وبالسُمُر حمرة خده ولهيبه .

لعمري إن في هذا التضمين من الخيال اللطيف والفكر الدقيق ما لم يسبق له نظير .

ومنها قوله مع التورية :

ما رماني غيرُ طرفي في الهوى　　فاذا اشتد الهوى أنكره[1]

(لا بذا يرضى ولا يرضى بذا　　قُتل الانسان ما أكفره)

فالبيتوشي أتى بالبيت الأول بدلاً عن قول الأصل :

يتمنى المرء في الصيف الشتا　　فاذا جاء الشتا أنكره

فالانسان في الأصل على معناه القريب ، وفي التضمين على معناه البعيد وهو انسان العين .

ومنها قوله في تضمين بيت لابن الفارض[2] من قصيدة :

لم أنس بيتاً قاله بدر الدجى　　يشكو إلى مَن بالصبابة مُتلفي

(لا تحسبوني في الهوى متصنعاً　　كلفي بكم خُلُقٌ بغير تكلّف)

فالبيتوشي أتى بالبيت الأول على لسان البدر بدلاً عن البيت الذي قبل البيت الثاني ، وهو قوله :

---

(١) هذا التضمين مع التضمينين الآتيين منقول من كتاب (الحفاية) المترجم .

(٢) هو أبو حفص عمر بن علي بن مرشد الشاعر المتصوف المشهور ولد سنة ٥٧٦ هـ وتوفي بالقاهرة سنة ٦٢٢ وله ديوان شعر مشهور متداول .

لو أن روحي في يدي ووهبتُها ... لمبشّري بقدومكم لم أُنصِفِ

فالكاف في الأصل بمعنى الحب والولع ، وفي التضمين بمعنى النقط السود في البدر .

ومنها قوله في تضمين البيت الثاني لعامر بن جوير الطائي يصف بها سحابة وأرضاً نافعتين :

همتْ مقلتي بعدما أبقلتْ ... خدودٌ سقى الله إمحالها

(فلا مُزنةٌ ودقَتْ ودقها ... ولا أرضُ أبقلَ إبقالها)

فبالتضمين ينقلب المراد من السحابة إلى المقلة ، ومن الأرض إلى خدود الأحبة بعد ظهور العذار عليها .

وللبيتوشي في الجناس والتورية قوله في مليح حجبوه خوفاً من إفتتان الناس به ، ثم أذنوا له في الخروج بعد أن حلقوا حاجبيه [1] :

كان هلالا حاجبَيْ بدريَ آ ... لمحجوب قوساً في يدَيْ حاجب

فمذ حلقتم حاجبيه غدا ... يبرز كالشمس بلا حاجب

ففي حاجب وحاجب في عجز البيتين الجناس التام ، وفي ثانيهما التورية أيضاً ، إذ اريد بالأول حاجب بن زرارة التميمي الذي لقوسه قصة مشهورة ، وهي انه رهنها عند كسرى على أن يرعى قومه في أرض العراق . وحاجب الثاني له معنيان ، الأول القريب وهو حاجب الوجه ، ورشحه ذكر الحاجبين ، والثاني البعيد ، وهو الحاجب الذي يحجب غيره

---

(١) هذان البيتان مع ما يليهما من أربعة أبيات تالية لهما كلها مثبتة بخط البيتوشي على ظهر مسودة شرحه (الحفاية) المكتوبة بخطه أيضاً .

عمّا يريده ورشح هذا المعنى ذكر المحجوب ، هذا مع ما في البيتين من مراعاة النظير بين الهلال والبدر والشمس ، وجناس الاشتقاق بين حاجبي والمحجوب ، وحسن التشبيه وغير ذلك مما لا يخفى على أهل الأدب .

وله في الجناس قوله :

قلتُ لمن أرسل لي طاقةً   من ياسمين بعد صدٍ وبين
إن صدق الفألُ فما عنده   لي - وهو ظني - غير يأسٍ ومين[1]

وله في التورية قوله :

قد جُرتَ في القَسْم لمّا   أنأيت عنّي دارَك
صيّرت دمعيَ جاري   والقلبَ مني جارَك

حيث إن كلمة (جاري) يمكن أن تكون مضافة إلى ياء المتكلم بمعنى الجار ، أو تكون اسم فاعل من الجريان ، ولكن حذف تنوينه للتورية .

وله فيها أيضاً قوله[2] :

تَسبي لبّي عروضيٌّ بشكل   بديع لا يحاكيه مليحُ
فقلتُ تركتني من غير عقل   فقال لأنه عندي قبيحُ

إذ يمكن أن تكون كلمة عقل بالمعنى اللغوي وهو النور الروحاني ، أو بالمعنى الاصطلاحي العروضي ، وهو حذف الحرف الخامس من الجزء السابع حال كونه محركاً كما في (مفاعلتن) فيصير به (مفاعتن) فينقل

---

(١) الفأل : بمعنى التفؤل . المين : الكذب .

(٢) هذان البيتان منقولان من شرح المترجم لمنظومته في العروض والقوافي .

الى (مفأعلن) فالعقل بهذا المعنى قبيح في نظر العروضيين ، كما أن العقل بالمعنى اللغوي قبيح عند بعض الأشخاص السُّذج الذين يمنعهم من الطرب عند سماع الأشعار والأوزان المطربة .

وله في وصف تشبيهي بديع لمناظر بعض الأجرام السماوية بتعابير طريفة متناسقة تملك القلوب وتسحر الألباب قوله :

تبيَّنَ المريخُ في الصبح والـ ... شهبُ تولّت مُلكُها منصرمْ (١)
كالبطل المعلَم يعدو به ... أشهبُ إثر العسكر المنهزمْ (٢)

وقوله :

لمّا بدا عيّوقُ يتلو الثريـ ... ـا وحده رق له قلبي
كمُدْلج منقطع عاقه الـ ... إعياء أن يلحق بالركب

إن البيتوشي كغيره من الشعراء - حينما تتقدم بهم السن - بكى شيبه وبكى على شبابه في أبيات كثيرة . ومن أقواله في التشكي من تولي الشباب وغدره بمفارقة لا رجعة بعدها ، ثم اقبال الشيب على الزمالة والمصاحبة إلى الأبد للمواساة في تلك المأساة على رغم منه وبلا انتظار ، وذلك بأسلوب بليغ وتصوير فني معجب ، قوله :

---

(١) الشهب : النجوم ، وملكها ظلمة الليل التي تختفي رويداً رويداً أمام ضوء الصبح ، وباختفائها يختفي سائر النجوم والكواكب .

(٢) المعلم : الذي يشهر نفسه بعلامة يعرف بها . الأشهب : الفرس الأبيض . ثم ان هذين البيتين مع ما يليهما من سبعة أبيات مكتوبة بخط البيتوشي على ظهر مسودة شرحه (الحفاية) المكتوبة بخطه أيضاً .

سألتُ - وقد خان الشبابُ - أليس لي
خليـلٌ يفي لي صحبتي باقيَ العمر ؟
فقال مَشيبي هاك منيَ صاحباً وفيّاً يفي حتى يواريك في القبر
فياليتما ذاك الخؤون أخو وفا ويا ليتما هذا الوفي أخو غدر

ويقول فيما يقارب هذا المعنى :

أياشباباً بانَ مني على رغمي وقد كان َصدى صوتي
إن كنتَ خلاًّ خان فالشيب لي خلٌ يواخيني إلى الموت

وله أيضاً في التشكي من إقبال الشيب وظهور بوادره ، قوله[١] :

بدت شعرةٌ بيضاء في أصل لِمتي فبادرتُها بالنتف خوفاً من الحتف
فقالت على ضعفي اعتديت بقوة رويدك للجيش الذي جاء من خلفي

ومن مُلح البيتوشي ولطائفه الأدبية قوله[٢] :

إنّ مَن رام انقلاب النذل عن خسّة الطبع الأبيّ الجـاع
مثلُ ذي جهل يرومُ القلب عن روث ثورٍ أو حمـارٍ راع

أي ان الذي يحاول بوعظه وارشاده قلب الأشخاص الأنذال عن خستهم ودناءتهم إلى الشهامة والمروءة ، كجاهل يحاول تبديل روث الثور أو الحمار الأحمق إلى شيء آخر من دون فائدة ، ألا ترى أن الروث والثور ينقلب أحدهما إلى الآخر وكذلك الحمار والراع والنتيجة واحدة .

---

(١) هذان البيتان مثبتان على ظهر مسودة (الحفاية) المكتوبة بخط البيتوشي .

(٢) هذان البيتان مثبتان في كشكول مخطوط بمكتبة (بياره) .

وقوله :

لمتُ أخاً لي لومَ أهل الصفا لمّا غدا للصفع مستهدِفا
فقال لي دعنيَ في حالتي فالصفع عفصٌ لجلود القفا[1]

وقوله :

تخيّرِ اللطم إن تُخيّر ما بين صفع القفا ولطم
فكثرة اللطم صاحِ تُدمي وكثرة الصفع صاحِ تُعمي

ومن مُلح البيتوشي في مجونه أثناء المسامرات والمداعبات كما كان كثير من الأئمة كالسيوطي وابن الوردي[2] والصفدي[3] وعبدالوهاب الشعراني[4] يأخذ في هذا المأخذ قوله[5] :

---

(١) هذان البيتان والبيتان التاليان منقولات من كتاب المترجم : (الحفاية) ، هذا ولأبي الرقعمق في هذا المعنى قوله :

والصفع إياك منه فالعمى أبداً بغير شك منوط بالمصافعة

وقوله أيضاً :

فلا تترك الصفع جهلا بــــه فما أحسن الصفع لولا العمى

(٢) ابن الوردى : هو زين الدين عمر بن مظفر بن محمد ابن أبي الفوارس ابن الوردي شاعر وأديب ومؤرخ ولد في معرة النعمان وتوفي بحلب سنة ٧٤٩ هـ له مؤلفات كثيرة مع ديوان شعر .

(٣) الصفدي : هو صلاح الدين أبو الصفي خليل بن ايبك بن عبدالله الصفدي ولد سنة ٦٩٦ هـ ومات سنة ٧٦٤ .

(٤) عبد الوهاب الشعراني : هو أبو محمد عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني ولد بمصر سنة ٨٩٨ هـ وتوفي بالقاهرة سنة ٩٧٣ .

(٥) هذان البيتان والبيتان التاليان مكتوبات بخط البيتوشي على ظهر مسودة شرحه : (الحفاية) المكتوبة بخطه أيضاً .

قالت فتـاةٌ بين أترابها ـِصفْ حسننا الباهر كي نتبْلَهْ[1]
فقلتُ لا تجزمُ كي فانصبي قالت أردتُ القلب يا أبلهْ

أي لا تقولي (كي نتله) بل قولي (كي نتلهّى) ، وفي قوله : أردت القلب جواب الاعتراض ، وتريد بالقلب قلب عبارة (كي نتله) .

وله في المعنى قوله :

يا هادياً طُرُقَ المعمّـ ـى ماهراً في أمرها
ماذا ترى في أُمِّ عـــمِّ جئتها من دُبرها

أي اذا قرأت عبارة (ام عم) مقلوبة صارت (معمى) .

ان البيتوشي علاوة على أنه كان شاعراً بليغاً كان له التمكن التام من التصرف في اللغة العربية على أصح وجه وأفصح تعبير ، وأشد ما تتجلى براعته حينما يبني القوافي على لزوم ما لا يلزم كقوله في رسالته العراقية : (آجنا ، داجنا ، ماجنا ، معاجنا ، محاجنا) ، أو على نوادر الصيغ كقوله فيها أيضاً : (كرخهِ ، شرخهِ ، فرخهِ ، مرخهِ ، فليرخهِ) .

وللبيتوشي أدب فارسي وكردي راق يضاهي أدبه العربي ، ومن أدبه الفارسي قصيدته في تاريخ ولادة (يوسف بك ابن شيخه بك البيتوشي) التي سجلها بخطه على ظهر مجموعته الخطية الموجودة في مكتبة باش أعيان بالبصرة حيث يقول :

يوسف بن شيخه بيگ آن حاكمي کز کمالش رفته بر گردون صدا
والهٔ ديــدار او هر گلرخي داعی درگاه او هر بی نوا

---

(١) نتله : باسكان التاء لاقامة الوزن .

سام رتبت گیو هیبت صف شکن　　چرخ صولت دل قوی رستم لقا

فاخته از شکر طوق نعمتش　　گشته در گلشن چو بلبل خوش سرا

با وجود نوجوانی در هنر　　گشته هر پیرو جوانرا پیشوا

نیست بیتوش از وجود جود او　　جز بهشت جاودان با صفا

شکر ایزد کاندرین ایام جود　　عادلی چون اومرا داده خدا

یار او ناشد بهرجا لطف حق　　همرکابش باد خضر رهنما

خفته باشد بخت اعدایش همی　　دولتش پاینده تا روز جزا

هم زاولادش مزین باد تخت　　تا بود دردست حق حکم قضا

بود در تاریخ میلادش دلم　　همچو کور کوچه گرد بی عصا

یاوری جستم زطبع وحدتش　　کش بود در فن تاریخ اعتنا

گفت از هر بیت حرفی باز گیر　　از اوائل ابتدا تا انتها

يعني : [إن يوسف بن شيخه بك هو الحاكم الذي وصلت أصوات كماله إلى عنان السماء

[مفتون لرؤية محياه كل مليح ، وطالب للوقوف أمام بابه كل مسكين

[بطولاته كبطولة سام بن نريمان ، وهيبته كهيبة گيو بن گودرز ، محطم لصفوف الأعداء ، سطوته كسطوة الفلك الدوار ، قوي القلب ، مبارزته كمبارزة البطل رستم بن زال . .

[إن الفاختة تترنم مغردة في الحدائق كالبلابل من شكر نعمته التي هي كالطوق في عنقها .

[إنه على صغر سنه صار قدوة حسنة للشيب والشباب .

[ليست بيتوش من جوده وسخائه إلا جنة الخلد ذات الصفاء .

[الشكر لله على أن وهبنا في هذه الأيام السمحة عادلا كهذا .

[فلترافقه الألطاف الالهية في كل مكان ، وليصاحبه الخضر الهادي إلى السبل .

[ليكن حظ أعدائه نائماً ، ولتكن دولته قائمة إلى يوم الجزاء .

[ليتزين بأولاده كرسي الملك ما دام حكم القضاء باقياً في يد الحق .

[كان قلبي في تاريخ ميلاده كالأعمى المتجول بدون عصا .

[فاستعنت بالقريحة و ذكائها الحاد لتعينني في فن التاريخ .

[فقالت خذ من أول كل بيت حرفاً من أول القصيدة إلى آخرها] .

فاذا التقطنا من أول كل بيت من الأبيات الثلاثة عشر حرفاً واحداً يحصل منها قوله : (يوسف بن شيخه بيك) الذي صدر به أول القصيدة ، ويكون تاريخاً بحساب الجمل لسنة ميلاده وهي سنة ١١٥٥ هـ .

ومن أدبه الفارسي أشعاره الآتية التي سجلها بخطه على ظهر كتاب (البهجة المرضية) المكتوب بخطه أيضاً ، ويقول :

خون مينا بقدح ريز وبمن ده ساق تادگر خندهٔ بيجا بحريفان نزند

تير درمعرض هجر است زآغوش وصال

خنده سوفاربه دلگيرى پيكان نزند

يعني أهرق دم القارورة (وهو الشراب) في القدح ، واسقنيه كيلا تقهقه بعدُ بالندامى في غير محله ، يريد بالقهقهة . بقبقة القاروة عند تفريغها بما فيها .

إن السهم مع كونه في معرض الهجر عن حضن الوصل فان فوهته لا تضحك بانقباض قلب النصل .

ويقول :

خطى كه بگرد رخ خوبان زده اند

بردفتر بختم خط بطلان زده‌اند

زان خط كه برعارض آنجان زده اند

عشاق زمانه فأل قرآن زاده اند

يعني ان الخط الذي ضُرب على أطراف محيّا الحسان (يعني الشعر الناعم الذي ينبت حول وجه الأمرد في أوائل المراهقة) قد ضرب خط البطلان على سجل طالعي ، وان الخط الذي خُط على عارض ذلك الحبيب الذي هو بمثابة روحي من جسدي اعتبره العشاق والمولعون به فألاً حسناً .

ويقول :

لقمهٔ غم بگلويم ره فرياد گرفت

أزره شرع مرا باده حلال است امروز ؟

سرمـــهٔ فتنـه عزيز است بچشم ايام

نرگس خسته ات اى سرو چه حالست امروز ؟

يعني ان لقمة الكآبة والأسى في حلقي قـــد سدت مني طريق الاستغاثة ، فيحلُ لي شرعاً تجرع الخمر لاساغتها .

إن الاثمد الفتان لعزيز في عيون أهل الزمان ، فكيف بنرجسك الغض المريض .

ويقول :

خواهم كه نخواهم بجزاز ساقى ومى　　جويم كه نجويم بجزاز مطرب ونى

اندرحرم كعبه قدح پيمودن

خوش مشرب وحالتيست هى هى هى

يعني أُحب أن لا أُحبّ من الدنيا سوى الساقي وشرابه ، وأُريد أن لا أُريد سوى المطرب وآلات طربه .

فبخ بخ لو يُملأ القدح من الشراب في حريم كعبة وصال الحبيبة .

ويقول :

از شك موج ريز من اندر فراق او　　بحر محيط از عرق شرم آب شد

يعني بسبب دموعي المتلاطمة الأمواج من مفارقة المحبوب ، قد عرق بحر المحيط خجلاً وصار ماء .

ويقول :

محرابرا بگو كه زما دل تهى كند

خورشيد روى ماه مراچون زوال نيست

يعني قل للمحراب أن يستيئس مني ولا ينتظرني لأن شمس محيا حبيبتي التي هي كالقمر رقة ولطافة لا تبرح رابعة النهار .

ويقول :

بديده ميكنم ازمردمان نهانت ليك

سواد ديدهٔ من هم تهى ز مردم نيست

يعني اني قد اخفيك في عيني ، أيتها العزيزة عن أعين الناس خوفاً

عليك من أذى أعينهم ، ولكن - مع الأسف - لا يخلو سواد عيني من الانسان [1] .

ويقول :

فكر لعل نمكين داشتنم يمنى چه   تخم درشوره زمين پاشتنم يمنى چه

يعني لا أمل لي في املاك المليح (أي شفتيك) ، كما لا أمل لذر البذر في الأرض السبخة .

ومن أدبه الكردي هذا البيت الذي أوردته مجلة (كهلاويژ) الزاهرة في جزئها الأول لسنة ١٩٤٥ م والذي يدل بمبناه ومعناه على أنه من قصيدة بليغة رافية في التوحيد ويقول :

له ديباچهى كتابى حسنى عالهم ههر ورق لادهم

دهبينم مبحثى وصفت لهههر فصلى ، لهههر بابى

يعني كلما أتصفح أوراق المقدمةمن كتاب حسن العالم ، أرى وأقرأ مبحث أوصافك يا إلهي في كل فصل وفي كل باب .

نـــثره

تزود البيتوشي من خزائن الأدب القديم ما لاءم طبعه ، وارتشف من منهله العذب ما راق به ذوقه السليم ، ووعى ما وعى من تراث ادباء العربية الأقدمين فغدا كاتباً ناثراً ، وشاعراً بارعاً ، وصار من عباقرة أهل الفن والأدب ، فهو اذا كتب نثراً أرسل طبعه مع سجيته ، فجاء

---

(١) يعني انسان العين .

عفواً لا غبار عليه ، وسهلاً لا صعوبة فيه ، هـذا في اسلوب تآليفه العلمية . أما في اسلوب المكاتبات والرسائل الأدبية فعلى ضرب من النثر الشعري ، أو الشعر النثري ، ويهتم بالصناعة اللفظية من السجع والجناس والطباق والتورية ، إلى غير ذلك من أنواع الزخارف البديعية ، إلا أنه مع ذلك كان مسيطراً على أن يُخضع الألفاظ للمعاني لا العكس كبعض أصحاب المقامات .

والحق أن البيتوشي كان شاعراً في الصف الأول من الشعراء لا بمعنى الشعر المنظوم بل بمعنى الشعر الذي هو التعبير الجميل عن خلجات النفس وخطرات القلب .

إن الكتابة عنـده لم تكن تعابير ومعاني اعتيادية ، بل كانت فناً وصناعة بحيث تستحق الخلود ، ولا تزال رسائله تشهد بسعة علمه ، وقوة تفكيره ، وبسطة بيانه ، وتمكنه من اللغة والأدب ما قلّ أن يتفق نظيره لشخص آخر ، وهاك فقراتٍ من رسالته العراقية التي كتبها إلى (عبيد الله الحيدري) في جواب مكتوبه ، لترى ما فيها من الخيال الرفيع ، وبلاغة التشبيه ، وفصاحة التعبير ، وشدة التأثير ، ودقة التصوير إذ يقول : « ... وما برِحتُ من الشجى والخليّ في ثوبَي معذُرة وتعنيف ، إلى أن أتاني من جنابه الشريف ، كتابٌ فحاويه أرقُّ من ماء الشباب ، ومعانيه أحلى من رضاب الخود الكعاب ، لم يترك من الجزالة طريقة إلا حواها ، ومن السلاسة صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، فوقفتُ على ما فيه من بدائع الفنون ، وقوف شحيح ضاع في الترب

خاتمه ، فألفيتُ عقدَ مجمل سرّه المصون ، كما فصّل الياقوتَ بالدر ناظمُه ، ورأيتُ أصداف ألفاظه تنفلق عن اللؤلؤ المكنون ، كما افترّ عن زهر الرياض كمائمه ، فتضاعفَ عند قراءته على قلبي المحزون ، من الشوق والتبريح ما الله عالمه ، وكأن جفني حين بادره بالدمع الهتون ، كريم رأى ضيفاً فدرّت مكارمه ، فلله كاتبُ ذلك الخط ، فلقد حطّ بعدما قط ، فأتى بما لم يسبق اليه قط ، وسطّر ، فعطّر ، وأوجز ، فأعجز ، وقرّر ، فحرّر ، وجمع جمع تصحيح لا مكسّر ، الى حُسن كتابةٍ سخرت ألفاتها بالقدود ، وواواتها بالأصداغ فوق الخدود ، وسيناتها بالطُرر على الغُرر ، وصاداتها بالعيون ولو استعانت بالحور ، ولاماتها بالعذار على سوالف العذارى ، وميماتها بالأفواه ولئن تركت راشفيها سكارى ، ونوناتها بالحواجب ، ولئن أنافت في الفخار على قوس حاجب ، فلا غرو أن وقعت تلك الألوكة من قلوب الأُدبا ، موقع الطل من أقاحي الربا ، وأطربتْ حتى مَن لم يفهم معناها ، فصار كأنه أعمى معنّىً يحب الغانيات ولا يراها ، فشكرتُ عند ورودها من ذلك الجناب ، شكر الروض للسحاب ، وحمدتُ الله على أن أجناني ثمرة شجرة إخلاصي في ولائه ، واقامتي على دعائه ، واذاعتي لعبير ثنائه ، ولقد زادني سيدي بما كتب ، إجلالاً عند جحاجحة العرب ، حتى إني حللتُ من كل صدرٍ محل جنانه ، ومن كل عين محل انسانه ، وقلّدني نعمةً لا أقارف كفرَها ولا أفارق شكرَها ، الى أن تفارق الحمائم أطواقها ، والجوزاء نطاقها » .

مؤلفـــاته

كان البيتوشي علماً من أعلام العلم ، وإماماً يأتم الهداة به ، ونبراساً نيّراً يستضاء به ، وكان مع فرط ذكائه المتوقد ونبوغه الفطري نشيطاً مقداماً في ميادين العلم والأدب وانساناً متديناً انسانياً يكرس جهوده المتواصلة ومواهبه الممتازة لخدمـــة العلم والأدب والدين والانسانية وافادة طلاب العلوم من الاقاصي والاداني بدون ملل أو توان ، سواء بالدرس والتقرير ، أم بالشرح والتفسير ، أم التأليف والتلخيص ، تارة بالنظم كالشرر ، وأخرى بالنثر كالدرر ، فأفاد وأجاد وألف فجمع من جواهر الأدب ودرره ، وهذب فنقح من اصول العلم وغرره ، وفتح اكمام الأزهار ، وأشعل مشاعل الأنوار ، وملأ بتآليفه وآثاره القيمة البلاد والأقطار ، وحل بباعه الطويل غوامض الأحاجي ومشاكل الأسرار ، وكان ينظم المتون باسلوب أدبي سهل ممتنع ترغيباً للطلاب ، وتسهيلاً على المتعلمين في درسها وحفظها ، ثم يشرحها شرحاً ممتازاً عن غيره من الشروح بصحة المادة وحسن التأليف وكمال الايضاح وحسن التنسيق ، بلا اطناب ممل ، ولا ايجاز مخل ، وهو فضلا عن كونه شارحاً ومقلداً كان واضعاً ومبدعاً ومجدداً ، وكان من أمهر نظّام التواريخ الشعرية الحسابية ، وستجد نماذج من شعره في هذا الباب .

وبما أن تآليفه الثمينة لم يطبع منها إلا الكفاية ، وشرحها المسمى بصرف العناية ، وكلها رهينة يد القضاء والفناء ، ونسخها قليلة نادرة ، وقد انهالت عليها عوادي الزمن ، وأشرفت بها على الفناء والتلف ،

وبخاصة أنها محبوسة في مكتبات منسية مسدودة الأبواب ، تحت أكوام من التراب ، أو في زوايا النسيان ، تحت رحمة الحدثان ، كأنها كنوز مستورة في خرائب مهجورة ، يكاد يمتنع أن تصل اليها أيدي صيارفة العلم والأدب ، ولذا رأينا الأحسن بل الألزم أن نأتي على سرد ما وصل الينا حتى الآن من تآليفه في هذا الباب ، مع اقتضاب في التعايق على كل منها بما يعن لنا من التعريف وبيان المكانة الأدبية للكتاب . ولذا فسنضطر إلى نقل نماذج ومقتطفات من كل من هذه التآليف تنويراً للعلماء والادباء وتشجيعاً للمتنورين من أهل الفضل والسعة ، وإثارة لهممهم ، لأن يوجهوا عناية الهمة ، وحمية الفضل وذويه إلى هذه التآليف الثمينة والآثار الأدبية القيمة ، وذلك بجمعها ونشرها بعثاً لها من مرقدها ، وتخليصاً لها من براثن الضياع والتلف .

١ ـ الكافي : منظومة نظمها البيتوشي في علمي العروض والقوافي ، بأبيات ساطعات ، كأنجم لامعات ، في أساليب وعبارات غاية في السلاسة والوضوح ، وهي عبارة عن ثلثمائة وسبعة وعشرين بيتاً ، نظمها في أيام شبابه لكي يجرب بها قدرته ، ويكتشف بها قريحته الشعرية حيث يقول :

هذا ابتدا نظميَ في الشباب ... فلا تبادر صاح بالعتاب
وإن تجد فيه خلافَ الأدب ... فالطبع كرديٌ وهذا عربي
وإنمـــا نظمته لمثـــلي ... لا للحوق بالألى من قبلي
وما قرأتُ أبـــداً في سني ... مؤلفـــاً أُلفَ في ذا الفن

لكنّ ربي ذا العطا والمنع سهّل لي تجربتي لطبعي
في نظميَ الكافي للخواص منّ على الجميع بالاخلاص
مُسمياً إياه نظمَ الكافي في عِلميَ العروض والقوافي
فهاك جِداً جاء مِن مِزاح لما انطوى فيه من الفلاح
وربّما حذفتُ ما عنــه الغنى مختصِراً وزدتُ ما به الغنى
فالحمــــد لله على توفيق عبــاده لواضح الطريق
ثم صلاتــه مع السلام عليــه في المبدء والختــام

لقد برهن البيتوشي بهذه المنظومة بادئ ذي بدء على أنه شاعر مجيد ومقتدر على نظم المعاني ، ورسخ في قلبه أنه وُهب للأدب .

وتوجد مسودة هذه المنظومة بخط المؤلف في مكتبة باش أعيان بالبصرة ولم يكتب لها تأريخاً للنظم إلا أنه كتب على ظهر أول صفحة منها بخطه قصيدة فارسية بتاريخ ١١٥٥ ﻫ في تاريخ ولادة يوسف بك بن شيخه بك البيبوشي ، التي ذكرناها سابقاً ، ومن هذا يغلب على الظن أن المنظومة كتبت قبل القصيدة ، وأياً ما كان فان البيتوشي نظم هذه المنظومة في باكورة العمر حينما كان يترقرق في وجهه ماء الشباب ، ويستنتج من هذا أنه كان راضياً عما نظمه أو ألّفه في شبابه بعد أن بلغ اشده وثبتت في المعارف قدمه .

٢ - الوافي ، بحل الكافي : شرح فيه منظومته هذه سنة ١١٧٩ ﻫ بمدرسة بيتوش الصيفية ، وهو شرح وافٍ بالمرام وموضح بلا إطناب ولا ايجاز ، ويقع فيما يقارب مائة وخمسين صفحة ، وقد استشهد في

ثنايا الشرح بمائتين وسبعة وخمسين بيتاً من أبيات غيره ، وبواحد وعشرين بيتاً من أبيات نفسه .

وتوجد مسودة هذا الشرح بخط البيتوشي في مكتبة باش أعيان بالبصرة ، وتوجد نسختان اخريان له ، إحداهما في مكتبة المرحوم الشيخ نوري ابن المرحوم الشيخ بابا علي ، كتب أولها وآخرها بخط المؤلف ، والثانية في مكتبة الملا عبدالله الجرستاني المدرس بالتكية الخالدية بالسليمانية ، ويقول في مقدمته : (... لما اطلعت على الكافي ، في علمي العروض والقوافي للامام العلامة أبي العباس أحمد بن شعيب المشهور بالخواص ، منّ الله علينا وعليه بحسن الاخلاص ، واضطلعت بمطالعته ، وحظيتُ باستشفاف غرة طلعته ، وجدته سلوة الثكلان ، وعُقلة العجلان ، لا بل خلاصة فنّه ، ونُقاوة دنّه ، نخطر ببالي البالي ، مع رثاثة حالي ، وقلة بضاعتي ، وضعف استطاعتي ، خصوصاً في هذين الفنين المندرسي الأعلام ، بين علماء هذه الأيام ، إذ لم أرِمْ[1] في تطلبهما عن وجاري ، ولا نأيت لهما عن إلفي وجاري ، ان أنظمه في عدة أبيات باهرات ، كالنجوم الزاهرات ، فلما قضيت منه وطري حين أقبلت عليه بعُجَري وبُجَري[2] ، عزمتُ على أن أشرحه شرحاً غير مطول شهير ، ولا مختصر حقير ، فجلبت عليه رَجلي وخيلي ، مشمّراً

---

(١) ارم : من رام عنه يريم ربما تباعد .

(٢) العُجر : في الأصل العروق المتعقدة الناتئة ، والبُجر : ما تعقد منها على البطن خاصة ، والمراد بها هنا العيوب والأحزان .

عن ساق الجد ذيلي ، وجئت منه بما ابتغي ، وانقلبت عنه كما ينبغي ، مستمداً من شرح العلامة تاج المفتخرين ، ونخر المتأخرين ، عبدالرحمن ابن عيسى بن مرشد الحنفي[1] ، أغاثه الله بلطفه الخفي ، المسمى بالوافي ، بحل الكافي ، مع ما اضفت إلى ذلك من زوائد لطيفة ، لم يرها الراؤون ، وفوائد شريفة ، لم يروها الراوون).

٣ ـ تحف الخلان : في شرح الالغاز العربية ، ولا أدري تاريخ تأليفه ، غير أن عندي منه نسخة مكتوبة في شهر صفر سنة [١١٩٠ هـ] وهو كتاب بديع في بابه ، حوى أزاهير عطرة ، ورياحين نضرة ، من المطارحات النحوية ، والالغاز العربية ، كما يقول في مقدمته : (... أما بعد فهذه نبذة من الالغاز العربية ، والمطارحات النحوية ، كمروج اخذت زخرفها وازيّنت ، وتنوعت أزهارها وتلوّنت ، ترتاح بها النواظر ، كالرياض النواضر ، وتصقل بها الخواطر ، وتمتاز بها الفواتر من البواتر ، تجذب السلوة ، وتونس في الخلوة ، لخصتها مشروحة من محالّ متبددة ، وكتبٍ متعددة مشددة ، سميتها : تحف الخلان ، لإشحاذ الاذهان)[2].

٤ ـ حديقة السرائر ، في نظم الكبائر : وهي نظم بديع رائق مسلسل لكتاب الزواجر عن اقتراف الكبائر ، لأحمد بن حجر

---

(١) كان مفتي الحرم المكي واحد الشعراء والعلماء بالحجاز ولد بمكة سنة ٩٧٥ وتوفي سنة ١٠٣٧ هـ .

(٢) ورد شحذ واشحذ .

الهيتمي ، والمنظومة عبارة عن سبعمائة وتسعة وعشرين بيتاً نظمها في البصرة سنة ١١٩٠ هـ حينما طوقها (صادق خان الزندي) بجيوشه مدة ستة عشر شهراً ، واسلوبه في هذه المنظومة اسلوب جزل بليغ سهل ممتنع كالماء الزلال ، والسحر الحلال ، وشعره هنا أقوى بكثير من شعره في نظم الكافي ، ويقول في مقدمتها :

وبعد ، ان هذه ارجوزة　　بليغة ، واضحة ، وجيزة
منظومةٌ لكنها كالنثر　　تكاد كالماء الزلال تجري
قد برزت مجلى من الخباء　　تمرُّها بلا طيب ولا جناء
لكنما الحسناء لن تحتاجا　　أن تلبس الوشاح والديباجا
فهي على ما يشتهيه المشتهي　　مفيدةٌ للمبتدي والمنتهي
ضمنتُها تراجم الزواجر　　عن اقتراف الشخص للكبائر
معْ مالها اضيف من زوائدا　　كثيرة تزيدها فوائدا

فالكتاب وان كان في بيان الكبائر ، وانه أشبه بالمسائل الفقهية منه بالأدب ، الا أن في أشعاره ، ولاسيما في ثنايا فصوله ، أدباً راقيا ، واسلوباً جميلا يثير العاطفة ، ويهيج الوجدان ، ويحرك المشاعر ، فمثلاً يأتي في كتاب النكاح ببيان حرمة النظر واللمس لأجنبية ، ثم يقول بعقب ذلك :

والأمردُ الجميلُ في ذي كُلِّها　　مِنْ غيرِ فارقٍ أتى كمثلها

ويأتي باثنين وعشرين بيتاً زيادة على ما في الأصل من التحذير عن مخالطة الأمرد لعظم خطرها ، وسرعة سريان ضررها ، وهذه الأبيات قطعة

أدبية رائعة تتلألأ من حيث روعة التصوير ، ووضوح التعبير ، في سماء البلاغة حيث يقول :

كم عابدٍ ذي طيلسان وردا ... من حبّه المرد شرائع الردى
لا يعدمُ الشرّ محبُ أمردِ ... أمن خيارِ الناس كان أم ردي
فلا تمِلْ صاح لحبّ المُردِ ... فانه للدين داءٌ مُردي
ولا يغرّنك من الصوفية ... طائفةٌ عن الهدى أبيّة
قالوا بأن صورة الجميل ... مرآة وجه ربّنا الجليل !!
والأمردَ الجميلَ سمّوا شاهدا ... وفنّدوا مَنْ صار فيه زاهدا
بأنه فدْمٌ غبيٌّ عابسُ ... جامدُ طبعٍ كالحصاة يابسُ
وحلّلوا العِناقَ والتقبيلا ... ورشفهُمْ رضابه المعسولا
وكم لهم في ذاك من أشعار ... أشهى لهم من رنّة الأوتار
فشبّهوا عِذاره بالآسِ ... وواضحَ الجبين بالنبراسِ
وشبهوا الحاجبَ بالهلال ... والقوسِ والأهدابَ بالنبال
ولحظه بالصارم الهنديّ ... وخالَه بالحجر المكيّ
وطرْفه الممزوج بالنُعاسِ ... بالنرجس الذابل أو بالكاسِ
وخدّهُ بالورد والتفاح ... والمبسِمَ الأفلجَ بالأقاحي
وشبهوا الشفاه بالعقيق ... والريق بالسكّر والرحيق
وجيدَه بفضةٍ أو عاج ... وصدرَه في اللين بالديباج
وقدّه المياسَ بالقضيب ... وردفه الثقيلَ بالكثيبُ
وشبهوا الوصال بالجنان ... والصدّ والهجران بالنيران

ففِرَّ من اولئك الصوفيه ... فانهم صوفيـــة لوطيه !

ليس لهم على الهـــدى إقدام ... ولا لدى الحق لهم أقدام

وإنما الصوفي شخص اقتفى ... في السرّ والجهر طريق المصطفى

من يتّبع غير سبيل الهادي ... يتِهْ به الشيطانُ في البوادي[1]

ثم يقول في كتاب نفقات الأولاد وتربيتها :

وكلنا راعٍ ومسؤولٌ غدا ... يا ويح راعٍ في الرعية اعتدى

ثم يقول في مبحث إباق العبد من سيده :

وأيُّ عبدٍ مات في إباقـــه ... لا بدّ في العُقبى من احتراقه

ذا في اباق العبد ممن خلقا ... فكيف بالإِباق ممن خلقا ؟

ثم يخاطب نفسه ويقول :

حتّامَ عبدَ الله في الإِباق ... والبُعدِ عن سيّدِكَ الخلاّق ؟

إلامَ تسهو في المعاصي وتَني ... في أمرِه ومُعظمُ العمر فَني

حسبُك ما ضاع من الأزمان ... في اللهو والإِباق والدِفان

فعُدْ إلى مولاك بالمتـاب ... ونادِ بالذُل على الأعتاب

يارب قد شِبتُ ولستُ أرحم ... شيبيَ فارحمه فأنت أرحم

---

(١) وقريب من هذا المعنى قول البها زهير المصري ، يذم بعض أصحابه ويقول :

أيا معشر الأصحاب ما لي أراكُم ... على مذهب ـ والله ـ غير حميد

فها أنتمُ من قوم لوط بقيّة ... فما فيكُم مَن فعلُه برشيد

فان لم تكونوا قوم لوط بعينه ... فما قوم لوط عنكمُ ببعيد

ثم يختتم المنظومة بقوله :

دونك ذي المنظومة الوجيزة   بديعةً ، في بابها عزيزة

ثم يشير إلى عدد أبياتها بحساب الجمل بقوله : (لطيفة شريفة) ويقول :

بيوتُها محكمةٌ منيفة   أبياتها (لطيفة شريفة)

أي هي سبعمائة وتسعة وعشرون بيتاً :

ثم يشير إلى نظمها وناظمها ومكان نظمها وإلى تاريخه بحساب الجمل بقوله :

ناظمها الكرديُ عبدُ الله   المذنبُ الغريقُ في الملاهي

في صفرٍ يسَّرَ لي الاتمام   تاريخ ختمي (حسنَ الختامُ)

أي في شهر صفر سنة الف ومائة وتسعين .

في البصرة المشيدة البنيان   عامَ (محاصرةِ صادقْ خان)

رابعَ عشر أشهر الحِصار   في شدة الغلاء والإعسار

ومن البديع أن قوله : (محاصرة صادق خان) بحساب الجمل يأتي تاريخاً ثانياً لسنة ختم الكتاب ، كما كان قوله (حسن الختام) تاريخاً لها .

ثم يبين شدة الغلاء المذكورة أحسن تبيين ، ويصور الحالة الداهمة أبلغ تصوير ، حيث يقول :

إذ لم تُبَعْ بذهب دجاجة   ولو غدا صاحبُها ذا حاجة

والناس بالضجيج والبكاء   تدعو إلــهَ الأرض والسماء

يا ربّ قد طالتْ علينا المدة   إلى متى يا رب هذه الشدة ؟

والحمــد لله على الضرْاء   كما له الحمــد على السّراء

وعمّ بالصلاة والتسليم نبيّه ذا العز والتكريم
والآل والصحب الذين جاهدوا وصابروا ورابطوا وكابدوا
ما تُليت سورةُ الانشراح أو نسخ الليلَ سنا الصباح
واللهَ أرجو دفع كل ضير عني وأن يختم لي بخير

والحق أن هذه المنظومة تحفة أدبية خالدة ، وآية في السلاسة والرشاقة يجب على الباحثين اقتناؤها ، وعلى أهل الفضل والسعة طبعها ونشرها .

٥ - طريقة البصائر ، إلى حديقة السرائر : شرح فيها منظومته هذه ببلدة الاحساء سنة الف ومائة وخمس وتسعين ، شرحاً رشيقاً جزلاً متوسطاً بين الايجاز المخل والاطناب الممل ، واقعاً في خمسمائة صفحة من القطع المتوسط ، وقدّم له بمقدمة بليغة يتحدث فيها عن تاريخ نزوله البصرة ، وعن بعض الحوادث المؤلمة التي جرت عليه وعلى أهل تلك البلدة ، والتي حدت به إلى نظم منظومته : حديقة السرائر مع بيان شيء من تصوير الحادثة أوجز تصوير ، ويقول : (وبعد فيقول المذنب المهلِكُ لنفسه المُردي ، عبد الله بن محمد البيتوشي الكردي ، تداركه الله بغفرانه ، وأسكنه مع قصوره قصور جنانه : إني لما قدمتُ البصرة سنة الف ومائة وتسع وثمانين ، ولبثتُ يسيراً بين أهلها الشمّ العرانين ، أقبل عليها (صادق خان) الزندي ، قطع الله زنوده ، ومزّق بنوده ، وفرق جنوده ، بعسكر جرار وعجم ، بأمر أخيه (كريم خان) والي شيراز وما والاها من بلاد العجم ، فوقعتُ في الحصار ومُنعتُ من الفرار ،

فلما مضت علينا سنة من المحاصرة ، وانهدمت أركان المصابرة ، وضاق الخناق ، وكثر في البلد الخلف والشقاق ، ونفِد الزاد ، ولم يأتنا إمداد من والي بغداد ، تيقنتُ أن العجم قد غَلبوا ، ونالوا من البصرة ما طلبوا ، فاستخرتُ الله تعالى على ما كنتُ عليه إذ ذاك من حسن النية ، أن أعمل تأليفاً في العلوم الدينية ، لعلّي أنجو ببركته من شرّهم إذا أخـــذوا البلد ، ولا يتعرض لي بسوء منهم أحد ، فانشرح سري ، وثلج صدري ، لنظم تراجم الزواجر ، عن اقتراف الكبائر ، تأليف خاتمة المحققين ، وصدر المدققين ، مهبط فتوحات الباري ، الامام الهيتمي الشافعي الأنصاري ، [الشيخ أحمد بن محمد بن حجر] ، وهو الغاية في هذا الفن لمن ازدجر ، فنظمتُ تلك التراجمْ ، على زوائد فوائد تُشدُّ عليها البراجِمْ ، وسمّيته : [حديقة السرائر ، في نظم الكبائر] فجاء بحمد الله نظماً طَرِبت منه الأسماع ، وانعقد على براعته الإجماع ، ورعفت بتقريضه الأقلام ، وارتاحت لبروزه أولو الأحلام ، لارتياح الشيخ العاقر المبشَر بغلام ، متجنباً فيه حُوشيّ الكلام ، رعايةً لأفهام العامّة بل لعامّة الأفهام ، مع ما كنتُ فيه من أهوالٍ تُشيبُ الرضيع ، وأحوال تُنزِل الرفيع منزلة الوضيع ، وما ظنك بمن ينظم المعاني ، ورعودُ الأطواب تنثرُ المباني ، وبروقُ الصوارم ، للأعمار خوارم !!! ، ويصوغ الأقوال (١) ، وحوله خيلٌ للأعداءِ صهال ، ومسنونةٌ زرقٌ

---

(١) ويصوغ : عطف على قوله (ينظم) وكذلك قوله (يحاول) أي فما ظنك بمن يصوغ ويحاول .

كأنياب أغوال ، ويحاول تحسين القوافي ، وإصلاح القوادم والخوافي ، والبيضُ تُغمد في الطُلا ، والسمر تركز في الكُلا ، لا يُسمعُ إلا قتلُ عمروٌ وفقدَ زيد ، وأسر بكرٌ ووبلمّ عُبيْد ، وأرجو الله تعالى كما نجاني ببركته في الدنيا من تلك الأخطار ، أن ينجيني في العقبى من النار ، وقلتُ في مدح هذه الحديقة ، وهي حرية حقيقة :

إن الحديقة نعمَ مُنْـتَزهاً لأحداق الخليقه
وأعزُ ما يُهدي الصديـقُ إذا أتى يوماً صديقه
حوتَ الشريعةَ والطريـقةَ والحقيقةَ في الحقيقه[١]
تهدي الخلايقَ فهي بالشُـكرِ الجزيل إذنْ خليقه
فيها فنونٌ من أزا هيرِ وأشجارٍ وريقه
لقد استرقّت كلّ نظـمٍ من معانيها الرقيقه
يعصي البَها أدنى زُهَيْـرٍ من أزاهرها الأنيقه[٢]

(١) فرق الصوفية بين الشريعة والطريقة والحقيقة بأن الأولى أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم ، والثانية أفعاله ، والثالثة أحواله ، كما أشار الى ذلك الشاعر العبقري العلامة السيد عبد الرحيم المولوي الكردي الملقب بالمعدوم المتوفى سنة ١٣٠٠ هـ في منظومته المسماة بـ (الفضيلة) في علم الكلام بقوله :

مهّدَ للعباد بالأقوال وبالفعال ثم بالأحوال
شريعةً طريقـةً حقيقه بين له أجنحة حقيقه

(٢) البها : هو البها زهير أبو الفضل بن محمد بن علي المهلبي المتوفى سنة ٦٥٦ هـ ، وله ديوان شعر . أدنى : فاعل يعصي .

وفتى دقيقِ العيدِ تُفْنِي من دقائقها دقيقه[1]
تَذوى الحدائقُ كُلُّها يوماً سوى هذه الحديقه

ثم عنّ لي أن أشرحه تتميماً للافادة، وطمعاً من الأجر في زيادة، فشرحتُه شرحاً وسطاً بذلتُ في تنقيحه المجهود، فجاء بحمد الله وافياً بالمقصود، متضمناً من أصله اللُّباب المنقح، من زوائد كثيرة، وفوائد أثيرة، نقلتُها من كل كتاب مصحح، وسميتُه: (طريقة البصائر، إلى حديقة السرائر)، وقلتُ في مدح هذه الطريقه، وهي به جديرة خليقـه:

قُل للمُريدِ إن اشتهيـ ـتَ قطوف أشجار الحقيقه
فَخُذ الطريقـةَ فهي مو صلةٌ إلى تلك الحديقه
إن الطرائق جمَّـةٌ ولُبابُها هذي الطريقه

وأرجو ممن طاب خيمُه[2]، وسَلِمَ من داء الحسد أديمُه، أن يسلك مع شرحي هـذا طريق الانصاف، ويتجنبَ فيه مضيقَ الاعتساف، ويُغمضَ عن عوراته عينَ الانتقاد، وليكنْ همُّهُ العمل بما فيه، والامتثال لباديه وخافيه، فهو المراد، على أني معترفٌ بأن تأليفي من حيث هو تأليفي لا يصلح إلا لفائف للمطاطير، أو للأطباء أرباب العقاقير، وليس وقوفي في تلك المشاعر، إلا كما قال الشاعر:

---

(١) فتى: مفعول تفني مقدم عليه، وقوله (دقيقة) فاعله، ومن دقائقها: حال منها مقدم عليها.

(٢) الخيم: الطبيعة والسجية.

« لَعَمرُ أبيك ما نُسِبَ المُعلّىٰ   الى كَرَمٍ وفي الدنيا كريمُ
ولكنّ البلادَ إذا اقشعرّتْ   وصوّحَ نبتُها رُعيَ الهشيمُ »

ثم يختم الشرح ، ويجعل حروف (حسن الخاتمه) تأريخاً له بحساب الجمل ، وهو سنة ألف ومائة وخمس وتسعين) .

لو رجعت الى هـذا الشرح أو إلى باقي شروح البيتوشي وتآليفه لظفرت في كل صفحة منه بطُرفة رائعة نثراً أو نظماً ، فهو يستشهد في ثنايا هذا الشرح بأحد وأربعين بيتاً من أبياته الأدبية ، وبواحد وسبعين بيتاً من أبيات غيره ، والحق أن هذا الشرح آية في التراث الأدبي والعلمي الخالد ، وأنه لحقيق بأن يطبع ليطلع المثقفون ، لاسيما الأدباء منهم ، على مبلغ عظمة البيتوشي ، ويعترفوا بما له من الفضل والأيادي على الأدب العربي ، وعندي من هذا الشرح نسخة مخطوطة صححها العلامة (الشيخ معروف النودهي) ، كما توجد نسخة اخرى عند المدرس (الملا محمد سعيد) ابن الحاج ملا أحمد الدهلزي بالسليمانية .

٦ ـ المكفّرات : منظومـــة مختصرة ، في تسعة وأربعين بيتاً ، حاوية جميع الخصال المكفِرة للذنوب ، وهي رسالة بديعة في بابها أدبية الاسلوب بعبارات سلسلة كأنها النثر المنظوم ، نظمها في بلدة الاحساء سنة ألف ومائة وأربع وتسعين هـ ، حيث يقول في آخرها مشيراً الى ذلك :

ناظمها المفتقر البيتوشي   صاحبُ نقدِ العمل المغشوش
في عام (صدق) بحساب أبجد   من بعد الفِ انتهت في بَلَدِ(١)

---

(١) أي انتهت الأبيات المذكورة في عام مائة وأربع وتسعين بعد الألف .

احسائنا المحروس مَغْنى الدين وكُلِ حَبْرٍ للهُدى خَدينِ
واسألُ الله عموم الرحمةِ لي ولأسلافي وكل الأُمّةِ
وأن يُصلّيَ الصلاةَ الحُسنى على النبيّ والسلامَ الأسنى
ما أذنبتْ نفسٌ أبيةٌ وما عَفا بفضله رحيمُ الرُحما

٧ - المُبَشّرات : شرح فيها منظومة (المكفرات) في شهر ذي القعدة سنة ألف ومائة وأربع وتسعين ، وهي وافية بالمرام ، وموضحة بلا إطناب ولا ايجاز ، وتقع في أربعين صفحة تقريباً ، ولديّ منها نسخة مخطوطة صححها الشيخ النودهي ، كما توجد نسخة اخرى منها عند المدرس الملا محمد سعيد المار ذكره .

٨ - كفاية المعاني : منظومة نظمها في بيان حروف المعاني سنة ألف ومائة واحدى وتسعين ببلدة الأحساء لحاكمها (السيد أحمد بن السيد عبد الله بن محمد) الأنصاري الخزرجي ، والمنظومة عبارة عن ستمائة واثنين وسبعين بيتاً باسلوب رشيق ، متين العبارة ، سهل الفهم ، مشتمل على فن وصنعة ومهارة أدبية ، وبعيد كل البعد عن شوائب الاعجمية ، التي كانت تقع في كتابات كثير من المؤلفين من الأعاجم والعرب المتأخرين ، وشعره هنا أقوى من شعره في حديقة السرائر ، وقد طبعت هذه المنظومة سنة (١٢٨٩ هـ) ببلدة استانبول ، وانتشرت في العالم الاسلامي ، فصارت حديث روّاد العلم والأدب ، وقد صدّر المنظومة بمقدمة شعرية بليغة تحدث فيها عن بُعده عن الاوطان ، ومفارقة الخُلّان ، وآلامه ومصائبه ، ثم يمضي في هذه المقدمة يتحدث عن حاكم

الاحساء الذي كان رفيقاً له فيها أيام تحصيله ، ونرى من الضروري أن ندرج هنا تلك المقدمة الثمينة لما لها من القيمة التاريخية لتصوير نواحي مهمة من حياة البيتوشي فيها حيث يقول :

وبعدُ ، فاعلم أنني حداني شوقٌ لنظم أحرف المعاني
وكان لي إذ ذاك شغلٌ شاغل بينٌ وإقلالٌ وحالٌ حائلُ
وجفوةٌ من كل خلٍ وصفي ونبوةٌ من مُسعدٍ ومُسعفِ
يدوسني برجله دوسَ الحِذا دهري كأني في جفونه قذا
تصفعني الأيامُ صفعاً صفعا صفعاً يُفيض الدمع شفعاً شفعا
فكدتُ من مسِّ الصفاع أخشى
مع حيرتي في حالتي أن أعشى
ولم يكن ذنبيَ إلا أدبي لا عاشَ إلا عيشتي مؤدّبي
وكلما رمدتُ شوقي زادا لحبِّه في أضلعي اتقادا
فقلتُ يا شوقُ ألستَ تدري ما أنا فيه من جفاء الدهر ؟
وهل ترى لحُلَّةِ المعاني من لابسٍ في هذه الأزمان ؟
ولا يرون النظم إلا عظما وليس فيهم من اليه يظما
فلا تسمني خطة الإذلال ولا تدعني ضحكة الجهّال
فقال لي وأين أنت من سري راقي مراقي سؤددٍ ومفخر
يلعب بالألباب في البيان تلعّبَ النسيم بالأغصان
ولن ترى في الفضل مثله فتىً قلّد منه الدهر عضباً مُصلتا
يفوح من ذكر شذاه المحفِل ما المسكُ ما المندَلُ ما القرنفل؟

فقلت صرّح لي واترك الكُنى ... ففكرتي في صَدَءٍ من العَنى
فقال لي أدّى بك الدهر إلى ... أن ادّعيْتَ جهلَ فضل ابنِ جلا
ذاك ابنُ عبدِ الله أحمدُ العُلا ... مَن امتطى مطى المعالي فاعتلى
قد شهدتْ بفضله الحُسّادُ ... وذُلِّلتْ لعزّه الآساد
ذو نسبٍ كالعَلم المنصوب ... والرمح انبوباً على انبوب
نمته أشرافٌ من الأنصار ... الى ذُرى بيت بني النجّار
فقلت والله لقد ذكّرتني ... مَن كنتُ قِدماً بهواه مُغتني
وهو الذي أفادني الآدابا ... والبحثَ والسؤالَ والجوابا
وطالما كنا كغُصني بانِ ... لكن نَما وزدتُ في النقصان
فقبّح الله الزمانَ المُنسي ... لِما تقضّى بيننا من أُنس
فقمتُ إذ ذاك مُشمّراً إلى ... إنجاز ما شوّقَني مِني أمَلا
تقرُّبا لذلك الجناب ... وخدمةً لسائر الطلاب

إلى أن يقول:

ولستُ للأمثال أرضى إلا ... بناتِ أفكاري سوى ما قلّا
أغربتُ في إنشائها إغرابا ... فهي تجلّتْ عُرُباً أترابا
يُحدى بها في الدوّ للأيانقِ ... وتمتري دموعَ كل وامقِ
ولستُ أرجو لمهورها يدا ... غير دعاءٍ ليَ نافع غدا
واسأل الله تجنُّبَ الزلل ... من فضله في كل قول وعمل

ثم تأتي أبواب الكتاب متتابعة، ضمّنها فنوناً شتى في اللغة والأدب والحب والغرام، ونحا فيها نحواً غريباً، فانه يبين لكل حرف من حروف

المعاني جميع معانيه في بيت أو أبيات ، ثم يأتي بالأمثلة والشواهد في أبيات بديعة رقراقة من بنات أفكاره ونسج خياله السامي ، ونتيج شعوره الشاعر كلها آية في الرقة والروعة والجمال ، وهاك نماذج من ذلك حيث يقول في بيان معاني اللام :

واللام قد تأتي بمعنى في ، على
ومع ، وعند ، بعد ، مِن ، وعن ، الى

ثم يأتي لكل معنى ببيت فيه لواعج الحب ونفثات الغرام ، ويقول :

يا ويحَ صبٍ لسبيله مضى ... سبيلُنا المماتُ في أهل القضا
خرَّ صريعاً لليدين والفم ... وكم ترى في حيهم من مُغرَم
حتى كأنا لم نَبِت ليلاً معا ... دهري لطول الأُنس بيننا سعى
خلونَ من شهر الجفا والهجر ... راسلتُهم أشكو الجوى لِعشْر
لا حظَّ إلا لدلوك الشمس ... يا رُبَّما زجرتُ فيهم نَفْسي
يسمع لي البكاء والنحيبا ؟ ... بالله صاح هل ترى الحبيبا
لو كانَ خيراً لسبقتُهم به ... دَعْ جاهلاً قال لأهل حُبّه
فَخَرَّت القومُ على الأذقان ... أومى لنا بطرفه الفتّان

فالقارئ يرى ويلاحظ بين أشعار الكفاية معاني الوصل والهجر ، والسلام والخصام ، والغضب والرضا ، والعتب والدلال ، وحنين العاشق وذكريات الوامق ، ومنية المتمني ، وعواطف الشباب ، وما اليها ، في اسلوب فني متين يطرب السامع لسماعه . وبالجملة فان الكتاب عليه طابع الباكورة في بابه ، وانه يدل على قوة تفكير البيتوشي ، وسعة

اطلاعه ، وقدرته على الابتكار وقوة شخصيته .

ثم ختم البيتوشي منظومته هذه بقوله :

فها كها كفاية المثاني ... في حفظه لأحرف المعاني
جنّبها عن الكلام الحوشي ... ناظمُها المفتقرُ البيتوشي
موضِّحةَ الأحكام والأمثال ... رعايةً لجانب الأطفال
نقلتها من كُتُبِ أهل الفن ... مثلِ الجَنَى الداني ومثلِ المُغني
لابن هشام ذا وللمرادي ... ذلك بل عليهما اعتمادي[1]
ولا ابرّيها من العيوب ... مع انني بالغت في التنقيب
والذهن خوّانٌ فلا تؤنّبِ ... ومن يعب أخاه يوماً يُعَبِ
وأمعن الفكرة فيما لاحا ... عَيباً لكيلا تفسدَ الاصلاحا
فان تحققتَ فاصلح الغلطْ ... وليس غيرُ الله من لم يسه قطْ
نظمتها في بلد الاحساء ... لا زال محمياً من البأساء

ثم يشير إلى عدد أبياتها بحساب الجمّل بقوله (لؤلؤة ثمينة) فيقول :

أبيــاتها محكمة رصينة ... مجموعها (لؤلؤة ثمينـة)

أي ستمائة واثنان وسبعون بيتاً .

ثم يشير الى تاريخ النظم بحساب الجمل بقوله (أحسن الختام) إذ يقول :

---

(١) ابن هشام : هو جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري الخزرجي ولد سنة ٧٠٨ وتوفي سنة ٧٩١ هـ .
والمرادي : هو بدر الدين أبو محمد حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي المصري توفي سنة ٧٤٩ هـ .

وحين منّ الله بالاتمام أرختها بـ (أحسنِ الختام)

أي عام الف ومائة وواحد وتسعين ، ثم يختم المنظومة بقوله :

فأحمد الله مصلياً على أقرب مبعوث إلى الله علا

والآل والصحب الجحاجيح الغُرر

ومن غدا من بعدُ الدين وَزَرْ

ممن لهم حُسنى الإله عمّت وفيهمُ كل المزايا تمّت

والحق انها كتاب يستحق الخلود ، وقد نال بطبعه بعض ما استحقه ، من انتشاره في المدارس الدينية جميعها ، واتفاق المدرسين على تدريسه ، والطلاب على دراسته وحفظه .

٩ ـ الحفاية بتوضيح الكفاية : شرح فيها منظومته الكفاية سنة ١١٩١ هـ ببلدة الاحساء ، شرحاً مبسوطاً مفصلاً واقعاً في سبعمائة صفحة تقريباً ، واسلوب البيتوشي في هذا الكتاب اسلوب العالم الأديب ، والإمام الأريب ، يجد فيه كل طالب طلبته من العلم والأدب والبيان الرفيع ، والحق أن الكتاب مرجع زاخر بالعلم والأدب ، وروضة زاهرة بالشعر والعبَر والنُكت واللطائف ، لا تمر على صفحة منها إلا تقرأ فيها أشعاراً رائعة ، وآيات قرآنية ، وأحاديث نبوية ، وأمثالاً عربية ، وألغازاً وأحاجيّ نحوية ، وفقرات أدبية من نهج البلاغة ، أو إحدى المقامات ، وذلك علاوة على النكات المستملحة ، وطرائف العلماء ، وطرائف الأئمة والادباء ، فالبيتوشي يستشهد في ثنايا هذا الشرح بتسعمائة وثمانين بيتاً لغيره مع خمسة وستين بيتاً من أبيات شعره ،

وبسبعمائة آية قرآنية تقريباً ، فكأن الكتاب قد أُلف في هذا العصر لإنماء الذوق الأدبي ، وتقويم اللسان بالبيان ، وتقوية ملكة الكتابة في اللغة العربية ، على اسلوب حديث سلس ممتع ومُشوّق ، فمثلاً يقول في شرح قوله :

ولم يكن ذنبيَ إلاّ أدبي لا عاشَ إلا عيشتي مؤدّبي

« وذلك لأن تأديبه هو الذي أبرز قذالي للصفاع ، وأسلمَ صدري إلى يد الدِفاع ، وقيّدَ رِجلي بقيد الإطلاق ، في طيّ الآفاق ، فكأن الجزّار قال على لساني لمّا اطّلعَ على شأني :

والأرضُ قد ثقُلَتْ عليهاوطأتي إذ عمّها الإدبارُ والإقبال
حتّامَ أمسحُها فلولا أنّ لي عينين قال الناسُ ذا دجالُ

ولقد رمى القاضي عبدالوهاب [1] ، عن قوس حالي وأصاب ، لما قال يشكو تشتّتَ الحال :

أطالَ بينَ الديار ترَحالي قصور حالي وطولُ آمالي
كأنني فكرةُ الموسوسِ ما تبقى مدى لحظة على حالِ

واطالما لعبَ الأدب بذويه ، ووسَمَ وجوههم بالتشويه ، ولا يُلبسُ الدهرُ حُلَلَ الرفاهة ، إلا أهلَ السفاهة :

مَن يستقم يُحرَمْ مُناهُومَن يَزِغ يختصُّ بالإسعاف والتمكين
أُنظر الى الألف استقامَ ففاته عَجْمٌ وفاز به اعوجاجُ النون

---

(١) هو القاضي الفقيه أبومحمد عبدالوهاب بن علي بن نصر ، له نظم ومعرفة بالأدب ، ولد ببغداد سنة ٣٦٢ ﻫ وتوفي بمصر سنة ٤٢٢ .

ولقد صدق الشافعي الإمام [1] ، يشكو تحامل الأيام :

لو كان بالحِيَلِ الغنى لوجدتني بنجوم اقطار السماء تعلُّقي
لكنَّ مَن رُزقَ الحجى حُرِمَ الغِنى
ضِدَّان مفترقان أيَّ تفرُّقِ

وقال الأرَّجاني [2] ، مع انه لثمار الفضل جاني :

لو كنتُ أجهلُ ما علمتُ لسرَّني جهلي كما قد ساءني ما أعلمُ
كالصعو يرتعُ في الرياض وإنما حُبِس الهزار لأنه يترنَّمُ

وعلى هذا المنوال ، قال مَن قال :

أرى الدهرَ يُكرِمُ جُهّالَه وأعظم قدراً به الجاهلُ
وأنظرُ حظي به ناقصاً أيحسبني أنني فاضلُ ؟

وكأني بابن دقيق العيد [3] ، حين يُنشد ولا يُفيد ، لمّا لحقه شؤم آدابِهِ ، وفضله الذي هو حشوُ إهابِه :

لعَمرك قد قاسيتُ بالفقر شدةً وقعتُ بها في حيرةٍ وشتاتِ

(١) الشافعي : هو محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع القرشي المطلبي أحد الأئمة الأربعة ولد في غزة بفلسطين سنة ١٥٠هـ وتوفي بالقاهرة سنة ٢٠٤ هـ .

(٢) هو أبو بكر أحمد بن محمد بن حسين الأرجاني الشيرازي الملقب بناصح الدين له ديوان شعر مطبوع في بيروت .

(٣) هو القاضي محمد بن علي بن وهب بن مطيع أبو الفتح تقي الدين من أكابر العلماء بالاصول . ولد في ينبع سنة ٦٢٥ هـ وتوفي بالقاهرة سنة ٧٠٢ هـ وله شعر رقيق .

فان بُحتُ بالشكوى هتكتُ مروأتي
وإن لم أبُح بالفقر خفتُ مماتي

فأعظِمْ به من نازلٍ بمُلمّةٍ تُزيلُ حياتي أو تُزيلُ حياتي

وكأني بأحمد بن سليمان ، أديب معرّةِ النعمان ، حينَ أناخت به مطايا البعاد ، في نواحي بغداد ، وهو في أطمارٍ قصيرة ، أعمى البصر قيل والبصيرة ، وزنده لا يوري سِقطا ، والدهرُ موليه سُخطا ، تحقيقه من سوء حاله شك ، وقاضي الأدب مُسجّلٌ على وجهه بالصّك ، مُقبلٌ عليه بوجه صدوده ، آخذ بتلابيبه ، مكبٌّ على لطم خدوده ، وتمزيق جلابيبه ، وهو في أثنــاء ذلك يخبط في السكك ويسترشد ، ويشكو جور الزمان وينشد :

تمنيتُ أن الخمر حلّتْ لنشوة تُجهّلني كيف اطمأنّتْ بي الحالُ؟
فأذهل أني بالعراق على شفـا رديّ الأماني لا أنيسَ ولا مالُ
مُقِلٌّ من الأهلين يُسرٍ وأُسرة كفى حَزَناً بينٌ مُشِتٌّ وإقلالُ

ولولا أن السرّاج الورّاق [1] ، حشا من درر أفكاره أصداف الاوراق ، ما ألجأه الزمان ، إلى أن ينشد في جفاء الخُلان :

أفردتني الايام من كل خِلٍّ ورفيقٍ وصاحبٍ وصديق
فلو أني مشيتُ في شمس آبٍ لأبى الظلُّ أن يكون رفيقي

وقد كنت قِدماً أقضي العجب من شغف الدهر بتقديم الجهّــال

(١) هو سراج الدين عمر بن محمد بن حسن ، شاعر مصري له ديوان شعر كبير . ولد سنة ٦٠٥ هـ وتوفي بالقاهرة سنة ٦٩٥ هـ .

الأراذل ، وتأخير أهل الكمال الأفاضل ، مثلما قال القائل :

صِغارُ زماننا أضحَوا كبارا وقد غَضِبَ الزمان على الكبار
كأنّ زماننا من قوم لوطٍ له ولَعٌ بتقــديم الصغار !

ولم أقف على سرّ تلك القضية ، ولم أزد على أن أقول ان الدنيا غبيّـة ، لا تميّز بين مراتب أبنائها تمييزا ، فلذا أرى قسمتها ضيزا ، إلى أن عثرتُ على سبب ذلك عثورا ، لا عثرة يُطلب منها الاقالة ، في قول مَن قال وما أحلاه من مقالة :

عتبتُ على الدنيا بتقديم جاهلٍ وتأخيرذي لبٍ فقالت خذالعُذرا
بنو الجهل أبنائي وأما اولو النُهى فأنهمُ أبناء ضرّتيَ الأُخرى

فصرتُ كأني أُنشِطتُ مِن عِقال ، أو شُفيتُ من داء عضال » وأنشدتُ قول من قال :

رضينا قسمةَ الرزاق فينا لنا علمٌ وللجهّــال مالُ
فانّ المال يفنى عن قريبٍ وانّ العلم باقٍ لا يزالُ »

ويقول في شرح قوله :

نَمتْهُ أشرافٌ من الأنصار إلى ذُرى بيت بني النجار

« وقلت (أي في مدح الانصار) :

أحسن بمدح من غدا ال قرآن من مُدّاحه
وشرح فضلِ أحمــدُ ال مختــارُ من شرّاحه
أنصارُ دين الله خا ضوا الموتَ في صلاحه
حتى بدا منه لنــا ال محظورُ من مبــاحه

فالصبح في غدوه كالليل في رواحه
يشكر حسن سعيهم لله في ايضاحه »

وقد أتم البيتوشي هذا الشرح في أول يوم من شعبان سنة ١١٩١ هـ أي في عين السنة التي نظم فيها الكفاية ، ويظهر من هذا - كما رأيت - انه أكمل النظم مع شرحه هذا في سبعة أشهر تقريباً ، وذلك يدل على أن البيتوشي كان غزير المادة ، واسع الذرع قد تكاملت له ملكة الاستحضار ، وعظيم الاستعداد في كافة مناحي العلوم العربية والادبية ، بحيث لا تخفى عليه خافية ، ولا يتجشم في الاحضار والتأليف نظماً ولا نثراً ، والكتاب غير مطبوع ، ولدي منه نسخة خطية ، كما توجد نسخة المؤلف ومسودته في مكتبة الملا أحمد البيتوشي .

١٠ - صرف العناية ، بكشف الكفاية : كتاب إختصر فيه البيتوشي شرحه السابق : (الحفاية) سنة ١١٩٨ هـ ببلدة الاحساء ، ويقع الكتاب في خمسمائة وثلاث واربعين صفحة ، وقد طبع بمصر سنة ١٩٢٢م على نفقة المرحوم السيد عبدالحميد الگيلاني البغدادي جزاه الله خيراً ، والكتاب وإن كان أخصر من الحفاية عبارة ، إلا انه أحسن من ذاك إفادة ، وأوفى منه مقصداً ، وأتقن منه اسلوباً ، فهو كأصله روضة أدبية ، وحديقة شعرية ، إلى ما وشحه به من الأبيات ومحاسن الكفايات ، والأمثال العربية ، واللطائف الأدبية ، والأحاجي النحوية ، يستشهد فيه بتسعمائة بيت لغيره ، مع ثلاثة وخمسين بيتاً من أبيات شعره وبما يقارب سبعمائة وخمسين آية قرآنية ، وذلك علاوة على باقي الفقرات الادبية الموجودة في كتاب الحفاية .

يبدأ صرف العناية بمقدمة بليغة تنم عن بعض نواحي أخلاق البيتوشي حيث يظهر فيها عالماً مزهواً بنفسه ، معتمداً على علمه ، مفتخراً بأدبه ، معتزاً بابداعه ، قوياً بايمانه ، مع تأخر زمانه ، فيقول فيها : « إني لما نظمت منظومتي كفاية المعاني في حروف المعاني ، وقعتْ مع اختصارها في قلوب الأدبا ، موقع الطلّ من أقاحي الرُبا ، وانُزلتْ من المفيد والمستفيد ، منزلة العِقد في نحور الغيد ، حتى حلّت محلّ الغرّة من جبهة الأيام ، والدرة من آذان الأفهام ، لأني سلكتُ في إبداع إنشاء أمثالها من الأفكار سباسبَ لم تُدمّثها الخُطا ، ومن الابتكار صحاصِح ما اهتدتْ اليها القَطا ، مع ما أسستُ عليه قواعدها من السهل الممتنع ، والسلاسة التي تدعو إلى حفظها كلَّ مستمع ، ولم يَضِرْها بذاذةُ حالي ، ولا رثاثةُ أسمالي ، كما لم يُكدّر صافيَ الصوب سوادُ الغمام ، وماء الحياة ثواؤه في الظلام ، بل الليلُ يزيد السراجَ إنارةً بالإدلهام ، وإن رثّ غمدٌ فالحسامُ حسامُ ، والعسل يُستشفى به وهو للنحل مُجاج ، والدرُّ يُتنافسُ فيه ولو انتمى الى الأُجاج ، ولا يلحق الكنزَ عارٌ من التراب ، ولا يعلَقُ ثِقْلُ طينةِ الدّن بخفّةِ روح الشراب ، وهل يانعُ الاثمار ، إلا من الاشجار ، وإنّ من الحجارة لما يتفجرُ منه الانهار ، وهي وإن تأخرت عن مناظيم الأوائل ، فطالما تأخرت النتيجة عن القياس في الدلائل ، وبرزت الاوراق قبل الازهار في الخمائل ، والفجرُ وإن كان صادقاً لا فخر له بالتقدم على الشمس ، فقد يتقدم بعض النوافل على الفرائض الخمس ، على أنه قد يتساوى

في الطيب طرفا النهار ، ويبلغ الولد في مضمار الفخار ، شأوَ أسلافه الأبرار ، والله سبحانه وتعالى لم يخص قوماً دون قوم بحيازة المفاخر ، فكم ترك الأول للآخر . ومما يُستحسنُ في هذا الباب ، ويُفرغ في أفواه المسامع كؤوسَ الأطراب ، قولُ من قال ، في هذا المجال :

قل لمن لا يرى المعاصر شيئاً ويرى للأوائل التقديما
ان هذا القديم كان حديثاً وسيغدو هذا الحديث قديما

ويقول في شرح قوله :

ذاك ابن عبدالله أحمدُ المُلا مَن امتطى مَطا المعالي فاعتلى

« وأحمد المذكور هو أحمد بن عبدالله بن محمد الانصاري الخزرجي الاحسائي ، دأبَ في اقتناء الأدب ، وبرَعَ في لسان العرب ، ونشأ على كاهل المجد حتى اكتهلْ ، وألقت اليه المعالي أعنّتها من غير مهل ، ولم يزل أحسنَ من أمسهِ غدُه ، حتى تمكنتْ من ناصية الحظ يدُهُ ، فاكتسى من الشمس غرّه ، واغترف بالكف الخضيب من نهر المجرّه ، وطالتْ ذراعُ سعدِه ، حتى همّ باجتناء عنقود الثريا على بُعدِه ، وقلّبَ طرفَه في جبهة الأسدِ فصار مِن هيبته جَذْيا ، ولم يترك فَرْغُ دَلوِ جَدواهُ المجدولةِ الرِشاء في بطن بلدته كَبداً صَدْيا ، وكان مذ كان الى أن تغمده الله بالغفران في بلدةِ الاحساء كالقلب من الصدر ، وهي منه كالهالة من البدر » .

ويعجبني من كتابات البيتوشي طريقةُ البدء والختام ، فمثلاً يقول في آخر منظومته : (الكفاية) :

ممن لهم حُسنى الإلهِ عمّتْ   وفيهمُ كلُّ المزايا تمّتْ

ويقول في آخر كتابه (صرف العناية ، بكشف الكفاية) :

« فلا يقال لآخر الكتاب مثلا : هذا كمال الكتاب ، لأن كمال الشيء عبارة عن جميع أجزائه ، بل يقال : هذا تمام الكتاب » .

١١ - حاشيته المدونة على شرح (الفاكهي) في علم النحو ، وتقع في خمسمائة وخمس واربعين صفحة . يقول البيتوشي في مقدمتها بعد الحمد والصلاة : « فهذه حواشٍ علقّها المحتاج إلى عفو ربه الغني ، عبدالله بن محمد الكردي البيتوشي ، على شرّح العلامة عبد الله بن أحمد الفاكهي المكي رحمه الله (١) ، المسمى مجيب النِدا ، إلى شرح قَطر النَدا » .

ويقول في آخرها : « انتهت تأليفاً وكتابة في اليوم الثامن من رمضان الشريف سنة ١٢٠٩ من هجرته صلى الله عليه وسلم ، وأكرم وشرّف وعظم » ، وهذه الحاشية غير مطبوعة . وتوجد نسخة منها في مكتبة المرحوم الحاج ملا سعيد بالسليمانية ، كما توجد نسخة اخرى في مكتبة حسن أفندي النائب ببغداد .

١٢ - حاشيته المدونة على كتاب (البهجة المرضية ، في شرح الألفية) في علمي النحو والصرف . إننا لم نعثر عليها ككتاب ، إلا أنني رأيت منها نبذاً بشكل تعليقات كثيرة متفرقة على أماكن متعددة من الشرح المذكور ، كما أن البيتوشي نفسه يشير في كتابه : (تحف الخلان) الى وجود هذه الحاشية المدونة ، وعندي أنها أحسن حاشية كتبت على الكتاب المذكور .

---

(١) هو من علماء العربية . ولد بمكة سنة ٨٩٩ وتوفي بها سنة ٩٧٣ هـ .

١٣ ـ منظومته في بيان الافعال التي استوى فيه اللزوم والتعدي ، وهي خمسة وخمسون بيتاً تتضمن ثلثمائة وسبعة وثمانين فعلاً من الافعال المذكورة ، يقول في مقدمتها :

وبعد فاعلم أن هذي أبنيهْ ذاتُ لزوم تارةً وتَمديه
قد ذكر القاموسُ كلَّها خَلا أبنيــةٍ أهملها قــلائلا
فصاحبُ الدستور فيه أوردا وغيرُه ، وذا أوان الابتدا

ثم يشرع في تمداد الأفعال ويقول :

حثا ، أزى ، أوْحش ، أهْجـعْ ، آلِفا
أعيْ ، أفِذ ، أوْسِعْ ، أنِزْ ، تألّفا

١٤ ـ شرحه على هذه المنظومة ، يبين في شرح كل كلمة معناها ، وهل ذكرت في القاموس أو في الدستور فقط ؟ ولدي منه نسخة مخطوطة ، كما توجد نسخة اخرى في مكتبة الاوقاف ببغداد .

١٥ ـ منظومته في بيان الأفعال التي أتت واوية ويائية ، وهي سبعة وسبعون بيتاً تتضمن مائة واثنين وعشرين فعلاً من الأفعال المذكورة ، يقول في مقدمتها :

وبعدُ فاسمعْ جُلَّ فعلٍ قــد أتى واواً وياء لامــه وأنصــتا
لِما أقولُ ، وأخشَ داء الحَسَدِ إذ الحسود أبــداً لم يَسُدِ

ثم يشرع في تمداد الأفعال ويقول :

(بَقوْتُه) انتظرتُــه (بَقَيْتُ)
(رَبَوْتُ) في الاكراد أي (رَبَيْتُ)

١٦ - شرحه لهذه المنظومة ، يشير في شرح كل كلمة إلى أن القاموس ذكر الواوي أو اليائي أو كليهما ، ولدي منه نسخة مخطوطة ، كما توجد نسخة اخرى في مكتبة الاوقاف ببغداد .

١٧ - منظومته في مثلثات الأسماء والأفعال ؛ أي في بيان الأسماء التي ثُلّثَ أولها أو حشوُها أو آخرُها . والمعنى واحد ، وفي بيان الأفعال من الماضي والمضارع ولا يثلث منهما من غير عارض إلاّ العين ، وهي ثمانية وسبعون بيتاً تتضمن اربعمائة وسبعة وعشرين مثلثاً من الأسماء والأفعال ، نظمها سنة ١١٩٠هـ فى البصرة ايام محاصرة صادق خان الزندي ، يقول فى مقدمتها :

يقول بعد الحمـــد والصلاة ... على الذي أُرسل بالآيات
دونك جُلّ ما اتى في النقل ... مُثلثاً من اسم أو من فعل
واشدُد عليها صاح بالضُروسِ ... إذ جُلّها يوجَدُ فى القاموس
وبعضُ الالفاظ تراها مَثنى ... مَثنى وذاك لاختلاف المعنى
ولم يَفُتْني منه غـــيرُ النزر ... فان تجد فألحِقَن للأجر
ولنذكُرَنْ منها فى الابتدام ... مثلثَ الصدر من الأسماء

ثم يشرع فى التعداد فيقول :

بِـدْأتُنـا ، ذُرّيةٌ ، وشَـنأً ... إِرأبُ ، الحُوبةُ إِصٌّ ، مُرأ

١٨ - شرحه لهذه المنظومة ، ولدي منه نسخة مخطوطة كما توجد نسخة اخرى فى مكتبة الاوقاف ببغداد .

١٩ - الموائد المبسوطة ، فى الفوائد الملقوطة ، منظومة نظمها فى

مائة وخمسين بيتاً تقريباً عثرت عليها بخط البيتوشي فى مجموعته الخطية الموجودة بمكتبة باش أعيان بالبصرة ، يقول البيتوشي فى مقدمتها : « هذه فوائد شتى نظمها الفقير عبدالله بن محمد الكردي الآلاني البيتوشي ، وقد سماها بالموائد المبسوطة ، فى الفوائد الملقوطة ، نقلها من كتب معتمدة كدرة الغواص للحريري ، والدستور للنطنزي ، والمزهر للسيوطي ، والقاموس والصحاح ، وغيرها كشرح بانت سعاد لابن هشام » .

فالمنظومة هذه تتضمن فوائد كثيرة ، كل فائدة منها عبارة عن بيت أو بيتين أو ثلاثة أو أكثر . مثلاً يقول :

كعجب على أفاعيل اجمعا غلَطِ الافعالَ فيه إمنَعا

اخرى :

تقول اقعد للنديم القائم كما تقول اجلس لنحو النائم

اخرى :

ولا تقل لاثنين زوج بل أتى زوجين في نفس القران مثبتا

وللبيتوشي منظومات ومقطوعات علمية ولغوية منها ما أورده في ثنايا شروحه وحواشيه بمناسبات ، ومنها ما لم يورده فيها كالمنظومات والمقطوعات الآتية :

١ - منظومته فى بيان المؤنثات السماعية ، وهي خمسة وثلاثون بيتاً تتضمن مائة واثنين وتسعين مؤنثاً سماعياً ، يقول البيتوشي بعد الحمد والصلاة .

وبعد مهما رمتَ يا علاّمة — أسماء تأنيث بلا علامــــة
فكلُّها أو جلُّها ما أتلو — عليك نظماً صح فيه النقل
أغلبها توجد في الدستور — ذاك الكتاب العلم المشهور

ثم يشرع في التعداد ويقول :

كَفٌّ ، شِمالٌ ، أُذُنٌ ، سِنٌّ ، يَدُ
رِجلٌ ، مِعىً ، عَيْنٌ ، يَمينٌ ، عَضُدُ

ثم يقول في آخر المنظومة :

فهـاك نظماً جامعاً للطالب — أحسن من منظومة ابن الحاجب
واحفظه تحظ منـه بالكمال — واسـلَمْ من المراء والجدال

٢ ـ منظومته في بيان المصادر الشاذة ، وهي خمسة عشر بيتاً تتضمن اثنين وستين مصدراً .

٣ ـ منظومته في تعداد حروف المعاني من الأحادية الى الخماسية ، وهي ثلاثة عشر بيتاً ، جمع في سبعة منها واحداً وسبعين حرفاً .

٤ ـ منظومته في خصائص الأسماء وهي اثنا عشر بيتاً .

٥ ـ منظومته في كيفية كتابة لفظ (ابن) وهي اثنا عشر بيتاً ، خلاصتها انه يكتب بدون الف في موضع واحد ، ومعها في عشرة مواضع .

٦ ـ مقطوعته في بيان علامة الأفعال ، وهي خمسة أبيات .

٧ ـ مقطوعته في بيان أسماء الخيل التي تجمع للسباق ، وهي سبعة أبيات .

٨ ـ مقطوعته في بيان أسماء الضيافات ، وهي أربعة أبيات .

٩ ـ مقطوعته في بيان المواقع التي يجب فيها استتار الضمير ، وهي خمسة أبيات .

١٠ ـ مقطوعته في بيان ما جاء مؤنثه على فعلانة ، وهي ستة أبيات تتضمن اربع عشرة كلمة .

١١ ـ مقطوعته في بيان صيغ العموم ، وهي ثمانية أبيات ، تتضمن اربعين صيغة من صيغ العموم .

١٢ ـ منظومته في بيان بعض خصائص النبي صلى الله عليه وسلم ، وهي اربعة عشر بيتاً ، ولدي من هذه المنظومات والمقطوعات المذكورة نسخ صحيحة ننشرها إن شاء الله .

الغازه وأحاجيه

افتن كثير من الشعراء بنظم الألغاز والأحاجي والمعميات ، وذلك ليمتحنوا بها الذكاء والقدرة على كشفها ، ومنهم البيتوشي ، فقد كان طويل الباع في حل الغوامض والأحاجي ، وفي وضع الالغاز النحوية وغيرها ، وكان اذا حل في مجلس يتحول ذلك المجلس الى حلبة علم وأدب ، وحلقة تدريس ومطارحات نحوية ، وفكاهات أدبيـــة ، يستفيد منها كل من كان له قلب أو التى السمع وهو شهيد ، وله كثير من الالغاز والاحاجي اللطيفة ذكرها وشرحها في كتابه (تحف الخلان) مع الغاز باقي أئمـــة النحو كالزمخشري[1] ، والحريري[2] ، وأبي العلاء المعري[3] ،

---

(١) الزمخشري : هو أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد بن عمر . ولد =

والشيخ علم الدين علي بن محمد السخاوي الدمشقي [١] ، والشيخ عزالدين ابن عبدالسلام [٢] ، والشيخ شمس الدين ابن الصائغ ، وابن الحاجب ، والقاضي شهاب الدين محمود الغزالي ، والشيخ الامام محمد بن محمد الاندلسي الراعي ، وسعد الدين البياني ، والقاضي بدرالدين بن رضي الحنفي ، والحافظ السيوطي وغيرهم ، كما ان للبيتوشي الغازاً لطيفة اخرى غير واردة في الكتاب المذكور ، بل ذكرها في ثنايا شروحه وحواشيه بحسب سنوح المناسبات . فمثلاً يقول في كتابه (صرف العناية) في مبحث (إلاّ) :

وقد نظمت لغزاً في صورة غزل فقلت :

أشكو اليكَ إمامَ النحو دُمْتَ عُلاً ... وهل عَليّ بما أُبدي لكَ العتبُ
أقول ما اقتادني إلا مباسِمُها ... وحاجبيها الى سُهدي وذا عجبُ
وليس بي غيرُ عين يومَ كاظمة ... رَمَتْ اليّ بها والدّلُ والشَنَبُ

= سنة ٤٦٧ هـ وتوفي سنة ٥٣٨ هـ ، وهو إمام كبير في التفسير والحديث والنحو واللغة وعلم البيان ، له مؤلفات كثيرة طبع منها (١٢) مؤلفاً وله ديوان شعر غير مطبوع .

(٢) الحريري : سبق التعريف به في صفحة ٥٣ .

(٣) أبو العلاء : هو أحمد بن عبدالله بن سليمان التنوخي المعري شاعر فيلسوف . ولد في معرة النعمان سنة ٣٦٣ ومات بها سنة ٤٤٩ هـ ، له مؤلفات كثيرة وفهرسها في معجم الادباء بضع صفحات .

(١) علم الدين : هو عالم بالفقه والاصول واللغة والتفسير والقراءآت . ولد في سخا بمصر سنة ٥٥٨ وتوفي بدمشق سنة ٦٤٢ هـ

(٢) عز الدين بن عبد السلام : ولد سنة ٥٧٨ وتوفي سنة ٦٦٠ هـ .

فهاكه لغزا إن شئتَ أو غزلا تُحَثُّ في نيله مِن حُسنه النُّجبُ

ثم يشير الى حل اللغز ويقول :

إلاَّ كغيرِ أتَتْ معنى كذاك أتى غيرُ كإلاَّ وذا حقًا هو السببُ

في خلف ما جاء في العَطفين خذه على الا

إجمال والبسطُ فيـــه حازه الكُتُبُ

العطف في ذاك من باب التوهم أو

على المحـــل نخذ دامت لك الرتبُ

فحل اللغز عطف حاجبيها المجرور على مباسمها المرفوع ، وعطف الدل والشنب المرفوعين على كلمة العين المجرورة ، وقوله : (إلا كغير) مع الشعر التالي جواب اللغز ، وخلاصته جواز اعتبار المعنى في المعطوف على المستثنى بغير وإلا فتقول : ما جاءني غير زيد وعمروٌ [1] برفع عمرو إذ هو في معنى ما جاءني إلا زيد وعمرو ، كما تقول إلا زيدٌ وعمروٍ بجر عمرو إذ هو في معنى ما جاءني غير زيد وعمرو .

وقوله : العطف في ذاك الخ تكرار الجواب بعبارة أخصر من الأولى مع الاشارة الى مذهب الشلوبين حيث يقول : ان ذاك من باب التوهم لا من العطف على المحل .

ويقول في كتابه : طريقة البصائر ، في باب الحج مُلْغِزاً :

يا قاضيَ العصر أراني حائرا في شاهدٍ عدلٍ أتى كبائرا

---

(١) من هذا الباب بيت في ديوان الحماسة من قافية مرفوعة .

وما لي مال غير درعٍ ومِغفرٍ وأبيضُ من ماء الحديد صقيلُ

ولم يتب عنها وفي صغيره　　في إثمها عادلت الكبيره

يشير إلى أن الصغائر في غير مكة كبائر فيها ، بمعنى شدة العقاب على مرتكبها من حيث المحل لا من حيث ذاتها ، وحينئذ فليست كبائر موجبة للفسق والقدح في العدالة لأن ذلك لا يمكن القول بعمومه وإلا لم يكن في أهل الحرم عدل لتعذر الصون عن محقرات الذنوب وصغائرها .

وللبيتوشي ألغاز أخرى لم يرد ذكرُها في تآليفه بل هي موزعة هنا وهناك ، منها ما كتبه في جواب لغز الشيخ معروف النودهي الذي وجهه اليه مستفهماً ، واللغز هو قول النودهي :

أعبدَ الله ما حرف هو اسمٌ　　وكلٌ مِن كلا طرفيه مضمر

والجواب هو قول البيتوشي :

وما اسمٌ كله حرف فأعجِبْ　　به والنصفُ يأتي للنـــداء

وبُحْتُ بذاك في نظمي ففكّر　　تجدْ إن كنت من أهل الذكاء

حلُّ اللغز موجود في البيت الأول ، حيث إن كلمـــــة ما هي مدار السؤال والجواب .

وللبيتوشي ملغزاً ومخاطباً حضرة الشيخ معروف النودهي بقوله :

وما اسمٌ نصفه للكف يأتي　　وما يبقى لنفي في الكلام

وإن تحذف له صدراً وعجزاً　　ضميرَ الجمع تلق مع التمـــام

ومهما إكتفيت بحذف صدر　　فللاثنين يا تاج الكرام

وها اني أراه خلال نظمي　　كلمع البرق من تحت الغمام

ومدار هذا اللغز هو كلمة (مهما) إذ نصفها الأول عبارة عن كلمة

(مه) اسم فعل بمعنى اكفف ، ونصفها الثاني كلمة (ما) التي هي للنفي ، واذا حذفنا منها الصدر وهو الميم تصير (هما) وهو ضمير الاثنين ، واذا حذفنا منها الصدر والعجز وهما الميم والألف ، تصير (هم) وهو ضمير الجمع .

ومنها ما عثرت عليه مكتوباً على ظهر كتاب (شرح الشمسية) بمكتبة الملا محمد الكردي وهو :

ألا أيها القاري على ظهر أبرد يقدّ الفيافي فدفداً بعد فدفد
تحمّل جزاك الله مني رسالة وبلّغ إلى أهل المدارس في غد
فقل لهم ما ستةٌ جمعت معاً وما تسعةٌ في جلد فرد مقدّد
حواجبهم ستون في وجه واحد وأعينهم تسعون في حلق هدهد
وأسماؤهم حرفان من اسم جعفر وحرفان من آلَيْ علي وأحمد (١)

---

(١) ومن فوائد اللغز تقويم الاذهان وشحذها ، ومن أمثلته قول الحريري في (المرود) الذي يكتحل به :

وما ناكح أختين جهراً وخفية وليس عليه في النكاح سبيل
متى يغش هذي يغش في الحال هذه وإن مال بعل لم تجده يميل
يزيدهما - عند المشيب - تعهداً وبرّاً وهذا - في البعول - قليل

وآخر في الميزان :

وقاضي قضاة يفصل الحق ساكتاً وبالحق يقضي لا يبوح فينطق
قضى بلسان لا يميل وإن يمل على أحد الخصمين فهو مصدّق

القسم الثانى

١ - أشعاره

٢ - رسائله الأدبية

٣ - تقاريظه

٤ - خاتمة

أشعاره

كان البيتوشي بعدما نزح عن بلاده - لأول مرة - قد اتصل ببيت الامارة في الاحساء ، واستمر على ذلك الى أن توفي رحمه الله ، كما اتصل بكثير من البيوتات الكبيرة ، كبيت الشيخ درويش الكوازي العباسي من آل عبدالسلام وعميد اسرة (باش أعيان) بالبصرة ، وبيت عبدالله بك ابن شاوي الحميري في بغداد ، وبيت الشيخ أحمد بن محمد بن رزق بالبصرة ، وبيت العلامة الشيخ محمد أمين العمري الموصلي وغيرهم ، وقد نشأت بينه وبينهم علاقات قوية ، ومودات روحية كانت منبعاً من منابع شعره ، ووسيلة من وسائل الهاماته الفنية ، فأوحت اليه بقصائد رنانة في مدحهم لم ينسج على منوالها ، ولم تصل الينا منها - مع مزيد الأسف - سوى سبع عشرة قصيدة ، إحداها بالفارسية وقد اثبتناها آنفاً ، واخرى في تحية وطنه الأصلي (بيتوش) ، والثالثة وهي التي كانت تتضمن قصائد عديدة ، وقد سبق ذكرها في أول الكتاب ، والرابعة في مدح سليمان بك ابن عبدالله بك الشاوي ، والخامسة والسادسة والثامنة الى الثالثة عشرة في مدح حاكم الأحساء الشيخ أحمد بن عبدالله ، وأما السابعة فقد قالها على لسان حاكمها في جواب قصيدة أرسلها اليه بعض اخوانه يعاتبه فيها على كلام نقله عنه بعض الوشاة ، والرابعة عشرة في رثاء الشيخ درويش الكوازي العباسي ، والخامسة عشرة في مدح الشيخ أحمد بن محمد بن رزق ، والسادسة عشرة في مدح الشيخ أحمد بن الشيخ درويش ، والسابعة عشرة في مدح الشيخ محمد أمين العمري الموصلي صاحب

(البديعية) ، يبدأ في أكثر هذه القصائد بالغزل والتشبيب الى أن يصل الى غرضه الأصلي من القصيدة كما هو عادته .

فمقدماته التشبيبية تمتاز بمعان دقيقة ، والفاظ موسيقية رقيقة ، تسحرك بجمال اللفظ ، والاسلوب والمعنى ، وأهم من ذلك بعض إشاراتها الخفية المكنونة تحت الألفاظ ، والمستورة تحت الجمل والتراكيب ، فهي محالة على فطنة القارئ وحدة ذكائه .

ان البيتوشي كان وفياً لا ينسى فضلاً أو نعمة لأحد عليه ، وكان يمدح كل من يسدي اليه فضلاً أو يأمل عطاءه ، وله من هذا اللون مدائح لبعض الامراء والكرماء الذين عطفوا عليه أيام فقره وفاقته وغمروه بعطائهم ومنحهم أيام محنته ، كما انه أحياناً يشكو الأيام وقسوة الزمان ، ويرفع شكواه الى من يتوسم فيه الخير والعون على صروف الدهر ونوائبه ، واننا نذكر لك تلك القصائد حسب تواريخها . وأما التي خلت من التاريخ فسنذكرها حسب ما يتراءى لنا .

إن البيتوشي اذا مدح الامراء وصفهم بالكرم والجود والسخاء وبكثير من المعاني الجميلة الممتعة ، وتمتاز مدائحه بطولها وبسعة الخيال فيها .

القصيدة الرابعة في مدح سليمان بك ابن عبد الله بك الشاوي الحميري[١] ، نظمها بالبصرة عام [١١٩٠ هـ] حينما حاصرها صادق خان

---

(١) إن علاقة البيتوشي بالاسرة الشاوية كانت بواسطة الاسرة الحيدرية ، ذلك أن البيتوشي كان تلميذاً لصبغة الله الحيدري الأول والد السيدين الفاضلين عبيد الله والحاج محمد أسعد صدر الدين الحيدري ، فكان مرتبطاً بالاسرة =

الزندي ، وكان البيتوشي محصوراً فيها ، وأرسلها اليه مع رسالة تأريخية بليغة في مناجاة البصرة واستثارة الهمة لاسترجاعها ، سنثبتها فيما بعد ، وذلك بعد أن رجع سليمان بك الى بغداد وقتل واليها عمر باشا الذي سبق أن قتل والده عبد الله بك الشاوي يهنئه فيها بأخذ الثأر والعودة إلى الوطن، ثم يمدحه بالشجاعة وقوة الشكيمة ويشيد بما له من صولة في ميادين الحرب بحيث يعجز الأبطال عن مصاولته ، والأقران عن مطاولته ، محرضاً بذلك سليمان بك على مهاجمة صادق خان وتخليص البصرة منه .

بُدئت القصيدة بالغزل والتشبيب بمحبوب كما هو المتعارف ، غير أن البيتوشي الفذ سبك مقدمة التشبيب بسحر بيانه ، وقوة سيطرته على أساليب الفصاحة بحيث تتناسب مع المقصود ويشير من طرف خفي الى الثأر والعودة إلى الوطن وغير ذلك ، والحق أنها درّة نادرة في سماء الشعر ، عثرت عليها في المجموعة الخطية التي حصلت عليها بمكتبة المرحوم الملا محمد الجلي بكويسنجق وذلك بواسطة مساعي القائمقام سعادة السيد محمد باشا ابن عبد الرحمن أغا ابن أحمد باشا المشكورة حفظه الله ، يقول البيتوشي :

= المذكورة ارتباطاً علمياً وروحياً وثيقاً ، وكانت رسالته العراقية المشهورة تشهد بذلك ، وان الاسرة الحيدرية ارتبطت بالاسرة الشاوية عن طريق المصاهرة ، فان زوجة عبيد الله بن صبغة الله الاول كانت بنت عبد الله بك ابن الشاوي الحيري وقد ولد له من زوجته الشاوية أبناء كثيرون منهم الشيخ عبد الله الثاني .

قُلْ بُشْرَيان ولا تقل بشرى لنا ... زال الرقيبُ وزار مَن أهوى أنا (١)
ناديتُ مَن ضربَ الخيام بأضلعي ... حُيّيتُمُ يا ساكنين المنحنى
أنا عبدكم ومُنايَ أنْ أُدعى بيا ... عبدي ولكن أين لي هذي المُنى
ولقدْ جنى دهري ببُعْدِكُمُ فما ... دَ كأنه ما جار قط ولا جنى
يا ليلة بتْنا بها بتعانقٍ ... والأُزْرُ لاذت بالعفاف عن الخنا (٢)
وتَلُفُّ أرديةُ الهوى أعطافَنا ... والعَتبُ يشكو بيننا شكوى الضنى (٣)
نتنازع الأقداح من مشمول سلسـال الرضابِ العذبِ حلوَ المُجتنى (٤)
في روضة زُهيت بشوكة وردها ... والوُرقُ من أوراقها تتلو الغنا (٥)
شُكْرَ الأقاحي إذ بدا متبسما ... والغصنُ أثنى جده لما انثنى (٦)

---

(١) زال الرقيب : بيان للبشارة الاولى ، كما أن قوله : وزار مَن الخ بيان للبشارة الثانية ، ويلمح هذا الى أخذ الثار بقتل عمر باشا وعودة سليمان بك الى وطنه بغداد .

(٢) الازر : كناية عن مواضع العفة . الخنا . الفحش .

(٣) الاردية : جمع رداء وهو ما يلبس فوق الثياب . الضنى : المرض مع الضعف والهزال .

(٤) المشمول : شراب هبت عليه الشمال . السلسال : السهل الدخول في الحلق . المجتنى : من جنى الثمرة أي تناولها .

(٥) في روضـــة : ظرف لقوله السابق : نتنازع ومتعلق به . الشوكة : الحمرة والزينة . الورق : جمع ورقاء وهي الحمامة .

(٦) الاقاحي : جمع اقحوان غير أن الشعراء كثيراً ما يستعملونها بمعنى المفرد كما هنا ، اسم نبت من نبات الربيع له زهر أبيض ووسطه أصفر طيب الرائحة وهو البابونج . الجَدُّ : كناية عن أصل الشجرة .

ولَكَمْ ثنينا للغصون تَماطفاً ... لكن رأينا عطف هذا أليَنا
ولقد فشت فينا أقاويلُ الوُشا ... ة فما لهم لا ينتهون ؟ أما أنا
والله لولا عفتي لوجدتني ... صدَّقتُ فينا قول أولادِ الزنا
بأبي الذي فضح الغزالةَ وجهُهُ ... لما تبدّى والغزالَ إذا رَنا (١)
تلقاه بدراً في الدُجنّة إن بَدا ... وقضيبَ بان إن مشى بل أحسنا (٢)
ويهزّني ذِكرى معاطفِ قده ... هَزَّ ابنَ عبدِ الله أعطاف القنا (٣)
أعني سليمانَ الهُمامَ ابنَ الهُما ... مِ أبا الهُمام حلى الأسامي والكُنى (٤)
ليثٌ سَطا دَهرٌ وَطا بحرٌ طما ... غيثٌ هَمى بدرٌ تلألأ مَوهِنا (٥)
القائدَ الوُردَ المذاكي عُوِّدَتْ ... وِرْدَ الظِماءِ نحورَهُنّ تمرُّنا (٦)

---

(١) فضح الغزالة : أي عابها بحسنه . تبدّى : أي ظهر . رنا : أي نظر .

(٢) الدجنة : الظلمه .

(٣) الاعطاف : جمع عطف وهو من كل شيء جانباه . القنا الرمح ، وفي هذا البيت حسن التخلص ، وهو أن ينتقل الشاعر من معنى الى معنى آخر يتعلق بممدوحه بتخلص سهل يختلسه اختلاساً بحيث لا يشعر السامع بالانتقال لشدة الممازجة والالتئام بينهما حتى كأنهما افرغا في قالب واحد . وهنا تخلص البيتوشي من موقف الغزل والتشبيب الى مدح الممدوح .

(٤) حِلى : جمع حلية لما يزين به . الأسامي : جمع اسم ناظر الى سليمان ، والكنى : جمع كنية ناظر الى ابن الهمام وأبي الهمام .

(٥) سَطا : يقال سطا به وعليه : وثب عليه وقهره . وطا : من وطا الشيء برجله داسه . طما : ارتفع . همى : صبَّ . الموهن : من الليل نحو منتصفه .

(٦) القائدَ : بالنصب صفة سليمان . الورد : جمع وَرد وهو من الخيل =

في ظَهر اجرَدَ صافنٍ لو رامَ فا ... رِسهُ الطِعانَ مع السِماكِ لأمكنا (١)
لا مَنٌ للزَرَدِ الوَضينِ عليه إذ ... مِن شأن هيبته كفايةُ مَن شنا (٢)
سَجَدَتْ ظُباهُ في محاريبِ الطُلىٰ ... شُكراً فمِن يُمناهُ نلنَ تيمُّنا (٣)
من حِمْيَرٍ فرع التبابعةِ الأُولىٰ ... هُم حُمرُ أطرافِ القَنا خُضرُ الفِنا (٤)

= ما كان أحمر اللون إلى صفرة ، أو ما بين الكميت والأشقر . المذاكي : جمع المذكى وهو من الخيل ما تم سنّه وكملت قوته . الورد : مكان ورود العطشان . نحورهنّ : نائب فاعل عوّدتْ . تمرُّنا : مفعول مطلق لقوله عوّدتْ من غير لفظه . أي أن الممدوح قائد لكتيبة الفرسان الذين يركبون الخيل المذاكى وتعودت نحورهن ورود ساحات الوغى وميادين الحرب بدون وجل أو تردد كأنهنّ يردن من العطش المنهل العذب .

(١) في ظهر : متعلق بقوله القائدَ في الشعر السابق . الأجرد : من الخيل قصير الشعر . الصافن : من الخيل القائم على ثلاث قوائم . السماك : اسم لكوكبين نيّرين يقال لأحدهما : السماك الرامح ، وللآخر : السماك الأعزل .

(٢) الزَرَد : الدرع . الوضين : المنسوج حلقتين حلقتين . شَنا : أبغض

(٣) الظبي : جمع ظُبة لحد السيف . المحاريب : جمع محراب وهو موضع وقوف الامام في المساجد أثناء الامامة . الطُلى : جمع طُلية بمعنى العنق واضافة المحاريب اليها بيانية . شكراً : مفعول مطلق أو لأجله لقوله (سجدت) . فمن يمناه : بيان للنعمة الموجبة للشكر ، أي أن سيوف الممدوح وأسنته نلن التيمن ببركة يمناه فسجدت شكراً في محاريب أعناق الأعداء .

(٤) حمير : قبيلة . التبابعة : جمع تُبَّع اسم لملوك اليمن . الأولى : اسم موصول بمعنى الذين . حُمرُ أطراف القنا : كناية عن شجاعتهم . خضر الفِنا : كناية عن سخائهم .

إنْ حاربُوا ضَرُّوا ، وإمّا سالموا سَرُّوا ، ومَهما فاخروا شادُوا البِنا
والدهرُ طوعَ هواهُمُ وهمُ هُمُ فطواهُمُ طيّ السجلِ يدُ الفنا (١)
وأبوهُ مَن بالأمسِ تُبدي عنده غُلْبُ الرقاب تَذلُّلاً وتمَسكُنا (٢)
العزُ يُشئِمُ إنْ أتى شاماً كما يُلفى يمانياً إذا هو أيْمنا (٣)
في سابِريِّ مِن نَقيِّ العِرضِ ما وَجدَ المُطاعِنُ فيه يوماً مَطعنا (٤)
فهو العِصاميُّ العِظاميُّ الذي بوُجوده وجُدودِه زانَ الدُّنا (٥)
يأوي الطريدُ إلى منيعِ فِنائه لَوْذَ المَهاةِ بِرُكنِ شابَةَ أوفَنا (٦)
والبرقُ حاكى عزمَه لمّا سَرى في زعمه لو كان ذاكَ لما وَنى (٧)

---

(١) هواهم : الضمير راجع إلى حمير .

(٢) الغلب : جمع أغلب وهو الأسد . أي أن الرؤساء الذين هم كالاسود يبدون بالأمس عند والد الممدوح الذلة والمسكنة .

(٣) يشئم : من أشأم بمعنى أتى الشامَ . أتى : فاعله ضمير راجع إلى قوله (أبوه) في الشطر السابق . يُلفى الخ : أي يكون العز يمانياً إذا أتى اليمن .

(٤) السابري : ثوب رقيق جيد .

(٥) العصامي : من شَرُف بنفسه لا بآبائه . العظامي : من شَرُف بعظام آبائه الرميمة . أي ان الممدوح له شرف النفس وشرف النسب .

(٦) الفِناء : ككساء ما اتسع من أمام الدار . لوذ : من لاذ بالجبل يلوذ استتر به والتجأ اليه . المهاة : البقرة الوحشية . شابة وفنا: جبلان بنجد.

(٧) العزم : الثبات والشدة فيما يعزم عليه الانسان . الزعم : الظَّن ، وبينه وبين العزم جناس . وَنى : أي ضعف ، ينكر على البرق ادعاء محاكاته لعزمه .

قد كادَ يحكي البدرُ غُرّةَ وجهِهِ ... ثم انتهى فكأنّهُ ما مُكّنا
فلذا اكتسى ثوبَ الخجالة والضنىٰ ... أوَما ترىٰ فيه انخناساً وانحِنا (١)
والدُرُّ أخجلَه عذوبـةُ نظمِهِ ... فلذاكَ في اليمّ الأُجاج استوطنا
كم هاجَ مِن اخوانِهِ يومَ الوَغىٰ ... مِن ههُنا أُسدَ العرينِ وههُنا (٢)
يومَ الهِـياج ولو أجمّ يُناطح الـ ... قِرنَ الألدّ ولو يُبارزُ أقرَنا (٣)
يا غادياً طرْفي يَشيمُ بُروقَـهُ ... يا جائياً بقدومِهِ زالَ العَـنا (٤)
بغدادُ قد طرِبت بيُمنِ قدومِكم ... فاهتزّ منها ما تناءى أو دَنا
ضَحِكَتْ فدجلةُ من دُموع سُرورها
والضحكُ يُذري الدمعَ مِن فرْطِ الهَنا (٥)
يا ليتنا فُزنـا بلثم سَنابِكِ الـ
خيلِ التي جاءت بكم يا ليتَنا

---

(١) الضنى: المرض، وهو كناية عن اصفرار اللون ونقصان الضوء. الخنس: التأخر.

(٢) أي كم أهاج الممدوح من أتباعه وفرسانه في الحرب اسوداً على الأعداء.

(٣) الاجم: كبش لا قرن له وهو كناية عن الأعزل. القرن: الكفؤ. الأقرن: الذي له قرن بالفتح وهو كناية عن شاكي السلاح، أي يغلب القرنَ الألد المسلح حتى اذا كان أعزل.

(٤) الغادي: سحاب ينشأ غدوة. يشيم: من شام البرق يشيمه نظر اليه أين يقصد وأين يمطر.

(٥) يذري: من أذرت العين دمعها صبّته.

يا باسِلاً يومَ الكَريهة باسماً والخيلُ يُقْصِرُ خَطوَها قِصدُ القَنا (١)

والشُهْبُ من عَلَقِ الكُماة تخالُ كُمْـ

ـتاً فهي تَسْبَحُ في أواذِيِّ المَـنا (٢)

والبيضُ تُغْمَدُ في الطُلَى مفلولةً والسُمْرُ تُرْكَزُ في الكُلى ولها انْثِنا (٣)

والسِيدُ يغشاهُ القَتامُ فلم يَسِرْ إنْ لم يُبِنْ برقُ السِنانِ له السَنا (٤)

عَلَّمْتَ آسادَ الشَرى إقدامَها وصفاتُكَ الغُرُّ الوَرى غُرَرَ الثنا (٥)

---

(١) القِصدُ : جمع قِصدةٍ وهي القطعة مما يتكسر من الرماح ، وهو فاعل يُقصر ، أي أن قطع الرماح المتكسرة تمنع الخيل من المشي ومن تُقصر خطاها .

(٢) الشهب : جمع أشهب وهو من الخيل ما كان لونه الشهبة وهو بياض يتخلله سواد ، وهو عطف على الخيل في الشعر السابق . العلق : الدم . الكماة : جمع كَمِيّ وهو البطل . الكمت : جمع كُميت وهو من الخيل ما كان لونه بين الأسود والأحمر . الأواذي : جمع الآذي وهو الموج . المنا : مختزل المنايا .

(٣) البيض : جمع أبيض وهو السيف ، وهو عطف على الشهب في الشعر السابق . الطلى : جمع طلية وهي العنق . مفلولة : من فَلَّ السيفَ ثَلَمَهُ . السُمر : الرماح . الكلى : جمع كلية بالضم . انثنا أصله انثناء مصدر انثنى من باب الانفعال ، أي ان الرماح السمر تنثني حين الركز في الكلى من كثرة الاستعمال .

(٤) السيد : الذئب والأسد . القتام : الغبار . السنان بالكسر نصل الرمح . وبرقه لمعانه ، وضمير له للسيد . السنا : الضوء ، أي ان الذئب لم يقدر على الذهاب من كثرة الغبار وظلمة الطريق ما لم تضئه بروق الأسنة والرماح .

(٥) الشرى : مأسدة في جانب الفرات يضرب بها المثل . الغر : جمع الأغر وهو الحسن . الغرر : جمع غرة وهي من كل شيء أحسنه ، أي ان =

فلذا تراني إن مدحتك مفلقاً　　لكن بمدح سواك أُلفى ألكنا(١)
يا كعبة الآمال لست بجاحد　　جدواك لا والراقصات إلى منى(٢)
وإذا فخرت فخرت إذ لي نسبة　　فيكم فحق أن أقول أنا أنا
كردُ بن عمرو ينتمي لمزيقيا　　ماء السما جدّي الذي سمك البنا(٣)
ولقد ذكرتك والصفاح نواهل
منا وأطراف الوشيج تنوشنا(٤)

= الممدوح بشجاعته علّم الآساد الاقدام ، وبباقي صفاته الشريفة ألهم الورى غرر الثناء والمدح .

(١) المفلق : الشاعر المبدع . ألفى : بالبناء للمجهول من ألفاه أي وجده . الألكن : من به عي وثقل لسان .

(٢) الجدوى : العطية . الراقصات إلى منى : هي الابل التي يسار عليها إلى بيت الله الحرام ، وقد كانت العرب يقسمون بها كقول الفرزدق :

ولقد حلفت على يمين برّة　　بالراقصات إلى منى وثبير

(٣) كرد بن عمرو : ، أشار به إلى قول بعض الشعراء :

لعمرك ما الأكراد أبناء فارس　　ولكنهم كرد بن عمرو بن عامر

وهكذا ذكر نسب الكرد حافظ المغرب ابن عبدالبر القرطبي في كتابه : (قصد الامم ، في أنساب العرب والعجم) ذكره ابن خلكان في وفيات الأعيان في ترجمة المهلب ابن أبي صفرة .

(٤) الصفاح : جمع صفح لعرض السيف وجوانبه . النواهل : جمع ناهلة وهي المترددة الى المنهل . الوشيج : شجر الرماح ويريد به هنا الرماح نفسها . تنوش : من ناش الشيء ينوشه تناوله وطلبه ، أي انني =

بيني وبينكَ من أسنة فارسٍ   هدأ النسيمُ مخافةً أنْ يُطعنا
هُزّتْ لنـا صُمُّ الكُعوب توعُّداً
مِن كل مَن خانَ الإلـهَ ومَن خنا (١)
لـكنْ ثأراً أنت مِن طُلاّبه   وبنو أبيك الغرُّ يُدْرَكُ هيّنا (٢)
خُذها إليكَ خَريدة كُرديةً   ما قابلتْ بانَ النقا إلا انحنى (٣)
مِن بيت مَن قعدت به الأيامُ وهْ   و إذا أرادَ القولَ قال وأحسنا
إن قامَ يبني البيتَ مِصراعاهُ مِن   جاري نُضار النيّرين تمكّنا (٤)

= ذكرتك حينما كانت سيوف الأعداء ورماحهم تشرب من دمائنا . وهذا البيت مأخوذ من معلقة عنترة حيث يقول :

ولقد ذكرتكِ والرماح نواهل   مني وبيض الهند تقطر من دمي

(١) هزت : بالبناء المفعول . صم : جمع أصم وهو الذي لا جوف له . الكعوب : جمع كعب وهو العقدة من عُقد الرمح ، واضافة الصم اليه من اضافة الصفة إلى الموصوف ، أي هزت لنا الرماح غير المجوفة الأنابيب وهي صفة قوة في الرمح .

(٢) الثأر : والمراد به هنا القصاص ، وبنو أبيك : عطف على قوله : أنت . يُدرك : بالبناء للمجهول خبر لـكن ، أي ان دماً وقصاصاً أردت أن تأخذه أنت مع اخوانك يكون سهلاً ميسوراً .

(٣) الخريدة : البكر التي لم تُمسّ قط . البان : اسم شجرة . النقا : القطعة من الرمل المحدودبة ، وضمير خذها راجع إلى القصيدة المشبهة بالخريدة الـكردية .

(٤) البيت : المسكن ، ومن النظم ما اشتمل على مصراعين صدر وعجز . =

جاءتك بهكنة تضمن مرطها ... بدر الدجنة منك لاقت بهكنا (١)
بهنانة يولي الضجيع رضابها الـ ... معسول بالاسحار أحلى ما جنى (٢)
يوليك صداً تارة منها الدلا ... ل وتارة حسن التبسم والرنا (٣)
تزري بآرام الصريم لواحظاً ... وتريك - إن وافتك ذلك - بينا (٤)
فاسلم ودم غصناً وريقاً يانعاً ... ثمراته لمن استظل أو اجتنى
لا زلت في درج المعالي صاعداً ... تختال في برد السلامة والهنا

انّ من يتأمل في هذه القصيدة وفي الفاظها ومعانيها ، ويقارنها بغيرها من قصائده يوقن بأن البيتوشي يختار أحسن الألفاظ وقعاً في

= المصراع : من الباب أحد غلقيه ، ومن الشعر نصف البيت . الجاري : النهر الذي لا يجف . النضار : الذهب والفضة . النيّران : الشمس والقمر ، أي ان الخريدة الكردية من بيت مَن - وهو البيتوشي - إن أراد إنشاء بيت يكون مصراعاه من ذهب الشمس وفضة القمر الجاريين تمكن .

(١) البهكنة : امرأة شابة طرية سمينة . المرط : ثوب من صوف أو خز . البهكن : الشاب الطري .

(٢) البهنانة : المرأة الطيبة النفس أو الريح أو اللينة في أعمالها . يولي : أي يعطي . الضجيع : الذي يضاجعها .

(٣) يوليك : أي يعطيك . الصد : الاعراض . الرنا : النظر . يشير البيت إلى أن القصيدة بما فيها من جد القول والواقع تصدك تارة عن المرح والاخلاد إلى الأنس والبشر والراحة وتارة تعطيك النسيم العليل في النظر بلحاظ العطف والمحبة مما فيها من المدح والتشبيب .

(٤) تزري : أي تعيب وتستخف . الآرام : جمع ريم وهو الظبي الخالص البياض . الصريم : القطعة من معظم الرمل .

السمع ، وادعاها الى ايقاظ النفوس ، واثارة العواطف حسبما يناسب الغايات التي كان يقصدها ، وإن كان أثر التكلف ظاهراً عليها .

القصيدة الخامسة يهنيء بها حاكم الاحساء الشيخ أحمد بن عبدالله بعيد الفطر ، وبانقضاء شهر رمضان المبارك لسنة [١١٩٣هـ] . وهذه القصيدة مع القصيدتين التاليتين لها السادســة والسابعة بعث بها الينا فضيلة الشيخ محمد بن ابراهيم المبارك بمدينة (هفوف) بمقاطعة (الاحساء) وذلك بعد أن كتبت اليه ملتمساً منه أن يزودنا بما عنده من آثار البيتوشي .

قال البيتوشي رحمه الله :

يا أحمدُ المأمولُ يا خيرَ مَن ... مهّــدَ طُرْقَ المجــدِ تمهيدا
وخيرَ مَن ألقى اليه الحِجى ... والعلمُ والحــلمُ المقاليــدا (١)
هذا هِلالُ الفِطرِ وافى وقد ... بدّد شَملَ الصّوم تبــديدا
كحربةٍ أوّدها الطعنُ في ... صُدور أعــدائك تأويدا (٢)
أوْ مِنجَــل غادَرَ ربي به ... عُمْرَ الذي يَقلاكَ محصودا (٣)
فاشربْ على اثر زمانٍ مَضىٰ ... يُهدّدُ الشُرّابَ تهــديدا
لا خائفاً مِن حاكمٍ صَولةً ... ولا مِن العاذِلِ تفنيدا
مَقبولَ ما شيّدتَ في شهرِكَ الْـ ... ـماضي من الخيراتِ تشييدا

---

(١) الحجى : العقل والفطنة .

(٢) أوّدها : أي عوّجها .

(٣) غادَرَ : أي ترك ، ولا يخفى حسن المناسبة بين الهلال وبين كل من المنجل والحربة المعوجة .

مُغرّداً طيرُ المسرّاتِ في أفنانِ إقبالِكَ تغريدا
تُفيدُ مَن والاكَ ما يشتهي وتَترُكُ الحاسِدَ مَفؤُودا (١)
وليَهنكَ العيدُ ولو أنني أنصفتُ هنّأتُ بكَ العيدا
فأيُّ يومٍ أنت فيه يُرى لسائرِ الأيامِ محسودا
أيّارُ لولا وِردُهُ لم يَكنْ دونَ شهورِ العامِ محمودا (٢)
جمّعْتَ للأنفسِ طيباً وأطـ راباً كما قد ضُمّنا العودا (٣)
عُودُكَ مَبْريٌّ منَ الجُودِ أم مِن عُودِكَ الباري بَرى الجُودا (٤)
خِلفةَ ماءِ الوَرْدِ عن وَرْدِه خَلَفْتَ أجدادَكَ مجدودا (٥)
ترِوي أحاديثَ النّدى عنهمُ مُصحّحاً تلكَ الأسانيدا (٦)

---

(١) المفؤود : الذي يشكو فؤاده .

(٢) أيّار : هذا البيت كالتعليل للبيت السابق .

(٣) ضُمّنا : أي الطيب والطرب . العود : بالنسبة إلى الطيب ضرب منه يتبخّر به ، وبالنسبة إلى الاطراب آلة من المعازف يُضرب عليها .

(٤) العود : الغصن بعد أن يقطع ، ويراد به هنا ذاته . مبريّ : منحوت .

(٥) خِلفةَ : مفعول مطلق لخلَفتَ . المجدود : ذو الحظ .

(٦) تروي : من روى الحديث نقله . الندى : الجود والفضل والخير ، أي تروي دائماً حكايات الكرم والجود عن أجدادك قولاً وفعلاً ، وفي ذكر الرواية والحديث والاسناد ايهام خلاف المقصود . ثم ان البيتوشي يكرر هذا المعنى في قصيدة اخرى ويقول :

كم روت يُمناه أخبار الندى لمساكين وأسرى ويتامى
عن أبيه المرتجى عن أنس عن بني العباس من ساسوا الأناما

وفقتَ - لولا صحبةُ المصطفى - اولئك الصـيدَ الأماجيدا (١)
أجاتُ طرفي بين أهل الورى وجُبتُ في تَطـوافيَ البيدا (٢)
فلم أجد أحظى بكسب الثنا منكَ ولا أبـذل مجهودا
عزمُكَ يوماً لا يُرى مُغمَداً ولم يزل كُورُكَ مشدودا (٣)
أنتَ لنا روحٌ ولا فضل لِه جسم بدون الروح معدودا
ما مهملُ اللفظِ مفيـداً ولو رُدّدَ بالألحان ترديدا
هل جاحدٌ فَضْلَكَ إلاّ الذي لم يُؤتَ توفيقاً وتسديدا
إن لم يرَ الأكمهُ شمسَ الضحى فليس فضلُ الشمس مجحودا
يا سيّداً منطقُـه لؤلؤٌ يروقُ محـلولاً ومعقودا (٤)
وخلقُـه السهلُ النسيمُ الذي باكرَ روضاً طُلّ أو جيدا (٥)
وطبعُه ماء الحيـاة الذي يجـدّد الأعمارَ تجـديدا

---

(١) الصيد : جمع الأصيد بمعنى السيد العزيز .

(٢) أجلتُ طرفي : أدرته . جُبتُ : من جاب القطر قطعه . التطواف : الطواف . البيد : جمع بيداء وهي الفلاة .

(٣) الكور : بالضم الرحل .

(٤) يروق : يصفو . محلولاً ومعقوداً : أي منثوراً ومنظوماً .

(٥) وخُلقُه : عطف على فاعل يروق في الشعر السابق ، أي يروق منطقه ويروق خلقه السهل على النسيم على أن يكون يروق متضمناً معنى يفوق . باكر روضاً : أي مرّ عليه في البُكرة . طُل : ماضٍ مبني المجهول أي أصابه الطل وهو المطر الخفيف . أو جيدا : أي أصابه مطر غزير .

هاكَ ثناءً مثلما يخضلُّ الـ ... روض من الطل وتمجيدا[1]

ما فيه من عيبٍ سوى أنّه ... جنب تطويلا وتعقيدا[2]

من حافظ الوُدّ القديم الذي ... أكّده الإخلاصُ تأكيدا

هاجرَ في حُبّكَ أحبابَهُ ... طرّاً وأهلاً ومواليدا

ما إن تراه في الهوى مُلحِداً ... حتى يُرى في الرمس ملحودا[3]

فطالما من غير مَنٍّ رأى ... طوّق منه جودُك الجيدا

جودٌ بلا وعدٍ ولا خيرَ في ... مَن تتقاضاهُ المواعيدا

عِش في أمانٍ من صُروفِ الردى ... مُخَوَّلاً عزّاً وتأييدا

والمجدُ لا زال ، وظلُّ العُلى ... عليك مقصوراً وممدودا

ترفُل في ذَيل المُنى والهَنا ... ما دام عيدٌ عاقباً عيدا

القصيدة السادسة قالها رحمه الله مرتجلاً حينما سمع بأن الحاكم عازم على السفر غداً إلى البادية مع شيخ بني خالد سعدون بن عرعر ، فأرسلها اليه يتمنى فيها أن يقف الزمان ولا يدور حتى لا يدبر اليوم الذي كان الحاكم فيه مقيما ، ولا يقبل الغد الذي يسافر فيه . وهي هذه :

أيا ويحَ صبٍّ لا يزالُ يَروعهُ ... نَذيرُ النَوى من مُتهِمٍ ثم مُنجِدِ[4]

---

(١) يخضلُّ : أي يبتلُّ ويندى . تمجيداً : عطف على ثناء ، أي هاك ثناءاً وتمجيداً .

(٢) فيه : الضمير للثناء .

(٣) الرمس : القبر . الملحود : الموضوع في اللحد .

(٤) يروعه : يخيفه . المُتهِم : مَن أتى تهامة ، وهي بلاد جنوبي الحجاز . =

ضنىً لم يَدَعْ مَسُّ الهوى من رسومه
سِوى نَفَسٍ في طِمْرِه مترددِ (١)

تَناجت غَوادي الطير يا ليتها غدتْ
فريسةَ أقنىً ذي مخالبَ مُعتَدِ (٢)

وقالت غداً يَنأى أبو المجدِ أحمدٌ
ولا صبرَ لي يوماً على نأي أحمـدِ

فتىً إن يكن رَضْوىً يُحمَّلُ بعضَ ما
يُعانيـه في العلياء والمجد يَنْـأدِ (٣)

وهل أنا إلاّ الكفُّ وهو أنامِلٌ
ولا خيرَ مِن بعد الأنامل في اليدِ

فَمَن لي - وأنّى للفتىْ كلُّ بُغيةٍ -
بحابِس هـذا اليوم أو دافع الغدِ

فيا يومُ لا تَدبِر لك الخيرُ كلُّـهُ
ويا غدُ لا تُقبل وعش عيش مُقعَدِ

= المُنجِد : مَن أتى نجداً وهو ما اشرف من الأرض وارتفع .

(١) الضنى : المرض مع الضعف والهزال . الطِمر : الثوب البالي .

(٢) تناجت : أي تسارت . غَوادي الطير : المبكرة وهي فاعل تناجت .
ليتها : الضمير للطير . أقنى : أي صقر يفترسها .

(٣) رضوى : اسم جبل بين المدينة وينبع . ينأد : من إنآد ينآد انئياداً
بمعنى ينهار .

على أنه لا شك ذلك مدبرٌ ... وإنّي على إقبال هذا بمرصد
وقد يرتجي ما لا يراه ينــاله ... حليفُ الجوى واهي القوى والتجلُّد
فان سار فالبدرُ المنيرُ أخوه لم ... يزل كل ليل في مبيت مجدَّد
توسلتُ بالبيت العتيق ومعشر ... هنالك شُعْثٍ راكعين وسُجَّد
إلى الله أن يكفي الحبيب الذي نأى ... لقاء الرَّدى في كل مَهوى ومصعد (١)
ويرجع في عزّ منيع ومنصبٍ ... رفيع ، وإقبال وسيع ، وسؤدد
فتشفى حزازاتُ النفوس وتشتفي ... حرارةُ أنفاس وغُلَّةُ أكبُد (٢)

وفي صباح الغد خرج الحاكم مع شيخ بني خالد سعدون بن عرعر للذهاب إلى البادية ، وكان في تشييعه وجوه البلدة وأعيانها وعلى رأسهم البيتوشي ، وفي هذه الأثناء أرسل إلى الحاكم بعضُ إخوانه قصيدة لم نقف عليها ، يعاتبه فيها على كلام نقله عنه بعض الوشاة ، ووافته وهو على جناح السفر ، فأعطاها إلى البيتوشي ، وأشار اليه بالجواب ، فأجاب بهذه القصيدة على لسان الحاكم ، وقد أجاد فيها إجادة لم تر لها مثيلا حيث انه لم يصرح باسم أحد ولكنه كنّى عنه بالعاذل المعاتب . وقد جمع فيها محاسن الغزل والعتاب والاعتذار فقال :

يا رب لا عاش نمّامٌ وحُسّادُ ... هَمُّ الحواسد إرجافٌ وإفسادُ (٣)

---

(١) إلى الله : متعلق بقوله : توسلتُ .

(٢) الحزازة : وجع في القلب من غيظ ونحوه . الغُلّة : العطش الشديد . الأكبد : جمع كبِد .

(٣) الارجاف : مصدر أرجَفَ بمعنى خاض في الأخبــار السيئة والفتن بقصد أن يهيّج الناس . الحسّاد : كثير الحسد .

لا عيش إلا الهوى لولا التنغُّصُ مِن
سَمعِ الوُشــاة وللأشياء أضداد
لم يَبلُغَنْ مُغرمٌ مِن حُبّه أملاً
إلاّ وجَذُّوا عناق الوصل أو كادوا (١)
ولا رأوا مِن مَعين الوُدّ صافيةً إلا لهم ثَمَّ إصدارٌ وإيراد (٢)
سَقياً لأيامنا اللاتي لنا سَلَفَتْ بالوادَيين وللأوقات إسعاد (٣)
حيثُ الأقاحي بذات الأيك تُرشِفُنا
طَلاًّ ، له في جَوى الأحشاء إخماد (٤)
أيام تُسعِدُ سُعدىٰ غيرَ باخلة ولا يُنَهنِهُها عَذلٌ وإيعاد (٥)
تَسري إليّ ونارُ الحيّ خامدةٌ وتَنثني ولنجم الصبح إيقاد (٦)
أُغازِلُ الريمَ منها وهو ذو حَوَرٍ وأعطفُ البان منها وهو مَيّاد

(١) المغرم : المولع بالشيء . جذّ : قطع . العناق : المعانقة .

(٢) الاصدار : مصدر أصدره بمعنى ارجعه عن الماء . الايراد : إحضار الابل الماء .

(٣) الاسعاد : مصدر أسعده الله أي جعله سعيداً ، وهنا بمعنى الاسعاف .

(٤) ذات الأيك : الأيك الشجر : الكثير الملتف . ترشفنا : من ارشف الماء بالغ في مصّه . الطلُّ : الندى .

(٥) يقال نهنهه عن الشيء كفّه عنه وزجره بالفعل أو القول . العذل : اللوم . الايعاد : مصدر أوعده بمعنى وعده شراً وهدده .

(٦) يعني تزورني في النصف الأخير من الليل حينما يكون الناس نياماً وتكون نارالقِرى خامدة وترجع الى منزلها قبل الفجر ولم تزل النجوم متلألئة .

وأشربُ الصِرفَ مِن ممسول ريقتها
مُمَسَّكَ العَرف لم تمزجه أنكاد (١)

حتى عَدتْ بيننا للدهر عادية ... والدهرُ قِدماً بشتِّ الشمل مُعتاد
نأى بآنِسة الحَيَّيْنِ - لا بَعُدَتْ - ... إفكُ الوشاة فتأويبٌ وإسئاد (٢)
بثَّتْ إليَّ عتاباً وهي نازحةٌ ... كعِقد دُرٍّ تخلَّتْ منه أجياد (٣)
أوروضة مِن رياض الحَزن زاهية ... تَهَشُّ مِن نشرِها المِسكيِّ رُوّاد (٤)
كأنها الخُلد فيها الطيرُ ساجعة ... وحُورُها زَهَرٌ غَضٌّ وأوراد (٥)

وذاك من زُخرفِ القول الذي سمعتْ
ممن لهم عن طريق الحقِّ إلحاد (٦)

---

(١) الصرف : الخالص من كل شيء ، يقال شراب صرف أي محض غير ممزوج . العَرف : الرائحة الطيبة . الأنكاد : جمع نكدٍ والمراد به الأكدار .

(٢) الآنسة : الطيبة النفس . التأويب : سير النهار . الإسئاد : السير بالليل ، أي أبعدتها عني وشاية الواشين ومحاولاتهم المتكررة سراً وجهراً .

(٣) تخلت : أي تفرغت ، فالشاعر يشير إلى أن المعاتب أرسل بقصيدته العتابية في غير محلها لبراءة المعاتَب من العتاب الوارد فيها ، فكانت قصيدته كعقد در نزع من جيد ، أو المراد ان العقد جديد ومبتكر لم يتطرق اليه أحد .

(٤) الحَزن : بالفتح ضد السهل بمعنى الوضع الخشن . تهشُّ : من هشَّ يهَشُّ تبسَّم . الرواد : جمع رائد وهو الرسول الذي يرسله القوم لينظر لهم مكاناً للنزول والرعي .

(٥) الزَهر : نور النبات . الغض : الناضر .

(٦) ذاك : إشارة إلى العتاب . الالحاد : الميل .

لا كنتُ - إن صدقوا - ممن عَنَتْ لهم
مِن شامخ العِزّ والعلياء أطواد (١)

ولا انتميتُ لأسلافٍ لهم ضُرِبت فوقَ السِماكين أطنابٌ وأوتاد (٢)

أما دَرَتْ أنني مَن لم تَدِبّ له عَقاربٌ، وحسانُ الخُلق لي عاد (٣)

أفي لِخلّيَ في حاليْ رضا وقِلىً سِيّانَ مُقتَربٌ عندي وإبعاد (٤)

ما حِدتُ عن شِيَمِ الغُرّ الأولى شَهِدتْ
أهلُ الهوى لي بها يوماً وإن حادوا (٥)

فما لها - وهي أدرى بي - تُصيخُ الى
قومٍ عَدا دارَهُم حِلم وإرشاد (٦)

---

(١) عَنَتْ : أي خضعت . الأطواد : جمع طود وهو الجبل العظيم ، يتمجد الشاعر بأجداده .

(٢) السِماكان : كوكبان نيّران يقال لأحدهما « السماك الرامح » لأن أمامه كوكباً صغيراً يقال له « رمح السماك » ، وللآخر : « السماك الأعزل » لأنه ليس أمامه شيء .

(٣) تدبّ : يقال دبّ أي مشى كالحية أو على اليدين والرجلين كالطفل . العقارب : النمائم . عاد : جمع عادة وهي ما يعتاده الانسان ، أي أما علمت انني من الذين لا يجد النمامون عليهم طريقاً، وان الأخلاق الحسنة صارت دأبي وعادتي .

(٤) أفي : من وفى بالعهد حافظ عليه . الخل : الصديق . المقترب : مصدر ميمي .

(٥) حِدتُ : من حاد بمعنى مال . الشيم : جمع شيمة وهي الخلق والطبيعة . الغرّ : جمع الأغر بمعنى الحسن . الأولى : الذين .

(٦) تصيخ : أي تصغي .

هلاّ أبتْ - كإبائي عن زخارفهم -
يومَ الثنيّة إن قلّوا وإن زادوا
راموا خِداعي بما كادوا وما ظفِروا
والصبُّ عن عذل العُذّال صدّاد (١)
يا أُختَ سعدٍ سَقى داراً حللْتِ بها
مُزنٌ يُزَجّيه إبراقٌ وإرعاد (٢)
قاسيتُ فيكِ معاداة الغُواةِ ، لهم
عليَّ حشوَ الحشا ضِغنٌ وأحقاد (٣)
هَوايَ حيثُ تحِلُّ اليعملاتُ بكم
وليس للقلبِ عن مَغناكِ مرتاد (٤)
في القلبِ مني - كما تهوَينَ - صدقُ هوىً
وفي الحيازيم للأشواق تَرداد (٥)
عندي - إذا لم أُشِم منكم بروقَ رضا -
لا الشامُ شامٌ ولا بغدادُ بغداد

(١) العذل : الملامة . الصدّاد : كثير الإعراض .
(٢) يُزَجيه : أي يسوقه .
(٣) الغواة : جمع الغاوي أي المضلّ ، وفي حشو الحشا جناس محرف بديع مطبوع .
(٤) اليعملات : جمع يعمل ويعملة للجمل والناقة المطبوعين على العمل .
المغنى : المنزل .
(٥) الحيازيم : جمع حيزوم وهو وسط الصدر .

والله ما مِلتُ عن نهج الغرام بكم ... غيري من الناس للسلوان ينقاد
بئس الخليل الذي يثنيه عن طُرُق الـوفاء للخِـلِّ أنذالٌ وأوغاد
عُدولُ دعوايَ أجفان مُجرَّحة ... لي مَن يزكيهم : همٌّ وتسهاد (١)
فليت قلبكِ في جنبيَّ آونـةً ... لتعلمي حالَ مَن أضناه إبعاد
يا من نأتْ بفؤادي حينما وخدتْ ... بها المطايا والأنفاس تصعاد (٢)
قضى الإله بما أمضى فهل لكِ في ... شـاكٍ تمادى فملّتْ منـه عُوّاد (٣)
بي منكِ ما لو غدا بالصُمّ لانصدعت ... أو بالجبـال لسالت منه أوهاد (٤)
عودي فلا زلتِ بالاحسان عائدةً ... على الكئيب فخيرُ الناس مَن عادوا

ولما ذهب الحاكم الشيخ أحمد إلى البادية مع شيخ بني خالد سعدون ابن عرعر ، وترك البيتوشي في الاحساء ردحاً من الزمن بعيداً عن منادمته ومساعدته المالية ، بعث اليه بهذه القصيدة التي تبدأ بمقدمة تشبيبية بليغة ، غير ان البيتوشي الساحر قد سبك المقدمة بحيث ترمز

---

(١) وفي الجمع بين الدعوى ، والشهود العدول ، والتزكية ، والجرح مراعاة النظير .

(٢) وخدت : أي أسرعت به المطايا .

(٣) العُوّاد : جمع عائد وهو الذي يعود المريض .

(٤) الصم : الحجارة الصلبة . الوهدة : الأرض المنخفضة ، أي عادت الجبال وهاداً .

بين ثنايا الكلمات والجمل إلى معاتبة الحاكم ، والحق أنها درة نادرة في جبهة الأدب ، عثرنا عليها في مجموعة خطية بمكتبة المرحوم الملا محمد ابن الحاج عبدالله الجلي بكويسنجق . فيقول :

الهجرُ أقتلُ ما علمتُ فواصلي   ماذا التجافي منكِ يابنةَ وائل (١)

إن تصرمي حبلي فلستُ بصارمٍ   أو حُلتِ عن عهدي فلستُ بحائل (٢)

أو تُنكري شيباً ألمَّ بلمّتي   فكما علمتِ تكرُّمي وشمائلي (٣)

يا أختَ ذُهلٍ مِلتِ عمّن لم يَمِلْ   وذهلتِ عمّن ليس عنكِ بذاهل (٤)

إن كنتِ مِن أغنى الحسانِ ملاحةً

طرّاً فإني اليومَ أحوجُ سائل

أُمسي وأُصبحُ والأسى حشوُ الحشا   بينَ السهادِ وبينَ عذلِ العاذل (٥)

---

(١) التجافي : التباعد . إبنة وائل : كناية عن المحبوبة .

(٢) تصرمي : من صرم الشيء قطعه . حَبلي : أي عهدي . ففيه استعارة مصرحة أصلية . حُلتِ : من حال عن الشيء اذا انقلب عنه واعترض ، أي إن امتنعتِ عن ايفاء العهد فلستُ بمانع عنه .

(٣) ألمَّ : أي نزل . اللمّة : الشعر المجاوز شحمة الأُذن وما تشعّث منه ، أي إن كنتِ ضيقة القلب مما ألمَّ بلمتي من الشيب فقابلي ذلك بما تعلمين من تكرمي وشمائلي الحميدة ، أي فلتجبر شمائلي وأخلاقي الكريمة ما ألمَّ بي من عيوب الشيب .

(٤) ذهل : قبيلة من العرب ، أي يا من هي من هذه القبيلة . ملت : من مال عن الطريق حاد عنه وتركه . ولا يخفى ما في ذهل وذهلت وذاهل من جناس الاشتقاق البديع .

(٥) السُهاد : قلة النوم . العذل : الملامة .

لم أنسَ ما قد قلتِ للأتراب إذ ... تمشي الظعائنُ في خُبوتِ حُلاحِلِ (١)
مَن ذا الفتى البادي لنا في بُردَتَيْ ... سيما الشباب ولونِ أشيبَ ناحِلِ (٢)
أغريبُ دارٍ أم له في وائلٍ ... نَسَبٌ اليه يؤولُ دونَ قبائل ؟ (٣)
وأراهُ مقتولَ الغرام فمَن بـه ... ولأنتِ أدرى العالَمينَ بقاتلي (٤)
يا مَن حكاهُ البانُ في لينٍ وفي ... تَرَفٍ كما زعموه نَوْرَ خمائلِ (٥)
لولاكِ عنسي لم تَبِتْ بعقالها ... تشكو وجاها في سَباسبِ عاقِلِ (٦)

---

(١) الأتراب : جمع تِرب بالكسر لمن وُلد معك . الظعائن : جمع ظعينة الهودج ومن فيه . الخبوت : جمع خبت وهو ما اطمأن واتسع من الأرض . الحُلاحل : اسم موضع .

(٢) مَن ذا الفتى : مقول قلت في الشعر السابق . الأشيب : المبيض الرأس . الناحل : الضعيف .

(٣) وائل : اسم القبيلة التي منها المحبوبة . دون : بمعنى غير .

(٤) فمن به : أي فمن اتصل بهذا الفتى من الفتيات وصيرته عاشقاً عليلاً ناحلاً منهوك القوى .

(٥) الترف : التنعم ، والمراد به هنا النعومة . النَّور : الزهر . الخمائل : جمع خميلة وهي الموضع الكثير الأزهار .

(٦) العنس : الناقة القوية . تَبِت : من بات بالمكان أقام فيه ليلاً . العقال : حبل يشد به البعير في وسط ذراعه . وجاها : الوجى : الحفا وهو رقة القدم والخف والحافر من كثرة المشي ، والضمير راجع الى العنس . السباسب : جمع سبسب المفازة . عاقل : اسم موضع ، أي لولا الأمل في وصالك لم اقطع الفيافي ولم تبق ناقتي معقولة تشكو الوجى من قطع المسافات الشاسعة بين الحيوانات الضارية والوحوش المفترسة .

بين الصَّدى والبوم والغيلان والـ ... عُرْجِ الجياع وكلِ أطلسَ خاطلِ (١)
حيثُ القَطا لا تهتدي لِفراخها ... والريحُ لم تأمن طروقَ غوائلِ (٢)
باعدتُ فيكِ أقاربي وغشَشْتُ فيـكِ مناصحي وقطعتُ فيك مواصلي (٣)
وأكلتُ صمغَ الطلحِ فيكِ وحبّذا ... ووردتُ مُرَّ مواردٍ ومناهلِ (٤)
وألِفتُ مُحترشَ الضّبابِ ولم يكن
غيرُ القُصور الشـامخاتِ منازلي (٥)
وبذلتُ جُهدي في رضاكِ فلم أفزْ ... ممّا أُؤمّل مِن هواكِ بطائلِ (٦)

---

(١) بين : ظرف لتشكو في البيت السابق . الصّدى : نوع من البوم يأوى الى الأماكن الخربة المظلمة . الغيلان : جمع غول للداهية والمهلكة . العُرج : جمع أعرج كناية عن الضبع لأنها تمشي مشية غير مستقيمة . الأطلس : الذئب الأمعط أي في لونه غبرة الى السواد . الخاطل : من تخطّل في المشي أي تلوّى وتبختر .

(٢) الطروق : مصدر طرق فلان القوم ، بمعنى اتاهم ليلاً .

(٣) فيكِ : أي بسببك ، وكذا في الموضعين الآتيين .

(٤) الصمغ : سائل يسيل من الشجرة ويجمد عليها . الطلح : شجر عظيم ترعاه الابل ، والواحدة طلحة ، أي تركت من أجل وصالك العمران والبلدان، والأقارب والأوطان ، وسكنتُ البادية الموحشة ، واضطررت من ذلك الى الاقتيات بصمغ الطلح التافه المستهجن الذي تأكله الحيوانات البرّية ، وكان مع ذلك لذيذاً لديّ ، ومحبوباً عليّ لأنه من أجل وصالك .

(٥) المحترش : من حرش الضبّ إصطاده . الضِباب : جمع ضبّ حيوان من الزواحف ، ومحترش الضباب : مكان اصطيادها وهو البادية .

(٦) الطائل : الفائدة .

إن الذي يرجو الوفاءَ مِن الدُمى كالمرتجي لدوام ظِلٍّ زائل (١)
مَن يمتدحْ بينَ الأنام ببُخلِهِ هَيهاتَ أن تحظى لديهِ بنائل (٢)
أشمتَ بي الواشينَ والحُسّادَ والأ وّامَ لي في لوعتي وعواذلي (٣)
وتركتِ ذُلّي بعدَ عزّي في الهوى
مَثَلاً بكلِّ مَشاهدٍ ومحافل
فلأرمينْ قلباً غريراً ما سَلا عمّا وعدتِ له بدارةِ مأسَل (٤)
ولأعدِلَنّ رِكابَ شوقي عنكِ يا مَن ليس في شرع الغرام بعادِل (٥)
ولأغمِضَنْ عن بَرقِكِ الطرف الذي
ما زالَ يهمي كالسحابِ الهامِل (٦)

---

(١) الدُمى : جمع دُمْيَة وهي الصورة المنقوشة من الرخام أو العاج .

(٢) النائل : العطية والمعروف .

(٣) أشمت : من شمت فلان بفلان فرح ببليّته . الواشي : النمّام . اللوعة : حرقة الحزنِ والوَجدوالهوى . عواذل : جمع عاذلة ، أي افرحت ببليتي النمامين الخ .

(٤) الغرير : المغرور . ما : نافية . سَلا : من سلا الشيء يسلوه إذا نسيه . دارة مأسل : اسم موضع ، وللعرب دارات كثيرة في بلادهم تنيف على مائة وعشر ، وهي أمكنة مخصوصة كدارة جُلجُل ، ودارة مأسل وغيرها ، أي والله لأرمينّ قلبي المغرور بوعدك المزيّف .

(٥) شوقي : جعل الشوق ركاباً على سبيل الاستعارة المكنية والركاب تخييل .

(٦) برقك : أي برق جمالك . يهمي : أي يفيض بدمعه الهامل : الممطر.

وَلَأُلْوِيَنَّ عنِ اللّوى ما دام قَوْ ... مُكِ في مَرابعهِ صُدورَ رَواحِلي (١)

لا عَوْدَ مِنّي يا أُمامةُ فيكِ لا ... وحياةِ مولايَ الإمامِ الفاضِلِ (٢)

عَمُّ النَّوالِ أخُ العُلومِ أبو العُلىٰ ... والجَدِّ خِدْنُ الجِدِّ ليس بهازِلِ (٣)

هو أحمدُ الذهَبُ المُصفىٰ فَرعُ مَنْ ... ساسوا القبائلَ بالقَنا وقنابِلِ (٤)

قَبْلَ النبيِّ وحينما نَصرُوهُ بالْـ ... بيضِ الرِّقاقِ وكلِّ أسمرَ ذابِلِ (٥)

قاري الصَّحائِفَ والصِّحافِ فمنه إحـ ... ياءُ العلومِ وقتلُ دهرٍ ماحِلِ (٦)

---

(١) اللوى : اسم موضع . صدور : مفعول (ألْـوِيَنَّ) .

(٢) أمامة : اسم المحبوبة ، والظاهر أنها كلمة من كلمات التدليل والملاطفة مع المخاطبة ، وفي هذا البيت حسن التخلص وقد سبق تعريفه في ص ١٣٨ .

(٣) عَمُّ النوال : خبر مبتدء محذوف أي هو عم للعطاء كما أنه أخ للعلوم وأب للعلى والجَد بمعنى الحظ . الخِدن : الصاحب . الجِد : بالكسر ضد الهزل .

(٤) القنابل : جمع قَنْبَلة وهي جماعة الخيل .

(٥) قبل النبي : ظرف لساسوا في البيت السابق ، أي ان أجداده الذين كانوا من الأنصار ساسوا القبائل قبل ظهور النبي ، وبعده نصروه صلى الله عليه وسلم بالسيف والسنان .

(٦) الصحائف : جمع صحيفة . والصِحاف : جمع صحفة للقصعة . الدهر الماحل : الشديد القحط ، فالقاري بالنسبة إلى الصحائف من قرأ بالهمزة ، وبالنسبة إلى الصحاف من القِرى بمعنى الضيافة ، فقوله : « فمنه إحياء العلوم » ناظر إلى قوله « قاري الصحائف » ، وقوله « قتل دهر ماحل » ناظر إلى قوله =

تلقى العُفـاةَ المحـدِقينَ بِريعه
في الجَدْبِ كالأصدافِ حول الساحِل (١)

ومِدادُه لِلحِبِّ مِن ذَوبِ اللَّمى ... والخَبِّ شبهُ لُعابِ أسودَ سائِل (٢)

ويَمينُه في الجودِ نهرٌ سائِلٌ ... ما إن رأينا منهُ نَهْرَ السائِل (٣)

قُلْ للذي يرجو محامِدَ أحمـدٍ ... أينَ الدَّراري مِن يَدِ المتطاوِلِ ؟ (٤)

= والصحاف على الف والنشر المرتب ، وفي « دهر » استعارة مكنية ، و « قتل » تخييل له . والبيتوشي كرر هذا المعنى في قصيدة اخرى فقال :

أهل صحف وصحاف فَلَكَمْ ... أحيوا السنة والعام الكلاحا

(١) العُفاة : جمع العافي لكل طالب فضل أو رزق وهو مفعول به لتلقى. المحدقين : المحيطين به . الريع : فضالة كل شيء ، أي انك تجد السائلين المحيطين به والمنتظرين لفيضه ونواله في أيام القحط كالأصداف المحيطة بسواحل البحر مفتوحة الأفواه انتظاراً لنيل المنى من عارض ممطر .

(٢) المِداد : الحبر . الحِب : المحبوب . الذَّوب : من ذاب الثلج ضد جمد . اللمى : بتثليث اللام سُمرة في باطن الشفة تستحسن . واضافة الذوب اليه من اضافة مبدء الصفة إلى الموصوف أي من اللمى المُذاب . الخبّ : الخبيث الخداع ، وبينه وبين الحِب الجناس الناقص . الأسوَد : الحية العظيمة السوداء ، ولعابها سمّها ، والسائل الجاري صفة للُعاب ؛ أي ان الحبر الذي يكتب به الممدوح للحبيب هو من اللمى المذاب ، وللعدوّ من سمّ الأفاعي .

(٣) النهر الأول بمعنى الجاري ، والثاني بمعنى الزجر ، كما أن السائل الأول بمعنى الجاري والثاني بمعنى الطالب . إن : زائدة .

(٤) الدراري : الكواكب العظام . المتطاول الذي يتمدد قائماً ليُنزل شيئاً من مرتفع عال ، أي قل لمن يرجو أن تكون صفاته كصفات ممدوحي =

نَسَبٌ أصيلٌ في شَمائِلَ مثلِ ما   رَقَّتْ شَمولٌ مِن نسيمِ أصائِلِ (١)
وبَديعُ نظمٍ مثلَما خَلَعَ الرَّبيـ   ـعُ على الرَّوابي مِن نَفيسِ غَلائِلِ (٢)
ورزينُ حِلمٍ لو حَوَتْهُ الأرضُ ما   خِفْنا عليها مِن طُروقِ زلازِلِ (٣)
ونجومُ آراءٍ له كم قد جَلَتْ   عنَّا دَياجيَ ليلِ خَطْبٍ هائِلِ (٤)
يا نازلاً أعلى الهِضابِ إذا ارتدتْ
أنواؤُهـا بِرداءِ ألأَمَ باخِـلِ (٥)

= المسمى بأحمد ، أي يريد أن يتشبه به لا يتعب نفسه فصفاته مثل الدراري بعيدة المنال .

(١) نسبٌ : تفصيل لمحامد ممدوحه البعيدة المنال . الأصيل : صاحب أصل شريف . الشمائل : جمع شِمال : الطبع . الشمول : الخمر . من نسيم : متعلق برقت . الأصائل : جمع أصيل بمعنى الوقت بين العصر والمغرب ، أي ان الممدوح ذو نسب أصيل في شمائل رقيقة كرقة الشمول من نسيم الأصائل .

(٢) الروابي : جمع رابية ما ارتفع من الارض . من نفيس : بيان ما في مثلما . الغلائل جمع غِلالة شِعار يلبس تحت الثوب ، واضافة النفيس اليه من اضافة الصفة إلى الموصوف .

(٣) رزين : يقال رزن رزانةً ثقل فهو رزين ، يعني أن حلم الممدوح أثقل من الجبال الشاهقة بحيث لو حوته الارض لم يتطرق اليها الزلازل .

(٤) نجوم آراء : كلجين الماء . أي آراء كالنجوم توقداً . كم : للتكثير . جلت : أضاءت . الدياجي الظلمات . الخطب : الأمر العظيم . الهائل: المفزع .

(٥) الأنواء : جمع نَوء وهي النجوم ، وقد يراد بها المطر ، والمراد بها هنا الجو ، أي يا من ذهب للاصطياف ونزل بأعلى الهضاب في الوقت الذي يرتدي الجو فيه بسُحب بيض رقاق بخيلة غير ممطرة - أي في الصيف - ، يظهر =

عجزَ الأواخرُ عن لحوقِكَ في العُلى — لمّا جَرَوا وسبقتَ شأوَ أوائلِ (١)

فتوركوا الأعجازَ حينَ رأوكَ قد — ملكتَ كلَّ غواربٍ وكواهلِ (٢)

مَن تُعيِهِ الفُرسانُ في جَولانِها — بِطِرادِها يقنعْ بمشيةِ راجلِ (٣)

ومُذِ اصطفَيْتَ على الجيادِ رواحلاً — فَضُلَ الرُغاءُ على صهيلِ الصاهلِ (٤)

لِلبَدوِ كلُّ الفخرِ ان تكُ فيهمُ — أو في القُرى فَلَهُنَّ كلُّ فضائلِ

يا ليتَ شِعري هل غفلْتَ عن الذي — - وحياةِ رأسِكَ - ليس عنك بغافلِ

= أن البيتوشي يلمح من طرف خفي إلى أن الممدوح لم يمد إليه يد المساعدة منذ أن تركه بالاحساء ، ويجوز أن يقال الأنواء لنجوم يعتقد العرب أن لها تأثيراً على المطرقلة وكثرة فهو يريد سنة المحل التي تخفى فيها منازل الناس خشية الضيفان إلا ان ممدوحه ينزل في مثل هذه السنة باعلى الهضاب لتراه الضيفان وتأتيه .

(١) العلى : الشرف والرفعة . الشأو : السبق .

(٢) فتوركوا الأعجاز : أي قعدوا واعتمدوا على الورك والعجُز . الغوارب : جمع غارب . الكواهل جمع كاهل . وهما أعلى الظهر مما يلي العنق . يريد بهما أعالي الامور .

(٣) تعيه : من أعياه بمعنى أعجزه ، أي من عجز عن مطاردة الفرسان . يقنع : فاعله ضمير راجع إلى مَن .

(٤) إصطفيتَ : إخترتَ . الجياد : جمع جواد الفرس السريع . الرواحل : جمع راحلة وهي من الابل ما كان صالحاً لأن يرحل . الرُغاء : صوت البعير .

وأنا الوفيُّ وشرُّ مَن واليتَهُ ... مَن وُدُّهُ لكَ كالخِضابِ الناصِلِ (١)

أرضاكَ في الحالَينِ سُخطِكَ والرِّضى ... أهواكَ في يومَيْ نوىً وتواصُلِ

لـكنَّني مُذ غِبتَ عنِّي سيدي ! ... - لا غِبتَ إلّا كنتَ أوّلَ آئِلِ -

ما زِلتُ مسلوبَ القُوى حِلفَ الفِرا ... شِ رهينَ قيدِ حَوادثٍ ونَوازلِ

ضَعُفتْ - فمن لي أنْ يَخُطَّ لسيدي ... شكوايَ - عن حملِ اليَراعِ أنامِلي (٢)

انَّ الفتى غرضٌ وما أيامُه ... إلّا النِبال ودهرُهُ كالنـابِلِ (٣)

لم يَعْصِمِ العُصمَ النفارُ من الأذى ... ولو انتحينَ الى أعزِّ معاقِلِ (٤)

---

(١) الخضاب : ما يخضب به . الناصل : من نصلت اللحية خرجت من الخضاب .

(٢) ضعُفت : فاعله قوله (أناملي) في آخر البيت ومفعوله قوله (عن حمل اليراع) ، واليراع قصب القلم ، أي ضعفت أناملي عن حمل اليراع فمن لي أن يخط لسيدي شكواي ؟ .

(٣) الغرضُ : الهدف الذي يُرمى ، وهـذا البيت في معنى ما قاله (افلاطون) من أن « العالم كرة ، والارض مركز ، والانسان هدف ، والأفلاك قِسيّ ، والحوادث سهام ، والله هو الرامي ، فأين المفر ؟!! » . ثم ان هذا البيت مع البيتين التاليين كالتعليل لضعفه ووهي قواه ، بأن هذا الضعف والخور في الوجود أمر طبيعي في هذه الدنيا ، وإنما قال : « كالنابل » لأن النابل الحقيقي هو الله تعالى إلا انه لما شبه الأيام بالنبال شبه الدهر بالنابل .

(٤) العصم : جمع الأعصم وهو من الوعول ما في ذراعيه بياض وسائره =

كلاّ ولا الآجامُ مِن وقعِ الردى تُغني عن الليثِ الهَصُور الباسِل[1]

والعفوُ منكَ ومنّي التقصيرُ في الـ ـحالاتِ فاسترني بعفوٍ شامِل

جاءتكَ تَحظى في البُرى وخلاخل

وغلائل مثـل القضيب المائِل[2]

خَجلى تَعثّر في فضول مُروطها

ترنو اليكَ بلحظِ طرفِ الخاذِل[3]

= أسود أو أحمر . النفار : مصدر نفرالظبي أي شرد و بعد . انتحين : أي قصدن وتوجهن . معاقل : جمع معقل وهو الملجأ ، أي ان كل ذي روح في الدنيا لم يسلم من المصائب والأذى حتى الوعول الملتجئة الى قمم الجبـال الشاهقة والـكهوف والمغارات الحصينة .

(١) الآجام : جمع أجم جمع اجمة لمأوى الأسد . الوقع: وقوع الضرب . الردى : الهلاك . الهصور : الأسد الـكاسر .

(٢) تحظى : من حظي يحظى حظوة نال حظّاً وافراً . البُرى : بالضم جمع بُرةٍ لـكل حلقة من سوار وقرط وخلخال وما اشبهها ، والجار والمجرور ظرف لجاءتك . الخلاخل: جمع خلخال حلية تلبس في الرجل كالسوار في اليد . الغلائل : جمع غلالة شعار يلبس تحت الثوب ، وضمير جاءتك راجع إلى القصيدة المشبهة بالمرأة التي لبست البرة والخلخال والغلالة ففيه استعارة مكنية ، والخجل والعثرة والنظر تخييل .

(٣) خجلى : أي مضطربة من الحياء . تعثر : أصله تتعثر حذفت التاء الاولى للتخفيف . المروط : جمع مرط ثوب من صوف أو خز . ترنو : تديم النظر بسكون الطرف . الخاذل : الظبية التي تخلفت عن صواحبها ونفرت عن الأليف .

حُسن الحضارةِ في قناع بداوة ... جُمعتْ فقابلها بوجه القابل (١)
ولَئِنْ تجد لـكمالها نقصاً فما ... غيرُ الإله اذا نظرتَ بكامل
لا زلتَ عزّ الجار معمور الديا ... ر مكينَ حظٍ قبلةً للآمِل
ما حنّ رعدٌ أو بكت سُحُبٌ على ... مَيتِ النبات بسحّ دمع هاطل (٢)

القصيدة التاسعة في مدح حاكم الاحساء الشيخ أحمد أيضاً ، عثرنا عليها في المجموعة الخطية المرقمة [٨٨٠] بمكتبة المحامي السيد عباس العزاوي ، وفي المجموعة الخطية التي بعث بها الينا الملا صالح المدرس بقرية (گه ناو) ، وهي كالقصيدة السابقة مبدوءة بمقدمة تشبيبية ، فيقول :

هذي المنازلُ لكن أين لُبناها ... والقلب هام بِلُبْنى لا بمغناها (٣)
ما كان للعشق أخبارٌ مسطرةٌ ... بين البريّــة لولانا ولولاها
ما كنتُ أهفو الى شمس ولا قمر ... لولا رجاء التسلّي عن محياها (٤)
كم ليلة سرتُ في جُنح الظلام ولا ... لنا دليــلٌ اليها غيرَ ريّاها
على حروفٍ بَراها الجهدُ ما تركتْ ... غيرَ الأسامي لها الأفعال مسراها (٥)

---

(١) حسن : مفعول جمعت . القناع : ما تغطي به المرأة رأسها . جمعت : أي القصيدة على سبيل الاستعارة بالكناية ، والقنـــاع تخييل . القابلَ : المتهيء للقبول .

(٢) سحب : جمع سحاب مشبهة بالانسان ، وقوله بكت تخييل له . وفي البيت حسن الختام .

(٣) لُبنى : كبُشرى : اسم امرأة .

(٤) أهفو : من هفا يهفو بمعنى مال .

(٥) على : متعلق بقوله سرتُ في الشعر السابق . الحروف : جمع حرف =

جُبنا لها كلَّ هَجل لو تمرُّ بها ... مِسعُ الرياح لماتت دون أدناها (١)
كأننا في ضمير الليل خافيــة ... في صدر أوفرنا عقلاً فاخفاها
أعاليَ النور ! هذا برقُ سارية ... أم البريق لنا أبدت ثنــاياها ؟
أضرمتَ يا برقُ ناراً طالما استعرت
بين الأضالع مأواها ومثــواها
يا طيبَ ليلتنا بالأبرَقَيْنِ مضتْ ... كالبرق لا رجعتْ إن كنت أنساها (٢)
آهاً عليها وهل يُجدي تأوّهُنا ... وطالما قلتُ مرتاحاً بها واها
الامَ في طلب الآمال يدفعني ... وجهُ البسيطة يُمناها ويُسراها
واللهِ لم تُرضني الدنيا ولو قدمي ... فوقَ الثريّا ونعلي فوقَ جوزاها
ولا استبتني ليــاليها بزخرفها ... ولو حبتْ فوق ما الانسان يهواها (٣)
استغفر الله حاشا وصلَ سيدنا ... أزكى الخليقة أخلاقاً وأذكاها

= بمعنى الناقة الضامرة . بَراها الجهد : أي أهزلها وأضعفها التعب . الأفعال : فاعل تركت . مسراها : بدل من الافعال ، أي أن الاسراء المتواصل قد أجهد الحروف واضعفها بحيث لم يبق منها سوى الاسم ، وفي الجمع بين الاسم والفعل والحرف مراعاة النظير .

(١) جبنا : من جاب الطريق قطعه . لها : أي المحبوبة قطعنا على ظهر الحروف . كل هجل : مفعول جبنا . الهجل : المطمئن من الارض . المسع : اسم ريح الشمال . لماتت دون أدناها : أي لاضمحلت قبل أن تقطع أدناها .

(٢) الأبرقان : اسم منزل .

(٣) استبتني : من سبى العدوّ أسره . حبَت : من حباه بكذا أعطاه إياه بلا جزاء .

اريدُ أحمــدَها إسماً وأجودَها وَسماً وأمجدَها عندي وأسماها
غصنُ الندى' دوحة الأنصار(١) أعلا البريّــة أوصافاً وأغلاها
قويمُ رأيٍ لو أن اللهَ كلفه طرْقَ السماوات فِكراً كاد يرقاها
بدرٌ وليس له نقصٌ يُحاولــه شمسٌ وليس سحابُ الجوّ يغشاها
شادي مباني العُلا حلماً ومكرمة مُردي العوادي بأخلاقٍ تحلّاها(٢)
كم من سفينة آمالٍ مسيّرةٍ جوديُّ كفيه بين الخلق مرساها
وأزمــةٍ حيّر الألبابَ شدتُها لـكنه بجميل الرأي جــلّاها
محرر الفضل في منهاج سيرته حاوي نهاية أخلاقٍ تلقّاها(٣)
قاموس مجدٍ لنا المصباح طلعتُهُ بل تحفةٌ جاعلُ الأنوار أهداها
مغني اللبيب بتوضيح البيان له بمنطقٍ في المعاني نال أقصاها
بديع وضع كأنّ الله صوّره كنزَ الأخِلّا وبحراً دون أعداها
الوارثُ المجدِ في فتيانٍ انتشرتْ فينا فضائلهم واللهُ أفشــاها

---

(١) هنا كلمة ساقطة ولعلها (دوحته) .

(٢) المردي : المهلك ، من الردى بمعنى الهلاك . العوادي : أشد الامور التي تصرفك عن امورك .

(٣) في هذا البيت وفي الابيات الثلاثة التالية صنعة التوجيه ، وهي أن يكون الـكلام بحيث يشتمل على مجوعة أو مجموعات من مصطلحات العلوم أو الفنون أو الأسماء المتلائمة ، فالبيتوشي جمع في هذه الأبيات أسماء طائفة من الـكتب كالمحرر والمنهاج والحاوي والنهايـــة والقاموس والمصباح والتحفة والانوار ومغني اللبيب والتوضيح والـكنز ، كما انه ذكر فيها أسماء قسم من العلوم كالمعاني والبيان والبديع والمنطق والوضع .

باهتْ بهم طيبةٌ فضلاً ومنقبة ... على البسيطة عُلياها وسُفلاها

الموقدي نارحربٍ للأُولى كفروا ... انصرة الدين قد خاضوا منايا ها

يا ابنَ الأُولى غيرَ طُرْقِ المجد ما عرفوا

لا زلتَ أسمى الورى فضلاً وأسناها

لولا رجاء لقاكم والمَدى قُذُفٌ ... لطاشَ بي غُربةٌ قد جاشَ بَلواها (١)

وفوق ذاك امورٌ لستُ أذكرها ... وكيف والدهرُ لا يسطيع ذكراها

فاسلم ودمْ ما أطاعَ اللهَ ذو رمقٍ ... منّا وما حثَّ زُوّارٌ مطاياها

القصيدة العاشرة في مدح حاكم الاحساء الشيخ أحمد أيضاً ، عثرنا عليها في مكتبة الشيخ محمد العسّافي بالبصرة :

يا مَن يُزجّي عَنسَهُ العَمَلَّسا ... العَيطَموسَ العِرمِسَ العَرَندَسا (٢)

يطوي عليها بسبساً فبسبساً ... من كل مَرتٍ كالمِراة أملَسا (٣)

بَلّغ تحياتِ مريضٍ نُكِسا ... سيدَه الجَحجاحَ غِطريفَ الحَسا

أبا المعالي أحمدَ المُرأسا ... خيرَ طبيبٍ لِكلومنا أسا (٤)

---

(١) المدى: الغاية . القُذُفُ : البعيد . طاش : خفَّ ونزق. جاش : هاج .

(٢) يزجي : يقال أزجاه تزجية : ساقه . العنس : الناقة القوية . العملس : القوية على السير . العيطموس : التامة الخلق من الابل . العرمس : العنس . العرندس : كسفرجل من الابل الشديدة .

(٣) البسبس : القفر الخالي . المرت : المفازة بلا نبات .

(٤) المرأس : الرئيس . الكلوم : جمع كلم بفتح فسكون : الجرح . أسا : يقال أسا الجرح داواه .

وَمَن إذا ما الدهرُ يوماً عَبَسا حتى اطْلَخَمَّ جوُّه وعسعسا[١]
ألانَ منه بالندى ما قد قسا وردَّ ما قد كان منه حِنْدِسا[٢]
بعزمه الماضي المُضاهي قَبَسا أجلىْ من الصُبح إذا تنفَّسا
وَمن إذا خيلُ القوافي شُمُسا أضحتْ ولم تلقَ لهنْ مَحْبَسا[٣]
بانت له خُضعَ النواصِي نُكَّسا أو مبحثٌ من العلوم التبسا
فرَّج عنّا ضيقَه وتَنفَّسا وَمَن إذا قيل : بمَن يُنْفى الأسى
عن مُستجيرٍ مُستضامٍ أبْلَسا أومَتْ له كفُ الرجال والنِّسا[٤]
فلو رآه مَن شكا كرَوَّسا لقال يا أحمدُ لا تَقْعَنْسِسا[٥]
ومَن على جُوديِّ كفه رسا سفينةُ الجود ونِعم المرَسىْ
فأيُّ دُرٍّ للمعالي ما اكتَسا وأيُّ دَرٍّ المعاني ما احتَسىْ
ترى الفصيحَ في عُلاهُ أخرسا ماذا عسى أقوله ماذا عسى
حيّاهُ ربّي في الصباح والمسا

ذكرنا آنفاً ان حاكم الاحساء الشيخ أحمد كان شاعراً مجيداً ، وأديباً واسع المعرفة ، وكانت علاقته بالبيتوشي علاقة علمية وأدبية ،

---

(١) اطلخمَّ : أي اشتد . عسعس : اظلم .

(٢) الحندس : الليل الشديد الظلمة .

(٣) شمس : بضمتين جمع شموس وهو الفرس الذي لا يُمكّنُ أحداً من ركوبه ، أو إسراجه ولا يكاد يستقر .

(٤) أبلس : أي انكسر وحزن أو تحير في أمره .

(٥) الكرّوس : الضخم من كل شيء . و هو يشير الى قول المتنبي :

فيابن كروس يا نصف أعمى وإن تفضب فيا نصف البصير

وكان يقدر البيتوشي حق قدره ، ويمده دائماً بماله ، ويظله برعايته وجوده ، وكانت صداقتهما صداقة الند للند ، لا صداقة العالم أو الشاعر للحاكم ، فلذا دارت بينهما في مناسبات متعددة أشعار وأبيات رقراقة ينعكس منها مقدار الاتصال الروحي بين هذين الأديبين . نذكر منها ما عثرنا عليه .

ومما يروى ان البيتوشي نفدت قهوته ، فكتب الى الحاكم سنة ١١٩٤ هـ هذه الأبيات التالية ، يشكو اليه فيها نفاد قهوته ويقول :

لِيَ شهر ، إن لم يكن شهران ... منذ فارقتُ لذة الفنجان (١)
ساء خلقي من بعده ولقد كنـ ... ـتُ - كما كنتَ - ذا سجايا حِسان
ولقد ضـاق بي مكانيَ حتى ... ضاق صدري عن احتمال جَناني
يا خليـليَّ عشتما أبلغا عنـ ... ـي الندامى حالي التي تَريان (٢)
قهوتي أزرق الميـاه وهم يُسْـ ... ـقَون منها حمراء كالأرجوان (٣)

---

(١) لي : اللام بمعنى على ، أي مضى علي شهر الخ . هذا ، ثم ان فضيلة الاستاذ الشيخ محمد بن ابراهيم المبارك بمدينة « هفوف » بمقاطعة الاحساء بعث إلي بهذه الأبيات مع أبيات الأمير والقصيدة الجوابية الآتية للبيتوشي ومع باقي القصائد التالية لها إلى القصيدة الثالثة عشرة ، وذلك بعد أن كتبت اليه .

(٢) يا خليلي : جرى البيتوشي على ما هو مألوف عند الشعراء من مخاطبة الاثنين الوهميين وذلك من خصائص الشعر العربي . الندامى : جمع ندمان وهو النديم .

(٣) الأرجوان : معرب الأرغوان وهو شجر له ورد أحمر .

رُبَّ ليلٍ أطار نَومي هَواوِيـ ... ـنُ بيوت الجيران قبل الأذان (١)
فيه أشكو بَثّي وحُزني إلى اللّـ ... ـهِ وحالي لديه رأيُ العيان (٢)
إن هُمُ تُرضهم معيشتيَ النَّكْـ ... ـدا فلا خير في بقاء الزمان (٣)

فلما بلغت الأبيات الحاكم ، بذل المسؤل ، وكتب اليه مع الرسول ، أبياتاً في غاية الرقة والبلاغة ، يهنئه فيها بشرب القهوة عللاً بعد نهل ، كما يشكو اليه من علة اعترت رجله ومنعته من المشي والانطلاق . وهي هذه :

إشرب الكأس دائماً بالتهاني ... آمِنَ الغُدْمِ ما جَرى الملوان (٤)
واصْطَبِحْ قهوةً كحمرة صُبْحٍ ... بعد هَزْمِ الكرى قُبيلَ الأذان (٥)
بنتُ بُنٍّ لا بنتُ كَرْمٍ حرامٌ ... لم تذال بعصرها في الدِنان (٦)
تجلبُ الأُنسَ للفتى وتُحلّي ... دارِسَ العمر حليةَ الولدان (٧)

---

(١) الهواوين : جمع هاون لما يدق فيه الدواء ونحوه ، معرب وكان أصله هاوون بقرينة الجمع فحذفت منه الواو الثانية للخفة وفتحوا الاولى لعدم وجود فاعل بالضم .

(٢) فيه : الضمير لليل .

(٣) هم : راجع إلى الندامى .

(٤) الملوان : الليل والنهار ، الواحد مَلا .

(٥) اصطبح : أي شرب الصبوح من القهوة الحمراء كحمرة الصبح بالشفق الأحمر ، والصبوح : شراب الصبح ، كما ان الغبوق شراب العشي .

(٦) بنت الكرم : الخمر . العصر : استخراج ماء العنب ونحوه . الدنان : جمع دن وهو الراقود العظيم .

(٧) دارس العمر : أي المسن الطاعن بالسن . حلية الولدان : أي زينتهم ، =

فاسعَ في طبخها وقِفْ لِجلاها ... ثم طُفْ للوداع نحو الحِسان
واعتمر بالسماع إن زمزم العو ... دُ وإيّاكَ خشية الرُهبان (١)
لا تكن للسرور يوماً مضيعاً ... فالفتى يستفيته الفتيان (٢)
وانتهب لذة الزمان فيا رُبَّ ... سرور نهبتُه من زمان
إذ أنا - والشبابُ في العنفوان - ... في الهوى مِن أكابر الفتيان
يا خليلي إذا تذكرتُ ما فا ... تَ سحَتْ مُقلتاي بالمَلَوان (٣)
ليتَ شعري هل رجعةٌ أرتجيها ؟ ... أم مَضى مثل ما مضى القارظان (٤)
أشتكي الذي براني دهراً ... بالهموم المثقلات جِراني (٥)
أسهر العينَ وابتلاني بقيدٍ ... منع الرجل أن تسيرَ لِشاني
كلما رمتُ نهضة قال مهلاً ... لا تقس أوّلاً قياس الثواني (٦)

= أي ان شربها يستوجب رجوع الشيخ إلى صباه .

(١) اعتمر بالسماع : أي اصرف عمرك في سماع الغناء . زمزم العود : أي صوّت وغنّى ، وفي الاشارة إلى السعي والوقوف وطواف الوداع والعمرة وزمزم في هذا البيت والذي قبله مراعاة نظير وتورية بديعة .

(٢) الفتيان : الليل والنهار .

(٣) الملَوان : الجريان .

(٤) القارظان : هما يذكُر بن عَنَزَة وعامر بن رُهْم وكلاهما من عَنَزَة ، خرجا في طلب القرظ - وهو ورق السَلَم أو ثمر السِنط - فلم يرجعا ، فقالوا : لا آتيك أو يؤوب القارظان .

(٥) بَراني : أهزلني وأضعفني . الجِران : من البعير مقدمة عنقه .

(٦) لا تقس الخ : هكذا في النسخة التي بعث بها الينا الشيخ محمد بن ابراهيم المبارك الاحسائي .

ليته - إذ جفا ولم يرعَ عهدي - لم يكن جالباً خلافَ الأماني
لا رعى الله صاحباً لا يُراعي سالفَ الوُدّ والعهود المِتان (١)

فلما وصلت هذه الأبيات إلى البيتوشي بعث بهذه القصيدة الى الحاكم يحضه فيها على الصبر والتحمل أسوة بالأنبياء والصالحين ، ثم يؤمله باليسر بعد العسر والشفاء بعد المرض . وتبدأ القصيدة بمقدمة تشبيبية على عادة البيتوشي ويقول :

هاجكَ البرقُ أم نسيمٌ يماني أم حمامٌ رقّتْ على الأغصان؟
يا حمامَ الأراكِ رفقاً بِصبٍّ ذي فؤادٍ من الجوى حرّان (٢)
يا حمامَ الأراكِ مالي أراكُنّ تجاوَبْنَ من ذُرى الأفنان
أخِماصٌ أنتنّ ظمأى ولا يُنْكَرُ شكوى مِن ظامئٍ خَمصان (٣)
أم بَطِرْتُنّ إذ بَشَمْتُنّ يوماً من فروعٍ من البَشام لِدان (٤)
أم ذكرتُنّ مألفاً وغريب الـ دارِ يَشجُو تذكُّرَ الأوطان
أم ثُكالى تَندِبنَ والنَّدبُ فرضٌ في طريق الوَفا على الثكلان
غيرَ أنّ رابني جمودُ المآقي مع طول البُكا ، وخضبُ البنان (٥)

---

(١) المتان : جمع متين بمعنى القوي الشديد .

(٢) الحرّان : شديد العطش .

(٣) الخماص : جمع خميص لضامر البطن من الجوع .

(٤) بطرتن : طغيتنّ . بشمتن : مِن بَشِمَ يبشم بشماً من الطعام اتخم . البشام : شجر طيب الرائحة . اللدان : جمع لدن بمعنى الليّن .

(٥) المآقي : جمع موق وهو مجرى الدمع ، وخضبُ بالرفع عطف على جمود .

إن بكيتنّ يابسات شؤون ... فدموعي سالت على أرداني (١)
إنّ شأني وشأنكنّ جميعاً ... عند أهل الهوى لمختلفان
بان لي أنكنّ عجمٌ فلا تفرقن بين السرور والأحزان
ذاك طبعٌ فيكنّ لا لأخي البثّ منكنّ عونٌ ولا الجذلان (٢)
ساعداني على البكا ساعداني ... يا خليليّ قبل أن تبكيان
أو أعيرا جفني جفناً صحيحاً ... فلحاظي قريحة الأجفان (٣)
أو دعاني وودّعاني وكفّا ... عن ملامي وخلّياني وشاني
أتلومانني سفاهاً وهل يسمع صبٌّ ليست له أذنان
أو تناما عن شجٍ شفّه الوجد حليف الهموم والأشجان (٤)
فهو يصلى زفيره ما تبقّى ... منه، إلا عينان نضّاختان (٥)
خنتماني العهود حين الليالي ... أسلمتني إلى يد الحدثان (٦)
صرّح الوجد برّح الهمّ فرّ الصبر قرّ الأسى فلا تخذلاني (٧)

---

(١) الشؤون : العروق التي تجري منها الدمع . الأردان : جمع ردن وهو أصل الكم .

(٢) الجذلان : الفرحان .

(٣) اللحاظ : مؤخر العين .

(٤) الشجي : الحزين . شفه : أي أرقه وأنحله .

(٥) يصلى : أي يشوى . نضاختان : أي فوارتان .

(٦) حدثان الدهر : نوائبه .

(٧) صرح الوجد : بان وانكشف . برح الهم : أتعب وأجهد . قرّ الأسى : أي ثبت .

لا رعى الله صاحباً ليس عوناً   لأخيـه على رزايا الزمان

ثم ينتقل إلى الحاكم وطول سهره من مرضه المزمن ، ويرثي له ، ويصور حالته أحسن تصوير ، حيث يقول :

مَن لِمُضنىً يرعى النجومَ وحيداً   ملَّ حتى رثا لَهُ الفَرقَدان (١)
ظنَّ مِن طول ليله أنها سُمّـ   ـرنَ أفلاكَها عن الدَّوران (٢)
باتَ يرمي السُها بطَرفٍ كَليلٍ   مِن سُهادٍ دامي المدامع واني (٣)
ويدٌ منه فوق كَبْدٍ جريح   ويدٌ مدّها إلى الرحمن
يسألُ النُجحَ والشفاء لربِّ الـ   ـجودِ والمجدِ والمزايا الحِسان

ثم يشرع في مدح الحاكم ويقول :

خزرجي النِجار فرع بني النجّـ   ـار جمُ الفَخار عالي المَباني (٤)
طيّبُ العُودِ واللِحاءِ عريقُ الـ   ـعِرق سامي الغصون حلو المجاني (٥)

---

(١) الفرقدان : نجمان قريبان من القطب الشمالي يُهتدى بهما .

(٢) سمّـرن : يعني شددن بمداراتها بالمسمار ومُنعن عن الحركة والدوران .

(٣) السُها : كوكب خفي من بنات نعش الصغرى . السُهاد : ذهاب النوم ليلاً . دامي المدامع : صفة للطرف وكذلك قوله واني ، أي سهران من السهاد بحيث احمرت عيناه وضعفت قواه ، وبين السها والسهاد جناس مذيل .

(٤) الخزرجي : المنسوب إلى بني الخزرج . النجار : بالكسر أو بالضم وتخفيف الجيم الأصل . النَجّار: بفتح فتشديد رجل من الخزرج ، أي انه خزرجي الأصل ، ومن بيت بني النجار . وفي الجمع بين الأصل والفرع مراعاة النظير .

(٥) اللحاء : قشر العود أو الشجر . المجاني : جمع المجنى وهو ما يجنى منه الثمار كالشجرة .

أحمدُ المرتجى المفدّى ابنُ عبدِ اللهِ ذو الحلم والحجى والبيان

ومكانٍ من المكانة سامٍ   باتَ من دون نَيله القمران

ومساعٍ جميـلةٍ دون منٍّ   منه يبغي بها رِضى المنّان

رُبَّ سُهدٍ يراه كالشُهد في دفـ   ـع مُلِمٍّ عن عاجز لهفان

تَعِبَتْ نفسُه لكي تستريح النا   سُ في خفض عيشةٍ وأمان

ثم يبدع في مدحه بهذا المعنى المبتكر غير المسبوق فيما يظهر ويقول :

فهو كالشمعة الصبور على النـ   ـار لكيما تُنير للنُدمان

كاتبُ المُلكِ غير أن ليس يرضى   كتبَ ما ليس يرتضي الملكان

سودُ أقلامه تُضيء دياجي   أملِ الآملين في الجريان

أريحيٌّ تهتزُّ عطفاهُ للجدْ   وى اهتزازَ الخطيِّ عند الطِعان (١)

كم له في النَدى شواهدُ صدقٍ   من أيادٍ يبّضنَ سودَ الأماني

لو حوتْ كفُّه نقودَ الدّراري   لحَباها هَيلاً بلا ميزان (٢)

ذو قوافٍ يدخلنَ من غير إذن   عند إنشادهنَّ في الآذان

فهي تَسري من اللطافة في الأر   واح مَسرى الأرواح في الأبدان

رقَّ معناه مَعْ جزالة لفظٍ   رِقةَ الخندريس حشوَ الدِنان

ما لبيدٌ لديـه إلا بليـدٌ   في المعاني فما بديعُ الزمان ؟ (٣)

---

(١) الأريحية : اهتزاز الانسان للافعال الحميدة . الخطيّ : الرمح المنسوب إلى الخط وهو مرفأ للسفن بالبحرين تباع فيه الرماح .

(٢) الهيل : ما انهال من الرمل أو المال الكثير .

(٣) لبيد : هو ابن ربيعة بن مالك الشاعر المشهور الذي قال فيه الامام =

صادقُ القول صادقُ الفعل عفُّ السُّهْدِ عفٌّ الهُجودِ عفُّ اللسان [١]
وبـه تمّتِ المكارمُ طرّاً مثل ما تمّتِ القنا بالسّنان
يا ظهيري يا ساعدي يا عضيدي يا لساني يا مُقلتي يا جَناني !
يا أبا المكرمات أبقاك مولا ك بقـاء النَسرين والسّرطان [٢]

ثم يتطرق الى تشكي الحاكم من مرضه في أشعاره السابقة ويقول :

جاءني مُشتكاكَ في ضمن أبيا تٍ حسان كلؤلؤ أو جُمان [٣]
فهي تفترُّ عن معانٍ كما افتـر عن الطل مبسمُ الأقحُوان
فعراني من العنا ما عراني ودهاني من الأسى ما دهاني

ومن أبدع ما قال في هذه القصيدة هذا البيت القائل :

إن رِجلاً تشكو أذاها لأهلٌ أن تُفدّى بموضع التيجان
هزّكَ الدهرُ بالجفـاء وما هـزّ سوى عِطفِ صارمٍ هِندواني [٤]

= الشافعي رضي الله عنه :

ولولا الشعر بالعلماء يُزري لكنت اليوم أشعر من لبيد

بديع الزمان : هو أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد الهمذاني الحافظ المعروف صاحب المقامات المشهورة ، وبين لبيد وبليد جناس القلب .

(١) السُهد : قلة النوم . الهُجود : النوم بالليل ، يريد أنه عفيف في الحالين ، اليقظة والنوم .

(٢) النسران : كوكبان يقال لأحدهما « النسر الطائر » وللآخر « النسر الواقع » . السرطان : البرج الرابع من دائرة البروج .

(٣) الجمان : شيء من الفضة مثل اللؤلؤ ، الواحدة جمانة .

(٤) الهندواني : السيف المنسوب إلى الهند .

أنت تشكو وليس يشكو سوى الفضْلِ ومحض الحِجى ولطفُ المعاني

ثم يدخل في تسلية الحاكم ويقول :

إن تكن خانك الزمانُ فقد خا ... نَ أباكَ الصفيَّ وسْطَ الجنان (١)

بعد أن كان في الفراديس يختا ... لُ سروراً في الرَّوح والريحان

لَقيَ البؤس والعناء وسوء الـ ... عيش في دار ذلةٍ وامتهان

ما نجا من أذاه نوحٌ نجيُّ اللهِ مِن قبلِ آيةِ الطوفان

نال ما نال من سِباب وضربٍ ... مُتمادٍ من عابدي الأوثان

يتواصون فيه بالهَجر والهُجـ ... ـر كما قد سمعتَ والشنآن (٢)

والخليلُ الجليلُ أُقحِم تلك النـ ... ـارَ كُرهاً إذ جاء بالتِبيان

كان يبغيهمُ النجاةَ من النا ... رِ فجهلاً جازوهُ بالنيران

ولأهل التسليم منّا تسلٍّ ... في الذبيح المفديّ بالقُربان

حين ينقادُ للبلاء مُطيعاً ... لنفوذ القضاء دون توان

فجع الدهرُ يوسفاً بأبيه ... وأباه بيوسفَ الكنعاني

كُفّتِ المقلتان في الحُزنِ من هـ ... ـذا وذاك المبيع بيعَ الهَوان

باتَ في مصرَ بُرهةً نائي الدا ... رِ غريباً في قبضة السجّان

بعدما ذاقَ وحشةَ الجُبِّ والإيـ ... ـذاء والجور من يَد الإخوان

لو ثبيـر يَمسُّ ما مسَّ أيو ... بَ من الضر همَّ بالسيلان (٣)

---

(١) أباك : هو آدم الصفي .

(٢) الهجر : بالفتح الترك وبالضم القبيح من الكلام .

(٣) ثبير : جبل بظاهر مكة .

وبلاء الكليم ما هو يُتلى ... كبلاء المسيح في القرآن
ولنا في الرسول اسوةُ خير ... خاتم الرُسْلِ سيدِ الأكوان
أخرجوه من بطن مكة ظلماً ... فبكى رحمةً له الأخشبانِ (١)
ورموا ثغره وشجُّوا جبيناً ... منه ، من بعض نوره النيران
إنما الدهرُ هكذا فتصبَّرْ ... صبرَ ، لا عاجز ولا مُتوان
أولُ العنكبوتِ أولى إذا ما ... أعضل الداء مِن دَوا لُقمان (٢)
مَن يَرُمْ صفوةَ الحياة دَواماً ... خانه - لا أبا له - الفتيان
إن شكوى الفتى إلى الدهر يوماً ... مثلُ شكوى الجَريح للعِقبان
رُبَّ يُسرٍ أتاكَ من بعد عُسر ... ورزايا تبدّلت بالتهاني
إيْ ليلٍ لم يتله واضح الصبـ ... ـح وغيمٍ لم ينكشف بعد آن!!!
ربما النيّران يَعروهما الكسـ ... ـفُ كما قد ترى فينجليان
دُم شفاكَ الإلــه موفور أجرٍ ... فوق ما ترتجي من الديّان
في ظلال من المسرّات دانٍ ... وأمانٍ من نائبات الزمان

---

(١) الأخشبان : جبلان بمكة وهما أبو قبيس والأحمر .

(٢) أول سورة « العنكبوت » : هوقوله تعالى : « ألم ، أَحسِبَ الناسُ أن يُتركوا أن يقولوا آمنّا وهم لا يُفتنون . ولقد فتنّا الذين من قبلهم فليعلمنّ الله الذين صدقوا وليعلمنّ الكاذبين » أي ان الابتلاء بالداء العضال من حيث امتحان الخالق لعبده ، والتصبر والثبات من العبد عليه أولى له من التداوي بدواء لقمان الحكيم غير المجدي ، وفي الجمع بين العنكبوت ولقمان اللذين هما إسمان لسورتين من سور القرآن مراعاة النظير .

القصيدة الثانية عشرة في مدح حاكم الاحساء الشيخ أحمد بعث بها اليه حينما كان الحاكم بالبادية ، وقد بدأ قصيدته هذه بالشكوى من الأيام وجور الزمان ، مع الفخر بنفسه ، وباسرته ، وبقومه ، وأمعن في ذلك وكأنما يبكي حظه ويندبه بهذا الاسلوب المؤثر ، مع شيء من الاقتباس كقوله : (اني أراها في ضلال مبين) ، وقوله : (أسفل السافلين) ، وقوله : (قرار مكين) ، وقوله : (من المغرقين) ، حيث يقول :

أما أنى للدهر أن يستكينْ ؟ فتنجلي غمرة قلبي الحزين
لقد ألانت مُزنُ أحداثه صُمّ الرواسي وأبى أن يلين
كم من هجينٍ دَمِثٌ مَبْركا وحُرّةٍ وجْناء تشكو الوجين (١)
وجاهلٍ في منصب شامخ وعاقل في أسفل السافلين
وباترٍ أفنى شَباه الصدى في خلَقٍ رهنِ الزوايا رهين (٢)
وهو إذا ما عَبِسَتْ أوجه الـ أقران يوم الروع نعم القرين (٣)
وطالما كان مُفَدّىً من الـ أبطال بالآباء ثم البنين

---

(١) الهجين : من الخيل غير الأصيل . الدّمِثُ : المكان الليّن . المبرك : موضع البروك أي الاقامة . الوجناء : جميلة الوجنة . الوجين : ما خشن من الأرض .

(٢) الباتر : السيف القاطع . الشَبا : جمع شباة حد السيف . الخَلَق : أي الغمد البالي .

(٣) وهو الخ : صفة للباتر وكذلك قوله : طالما .

وفاترِ الحـدِّ يرى حملَه نخراً أثيلاً عاتقُ الدارعين (١)
مصقَّل في حُلـل وُشيَّتْ بمسجدٍ محض ودُرٍّ ثمين (٢)
يشق به الـكاهل من غير تجد وى فهو كالإثم على الآثمين
عيش خزامى الحَزن مصّ الثرى ومكرَع الكراث ماء معين (٣)
وضيغم في الغاب يشكو الطوى وللثعالي شهـوة المشتهين (٤)
قد عطلت شهادة الكف والـ خنصرُ في الحلي من المزدهين (٥)
يا لهفَ تبدو وا وعمرو سدى وهمز بسم الله في المختفين (٦)
عاداني الدهرُ فلي مضجعٌ أقضٌّ والمشرب ماء وطين (٧)

---

(١) الحد : من السيف مقطعه ، وفاتر الحد : السيف الذي لا يقطع . الأثيل : المتأصل . العاتق ما بين المنكب والعنق .

(٢) المسجد : الذهب الخالص .

(٣) الخزامى : نبت من نبات البادية زهره من أطيب الأزهار . الحزن : بالفتح ضد السهل بمعنى الموضع الخشن . الـكراث : بقل كريه الرائحة ، يريد ان الخزامى يعيش بلا ماء والـكراث يكثر عليه الماء .

(٤) الطوى : الجوع . الثعالي : جمع ثعلب .

(٥) شهادة الـكف : الأصبع السبّابة التي بين الابهام والوسطى ، سميت شهادة ومسبحة لتحريكها في التشهد عند النطق بكلمة الشهادة . الحلى: ما يتزين به من مصنوع المعادن أو الأحجار الـكريمة . المزدهين : المفتخرين . يريد أن الخنصر يوضع به الخاتم ولا يوضع باصبع الشهادة .

(٦) يا لهف : كلمة يتحسر بها .

(٧) أقضّ : أي هو خشن مقلق .

تقولُ ماذا الهم لي جارتي ... إني أراها في ضلال مبين (١)
لا هم إلّا همُّ ذي همّةٍ ... عاليةٍ يُبلى بخسفٍ مُهين
بحتَتْ ممّا بُحتُ لا مُسعِدٌ ... يجيبني كَلّا ، ولا لي مُعين
أسلمني أصفى الأخلّاء بي ... ويح شمالٍ أسلمتها اليمين (٢)
والمرء قد يلقى من الأقربين ... ما ليس يلقاه من الأبعدين
رُبَّ طموح الطرف صبٍّ يُرى ... مما جنت عيناه في الساهرين
بَقيتُ في بيتيَ كالعضب في ... قرابه ليس له من خدين (٣)
وبتُّ من بين الملا ضائعاً ... كشمعةٍ أوقدتها للعمين
لا ذنبَ لي إلّا حجىً يُرتضى ... ولينُ أخلاقٍ وجأشٌ متين
في نَسَبٍ كالذهب المنتقى ... مِن كل قَيْلٍ بالمعالي قمين (٤)
سمح بذات اليد لكنه ... بعِرضه مهما ترمه ضنين (٥)
يأوي طريدُ الدهرَ منهم الى ... عِزٍّ منيعٍ وقرار مكين
مآثرٌ أورثهم جدُّهم ... ماء السماء العَلَمُ المستبين (٦)

---

(١) جارتي : فاعل تقول .

(٢) أسلمني : أي تركني وخلى بيني وبين من يريد النكاية بي .

(٣) الخدين : الحبيب والصاحب .

(٤) القيل : الرئيس . القمين : الخليق الجدير ، أي نسبي ينحدر من رؤساء وأكابر كل واحد منهم متصف بالمعالي بجدارة .

(٥) ذات اليد : ما تملكه . الضنين : البخيل .

(٦) ماء السما : بدل من الجد وهو جد الأكراد الأكبر ، يصرح بذلك صاحب القاموس .

أظن دهري ذاكراً ما جرى   عليه من أسلافيَ الأقدمين
قد وَسموا - إذ هو عبدٌ لهم -   جبهته فهو من الحاقدين
لا تأمنَنْ من كاشح وثبـة   ولا يَغُرَّنْكَ تمـادي السنين (١)
يا دهرُ حتّـامَ التعامي أما   يكفيك ؟ أم لستَ من المبصِرين ؟

ثم يشرع في مدح الحاكم ويقول :

أم لستَ تدري أنني جار خيـ   ـر الموقدي النيران للمعتشين
صلب قنـاة البأس للمعتدين   رخو وكاء الكيس للمجتدين
أبو المعالي أحمـد المرتجى الـ   حبر الهمام الهبرزيّ الرزين (٢)
أصيدُ إما جئتَـهُ تلقَـهُ   أزهر كالبدر أغرّ الجبـين (٣)
يفوحُ من أعراقه المنتدى   ما الآسُ ما النرجسُ ما الياسمين
ذو مِقولٍ كالصارم المنتضى   من جفنه ، أبيض عرض ودين (٤)
ينـار للحق مطيعاً لـه   لذا تراه في اشتداد ولين
رقّتْ حواشي بُرد أفكاره   كما بدا الضحضاح للناظرين (٥)
كأنّ أبكار معانيـه في الـ   ألفاظ حور في الوشّاة عين (٦)

---

(١) الكاشح : العدو المستبطن العداوة .

(٢) الهبرزي : الجميل الوسيم . الرزين : الوقور .

(٣) الأصيد : العزيز .

(٤) المِقول : اللسان البينُ الكلام . المنتضى : السيف المسلول . الجفن : الغمد .

(٥) الضحضاح : الماء القريب القعر .

(٦) الوشاة : الألبسة المرقشة بالألوان والنقوش .

دانَ له من كل فخر أبي ... عن غيره ما لم تخله يدين (١)
سارت معاليه وأخلاقه ... كالمثل السائر في العالمين
وإن تجاهلت فأنصار دِي ... ن الله من آبائه الأكرمين
هم قوّموا الدين بصدق اللقا ... بعد اعوجاج من يد الكافرين
كم مشهدٍ قرّت به أعين الـ ... أملاك فيهم جبرئيل الأمين
يتلون بالبيض وسمر القنا ... رايـة طه سيدِ المرسلين (٢)
سُحْبُ صلاة وسلام على ... روضة مثواه همت كل حين
يا فارس الأقرانِ والنظم والـ ... منثورِ بل يا كعبة المقتفين
أهل أتاكم انني لم أزلْ ... مذ بنتم حِلف الجوى والحنين
ما ساغ لي بعدكُم باردٌ ... ولا تلذذْتُ بأكل السمين
لا وصفاء الوُدّ فيكم ووا ... ري زند شوق في فؤادي كمين (٣)
ما شام جفني لكم بارقاً ... إلا وإنساني من المغرقين (٤)
ولا تنسمتُ نسيم الصّبا ... إلا ومن تذكاركم لي أنين
فدتك يا نفسيَ نفسي ومن ... أُعزى إليهم من كِرام الأبين

---

(١) دان : خضع وذلّ وانقاد . أبي عن غيره : صفة للفخر . ما : فاعل دان . تخله : الضمير للمخاطب ، والضمير المنصوب راجع إلى ما .

(٢) يتلون : أي يتبعون .

(٣) الواري : الموقد . الزند : العود الأعلى يُقتدح به النار . الكمين : صفة لشوق .

(٤) الانسان : انسان العين .

متى تُرى أينقكم عندنا يحط من أكوارها والوضين (١)
فيفرج الهمّ وينفكّ عن من بات في كنّ البلايا رهين (٢)
دمتَ كما شئتَ عماد العُلى عن غِيَر الدهر من الآمنين (٣)
مخلداً حبتكَ دنيا وعقـ ـبى في الفراديس مع الخالدين

ولما وصلت هذه القصيدة الى الحاكم أجابه عليها بهذه الأبيات مع الاحتفاظ بالعروض والقافية ، يمدح بها البيتوشي مدحاً فائقاً ويشاطره رأيه في أن الزمان مقصر تجاه الأفاضل والادباء ، غير انه يعتذر عنه بأن الدهر كالماء يتبع المواقع المنخفضة من الارض ولا يعلو الروابي والمرتفعات ، وكأن الحاكم فهم من قصيدة البيتوشي بأنه كان يرمز اليه من شكاياته السابقة ويقصده فلذا جاءه يرمز هو أيضاً الى الإنابة والتوبة عما قد صدر منه من الاهمال والتقصير تجاه البيتوشي ويلتمس منه قبول التوبة ، لأن الله ورسوله يحضان على قبولها من التائبين المنيبين ويقول :

لله أُم الكُرد أن أنجبتْ إذ نُتِجتْ كلّ حُسام سَنين (٤)
أبدتْ لنا مِن أُفقها كوكباً يُضيء للسارين والسامرين (٥)

---

(١) الأكوار : جمع كور وهو رحل البعير . الوضين : للكور والهودج بمنزلة الحزام للسرج .

(٢) الكِنّ : البيت الصغير .

(٣) غِيَر الدهر : أحداثه .

(٤) السَنين : بالفتح المسنون .

(٥) السارين : الذين يسيرون ليلاً . السامرين : الذين يسامرونك ليلاً .

ذو فكرة عزّتْ على الأوّلين مَنّ بها اللهُ على الآخرين
ألفاظه كالدُرّ لكنّها مِن بُعدِها عزّتْ على الطالبين
صارتْ له معجزةً أنبأتْ بالصدق والتصديق للكافرين
يا واحد الفضل وثاني الحيا وثالث القطبين حق اليقين
أبياتك الغُرُّ سبتْ مهجتي فكِدتُ منها أعلَقُ الطائرين (١)
كأنّها لمّا تبدّتْ عصا موسى تلقّفْ زُخرفَ الساحرين
هذا هو السهل المنيع الذي يُطرِبُ مَن يسمو بعلم ودين
إن قلتُ دُرٌّ فهو من مالح وهذه من بحر ماءٍ مَعين
أو قلتُ بل نظمُ دَرارٍ أتت في نَسَقٍ خلتَ الدراري تبين
ليلاً ، وتخفى إن أضا فجرُها وليس فيها مِن هُدىً للعمين
وهذه مصباحُ أفكارها بادٍ وتهدي العُميَ والمبصرين (٢)
لا عيب فيها غير أن الورى تدارسوا أبياتها معجَبين
يا ليت شعري ما الذي أغفل الـ دهرَ عن الأنجابِ والفاضلين
حقّ به ، أم ليس يرضى سوى جهالة فهو من الجاهلين
ما كنتُ أدري قبل ذا أنه يَشري الحصى الرُخصَ بدُرٍّ ثمين
تعساً له هلّا يُغالي إلى كل نجيب للمعالي يزين
أو صار عبداً لإمام يُرى في كل فنٍّ قدوة المقتدين
الشيخُ عبدُ اللهِ كُرْدِي بيه نوشَ الهُمامُ ابنُ الهُمام الأمين

---

(١) أعلَقُ الطائرين : أي اتعلق بهم إذ طرت فرحا بها .

(٢) هذه : مبتدأ أول ومصباح مبتدأ ثان ، خبره (باد) والجملة خبر الاول.

عَـلّامَةُ الوقتِ فاحسانه ... قد وسم الطالب وسم الجبين
إن كان ذو المــال له نائل ... وقتاً فهذا نيــله كلَّ حين
أو كان يمتــاز به قِنيــة ... فالعلم نعم المقتنى والخدين (١)
شتّــان ما بينهما في العُلى ... ولا يُساوَى المجتبى والهجين (٢)
العلم يبــقى ذوه في رفعــةٍ ... والمــال لا يبقى وذوه مهين
يا سيّداً حاز المعالي فمــا ... له نظــيرٌ في العُلى أو قرين
لا ذنبَ للدهر فذا دأبــه ... قِدماً على أهل المعالي ضنين
كالماء لا يعلو الروابي وقــد ... يتبع ما انحط من السافلين
وأنت أعلى منه قــدراً لذا ... جاء مُنيباً ضارعاً يستكين
والله والمختــارُ حضّا على ... قبول مَن جاء من التائبين
وخذ ثنــاء جاء مِن مُدْنَفٍ ... مشرّدِ النوم حليفِ الأنين (٣)
طويلِ أشجان مديدِ الجوى ... بسيطِ أحزان سريعِ الحنين (٤)
مشتّتِ القلب مُعنّىً برا ... هُ الهمُّ حتى لم تخــلْه يبين (٥)
نضّــاخةٍ عينــاه يا ويله ... قد فارق الأصحاب والأقربين

---

(١) القِنية : ما اقتني من شاة أو بعير .

(٢) الهجين : اللئيم .

(٣) المدنَف : مَن لازمه المرض .

(٤) جمع في هذا البيت أسماء أربعة من بحور العروض وهي : الطويل ، والمديد ، والبسيط ، والسريع .

(٥) المعنى : المحبوس . براه : أي أهزله وأضعفه .

طالت نَواه ليت عمرَ النوى عمرُ كراه منذ دهر أبين
قد قطّعَ الوجدُ حشاهُ فما تلقاهُ إلّا في عَذابٍ مُهين
يكفيه ما أشجاه في دهره مِن مُقلةٍ عَبرى ودمع سخين
إذا انتهى النوّام في سكرهم أتتـه غارات الدواهي تبين
فاعذر وسـامح شاحِباً عزّه من دهره همٌّ يُشيب الجنين (١)
بقيتَ في الدنيا سعيداً وفي أُخراك من أصحاب ذات اليمين

ومن قصائد حاكم الاحساء البليغة التي قالها في مدح البيتوشي ، وأجاد فيها ، وقد كتبها بالبادية في اواخر سنة ١١٩٣ هـ وارسلها اليه وهو في الاحساء ، وهي هذه :

ساجِعُ الوُرقِ على الأغصان غنّى أطربَ الخاليَ واجتاحَ المُعنّى (٢)
صادِحاً يَمرَحُ في أفنانه كلما ازداد غَراماً زادَ فنّا (٣)
ألهبَ الشوقَ بأحشائي وما فارقَ الرّبع ولا الإِلفَ الأغنّا (٤)
بل إذا أطربه الروضُ اعتلى صَهوةَ الدّوح مُجنّنا يتغنّى (٥)

---

(١) الشاحب : المهزول أو المتغير اللون . عزّه : أضعفه .

(٢) الخالي أي عن لوعة العشق . اجتاح : استأصل. المُعنى: المحبوس المعذب.

(٣) الصادح الرافع الصوت بالغناء .

(٤) الربع : الدار و المحلة والموضع الذي يرتبعون فيه . الالف : الأنيس . الأغن : ذو الغنة وهو صفة للالف .

(٥) الصهوة : مقعد الفارس من الفرس استعارها للدوح جمع دوحة وهي الشجرة العظيمة المتسعة . مُجنّنا : اسم مفعول مِن أجنّ بمعنى صيره مجنونا حال من فاعل اعتلى .

أذكرَ الصبَّ عهوداً بالحمى — ولُيَيلاتٍ بهـا قلبي تهنّا (١)
ونَـدامى كالسلاطين لهم — سَمَرٌ يحـلو إذا ما الليل جنّا
لهمُ في العلم أقدامٌ رَسَتْ — وعليهم باهرُ الفضلِ أَبَنّا (٢)
ليتَ شعري - والأمانيُّ - رُقىً — هل تراهم مُقلتي بالقرب مِنّا ؟ (٣)
أو ترى مَن قد رآهم لحظةً — انني أرضى بما منهم تسنّى (٤)
كلما لاح بَريقٌ نحوهم — جذب القلبَ هوى الرَّبع لخنّا
يا أُصَيحاباً بحجْز خيّموا — لم أُبِنْ من بعدكم للضحك سِنّا
إن تغيبوا عن عيوني فَلَكُمْ — في سُوَيدا القلب قد شيّدتُ كِنّا (٥)
و يحولُ القفرُ مِن دونِكمُ — لخيـالٌ منكمُ يمسي لَدُنّـا
صار شُغلي بعدكم همّاً رَسا — لم يُزايلني وان بِنتم وبِنّا
أتمنّاكم - وهيهـات المُنى - — عزَّ ما أرجوه مِن دهري وأنّى (٦)
ما لقلبي لم يفارقـه الجوى ؟ — وعيوني دمعُها ما يتأنّى
وفـؤادي كلّما هبّتْ صَبا — فرَّ حتّى خِلتُه في الحال جُنّا

---

(١) لييلات : جمع لييلة مصغر ليلة .

(٢) أبن . أي أقام والالف للاطلاق .

(٣) رقى : جمع رقية وهي أن يستعان للحصول على أمر بقوىً فوق القوى الطبيعية أي ان قربهم منا امنية نتعلل بها ونسلي بها أنفسنا ، ثم يتمنى أن يرى من رآهم .

(٤) تسني : أي تهيأ وحصل أيّاً كان .

(٥) الـكِن : البيت الصغير .

(٦) أنّى : استفهامية بمعنى كيف أي أنى يكون الوصول إلى ما اتمناه .

أغرامـاً وبعاداً وضنىً يا لقومي لفتىً لم يطمئنا !!
خانه الصبر وأعياه الهوى فاذا الليل دجى جُنَّ وأنا (١)
ومتى نام المُعافى خالياً تأتِهِ الأفكار مِن هَنا وهنا (٢)
أضمرَ الشوق وأخفى وجده بالحشا خوفَ عدوٍّ يتجنى
وعذولٍ جدَّ يرجو سلوتي يحسب السُلوان لي سَلوى ومَنّا (٣)
غرّه مني نُهاً ثابتٌ وجَنانٌ ليس يدري ما أجنا (٤)
ما درى أن الهوى قد هزّني وعلى أحشائيَ الغاراتِ شنا
كلَّ يوم أطلب الصلح فلم ألقه إلّا اعتلى الخيل وعنّا (٥)
ليس يرضيه سِوى قتلِ امرئٍ ماله من ناصرٍ حامٍ فَمَنّا
يا زماني كُفَّ عنا إننا بالفتى الكرديّ في الحرب استعنّا
ماجدٌ قد حاز أصناف العُلى ألمعيٌّ لم يكد يُخطىء ظنّا (٦)
ذو سِنانٍ وبَنانٍ راعفٍ واكفٍ إن أحجم الغيثُ وضنّا (٧)

---

(١) أنا : أي صوّت لألم وتأوّه .

(٢) هَنّا : بتثليث الهاء اسم يشار به الى المكان البعيد .

(٣) السَلوى : طائر معروف .

(٤) النُهى : مقصوراً جمع النهية وهي العقل سمي به لأنه ينهى عن القبح وعن كل ما ينافي العقل ، وقد مد لضرورة الشعر . الجنان : بالفتح القلب . أجنا : أضمر .

(٥) عنا : من عَنّ عن الشيء أعرض عنه .

(٦) الألمعي : الذكي المتوقد الذهن .

(٧) راعف : من رعف الدم سال من الأنف ، وهو ناظر إلى السنان =

كل معنىً رائق في لفظه ... كز ناد فيه لمع النار كنّا
دبّج النظم بزاهي نظمه ... (فالجَنى الداني) لنا عنه تدنّى (١)
يا إماماً صار بدراً للورى ... في دُجى الليل اذا البدر استكنّا
أبلغ التسليم عني خُلّةً ... فَرض الحبُّ لهم مني وسُنّا
هم فؤادي ومرادي وهمُ ... نُصْبَ عيني حيثما كانوا وكُنّا (٢)
في رُبا هَجَرٍ أقاموا صُوَراً ... وأرى أشباحهم مني تَدَنّى
فسقى اللهُ رُبا هجر حَياً ... يَنفُضُ الوُرْقَ مُريماً مُرْجَحِنّا (٣)
ينبت الزهر بأكناف العرى ... ورُبا الحزم غدت روضاً أغنّا (٤)
والعُذَيبُ العذبُ شرقي الحِمى ... عمّه الوبلُ فأرواه وهَنّا (٥)

= لسيلان الدم منه . الواكف : المطر المنهمل ، وهو ناظر إلى البنان .

(١) دبّج الخ : أي زيّن المنظومات العربية بنظمه البديع . الجَنى الداني : فيه تورية لأنه اسم كتاب في النحو لأبي علي الحسن المعروف بابن قاسم المرادي .

(٢) النُصْب والنُصُب : الشيء المنصوب ، يقال هذا نُصْبَ عيني أي أمامها .

(٣) الحيا : المطر . ينفُض : أي يُطيِّرُ . الوُرق : جمع ورقاء وهي الحمامة . مُريماً : يقال مطر مُريع أي يعطي الخصب . مُرجَحِنّا : من إرجَحَنَّ أي مال واهتز .

(٤) العرى : الناحية والساحة . الحزم : الغليظ المرتفع من الأرض . الروض الأغنّ : كثير الشجر والعشب .

(٥) العُذَيب : كزبير اسم ماء . هَنّا : من هنّأه بمعنى أطعمه ، حذفت الهمزة للضرورة .

تلك أطــلالٌ لنا لم أنسها ... ما جرت روحي وهزّ الريحُ فنّـا
أسألُ الرحمنَ فيها رَجمةً ... تغسل الهمّ الذي للقلب عنّـا
وصَــلاة الله تغشى المصطفى ... مَن به الله هَدى إنساً وجنّـا
وكذا الآل مع الأصحاب ما ... ساجعُ الوُرْقِ على الأغصان غنّى

فأجابه البيتوشي بقصيدته الآتية على نفس الوزن والقافية معتذراً فيها عن تأخير الجواب عذراً مليئاً بالتواضع ويقول : « لم نزل منذ نأى مولانا مدّ الله ظِلاله ، وزاد إجلاله ، أتسلّى نهاراً برؤية جميل آثاره في دياره ، كما أغنى التيممُ بالصعيد ، وأشكو إلى طيف خياله بُعد مزاره ، كما يشكو العميدُ إلى العميد ، وكلما تفرقت حواسي من الجوى ، كتشتت الآراء في اللأواء ، وتلعبت بي أيدي النوى ، كتلعب الأفعال بالأسماء ، وعضّت نوائب البين جناني ، كما يَعضُّ على الغارب القتب[1] ، بؤتُ إلى بعض الروابي[2] ، عسى أن يخفّ ما بي مما أضناني ، كما انتحى الرائي في الغزو منتصب[3] ، إلى أن ورد كتاب من ذلك الجناب ، بعد أن تشوقتُ اليه تشوق المرضى للطبيب ، فمحى استلامي له سورة الاكتئاب ، محو استلام الرُكن الذنوب ، وارتاحت إلى مرآه العين ، كما ارتاحت البِكرُ الهديُّ إلى البعل[4] ، ودب البرء فيما كنت أجد

(١) القتب : الرحل .
(٢) بؤتُ : أي رجعتُ .
(٣) الرائي : الناظر المترصّد لكشف أخبار العدو أو لوصول النجدة .
المنتصَب : بمعنى المحل المرتفع .
(٤) الهَدِيُّ : العروس .

من الأين ، كما دبّ في الرمل الفريق من النمل ، فألفيته منظوماً يفترُّ عن اللؤلؤ المنثور من المعاني ، كماء الغيث مفترّاً عن البرق والرعد ، وقد أُحكمت خلالَهُ البلاغةُ التي هي من أرفع المباني ، كما أُحكمت في النظم واسطةُ العقد ، فأعرضتُ عجزاً عن جوابه زماناً ممتدّاً ، فلما لم أجد للمحيّي عن رد التحية بُدّاً ، قلتُ وأظن ذلك المولى يقول لي لقد جئت شيئاً إدّا :

هاجه الوجد إلى نجدٍ فأنّا وتمنّى الأبرق الفرد وأنّى[1]
أيها الغادي إلى وادي الغضا نلتَ من حسن القضا ما تتمنّى
إن تر الظبي الأغنّ الأحور الـ مصطفي مُصطافَه الروض الأغنا[2]
قل له عن نازح صبٍّ ترى دمعه صبّاً متى ما البرق عنّا
مَن لمسحورِ فؤادٍ سَحَرا ولمجنونٍ إذا ما الليل جنّا
هائم ما زال سكراناً وما شرب الكأس ولا جاور دنّا
واجب القلب رأى المكروه من عذّل في لحظك المسنون سَنّا[3]
مات من نازعه الشوقُ وما نال في حبّك يوماً ما تمنّى[4]

---

(١) الأبرق الفرد : اسم موضع . أنى : استفهامية بمعنى كيف ، أي كيف الوصول إلى نجد أو إلى الأبرق الفرد ، وأنى يكون ذلك .

(٢) الأحور : الذي اشتد بياض عينيه وسوادها . المصطاف : المكان الذي يقام فيه صيفاً .

(٣) الواجب : الواجف . سَنّا : يقال سنّ السكين أي أحدّه وشحذه ، وهو مفعول مطلق لمسنون .

(٤) ما تمنّى : ما أبدع التوافق بين صدر البيت وعجزه ، أي بين حروف « ما تمنّى » و « مات مَن نا » .

طالما كان يُمنّيه الهوى ... أن يرى مصرعه فيه فمنّا
وهن العظمُ وأوهى جلدي ... عُظمُ ما بي فارحم المضنى المعنّى
ذقتُ فيك الصبر من صبري وقد ... كنتُ خلواً خالي العيش مهنّا (١)
أدنِ مشتاقاً يُذيبُ الحجر الصـ ... ـلد أدنى وهج فيك أجنّا (٢)
مُنْ في أسريَ بالفكّ وإن ... ترَ قتلي أرهُ سلوى ومنّا
ولئن ترضى بإذلاليَ لم ... يرضَ لي من صار لي كهفاً وكِنّا
أحمدُ الأوحدُ من صار لنا ... جُنّة إن قلب الدهر المجنّا (٣)
حامل الكَلّ عن الكُلّ صفوح ... عن الخِلّ بما منه تسنّى (٤)
زُبدةُ الأنصار أخلِقْه بأن ... صار بين الخلق بالمجد يُكنّى (٥)
بالحِجى حاز المعالي وحده ... لا العوالي فارتقى فنّاً وفنّا (٦)
نال شأو العلم طفلاً والندى ... يافعاً والحزمَ والرأيَ مُسنّا (٧)

---

(١) الصبر : عصارة شجر مر ، مخفف صَبِر ككتف .

(٢) أدنى : فاعل يذيب .

(٣) الجنة : الوقاية والسترة . المجنّ : كل ما وقى من السلاح ، يقال : « قلب له ظهر المجنّ » اذا تحول عن الصداقة إلى العداوة .

(٤) الكَل هنا : الثقل . تسنّى : تهيأ وتيسر .

(٥) أخلقه : صيغة التعجب من الخليق بمعنى الجدير ، أي ما أجدره !!! إلا أن الصيغة الصحيحة أخلق به فتصرف بها على خلاف القياس .

(٦) العوالي : الرماح .

(٧) اليافع : غلام ترعرع وناهز البلوغ .

ذو حيــاء وحِباً إن بالحيا ضنّت السحبُ فلَمَن يخاف ظنّا (١)
كم كفى حُرّاً وقِنّاً همـــه فغدا الحُرُّ له بالجود قِنّا (٢)
طوّق الأعناق مِنّا من أيا دِ ثقالٍ ما يرى فيهنّ مَنّا
فارسٌ عَنّ ، حوى بكر المعا ني ابتكاراً حين خيل الفكر عنّا (٣)
سار إن سار لواء النظم والـ ـنثر طراً وأبنّا إن ابنّا
يا إماماً يممتْ أينقُـــه أرضَ نجد راضياً بالنأي عنا (٤)
جاءنا من غُرر النظم لكم ما يحاكي روضة بالحَزْن غنّا
رَمَلُ الأبحر لكن دُرُّه عددُ الرملِ فرادى ومُثنّى (٥)
فتبـــاشيرُ التهاني أقبلتْ بعد طول اليأس من هَنّا وهنّا
هالنا هَيْلُكمُ تلك المعا ني علينا فاقنعوا بالوزن منّا (٦)

---

(١) الحياء : الحشمة . الحباء : العطية ، قصر للضرورة . الحيا : المطر .

(٢) القِنّ : العبد ، أي كم جعل الأحرار عبيداً بجوده واحسانه .

(٣) عَنّ : أي ظهر . عَنّا : من عَنّ عن الشيء أعرض ، والالف للاطلاق ، أي انه فارس ميدان البلاغة وبيده أزمّة المعاني والبيان حينما كانت خيل الأفكار معرضة عن الظهور والاقبال في الميدان ، ويجوز أن يكون عن الثاني بمعنى وضع العنان في رأس خيل الفكر أي اللجام ويكون ذلك عند ركوب الخيل عادة ، يريد انه أتى ببكر المعاني لما تكلم وألجم خيل الفكر .

(٤) يممت : قصدت .

(٥) رَمَل الأبحر : أي إن قصيدتكم هذه من بحر الرمل الذي هو تكرار « فاعلاتن » ست مرات غير أن درر هذا البحر بعدد الرمال .

(٦) الهيل : صب التراب بكثرة ، أي أفزعنا منكم صب هذه المعاني =

سيدي ما زال وَجدي فيكمُ بين أحشائي مُقيما مُستكِنّا
ما ترى من مُغرَمٍ مهما سرتْ نسمةٌ نجديةٌ هـام وجُنّا (١)
أينما كنتم فأنتم سادةٌ ونَرى أنّا عبيدٌ حيث كُنّا
هَجَرٌ من هَجرِكم هاجرةٌ ما ترى فيها لجنب مطمأنّا
فكأنا ما وردنا معكم عِدٌ لهوٍ وكأنا ما عَطنّا (٢)
وكأنّا ما رأينا ذلك الـ أنسَ يوماً وكأنّا وكأنّا
كم وكم شنّ عليَّ الهمُ مِن جيشه الغارات حتى صرتُ شنّا (٣)
إن يعُدْ سِنٌ شبابي بعدكم ليَ غضّاً لم يُبِنْ مِن فيَّ سِنّا
عِفتُ في نأيكم كأس الطّلى ورضابَ الغيد والعودَ المُرِنّا (٤)
فعسى أشكرُ أيدي نُجُبٍ قد شكونا إذ بأقتابك بنّا (٥)

=الجميلة علينا بكثرة ، أي ان المعاني نستلهمها من فضلكم وفضائلكم ، وليس لنا فيها إلا الوزن والقافية فهذا على حد قول المتنبي في ممدوحه :

[فانك معطيهِ واني ناظمه]

(١) ما : استفهامية للتعجب . المغرم : المولع بالشيء .

(٢) العد : الماء الذي لا ينقطع . عطنا : يقال عَطن البعير عُطونا روى ثم برك ، أي كأنا ما جلسنا معكم .

(٣) الشنّ : القربة الخلق الصغيرة ، أي حتى صرت ممزقا كالقربة البالية .

(٤) الطلى : بالكسر الخمر . المرن : كثير الرنين .

(٥) نجُب : جمع نجيب بمعنى أصيل صفة لمحذوف . بنا : بنّ أي بعدن ، والالف للاطلاق ، أي نشكر أيدي النجب حين ترجع بكم وقد كنّا شكوناها لما بعدت برحالكم .

فتَردُ الروحُ في الميْتِ أسىً ويردُّ العقلُ فيمن كان جنّا
هاكِها مني صِعاباً شُرّداً دِنّ لي كُرهاً وما كِدْنَ يدِنّا (١)
طاويات كسجلّ الكُتُبِ تط وي اليكم يَفَعاً والمطمئنا (٢)
أُوقِرتْ من دُرر المدح فلا غروَ أن سرنَ بِطاءً تتأنّى
دُمْ خلوداً في جِنان الأُنس والا أمن مِن شرّ الورى إنساً وجنّا
وصلاةُ الله تغشى مَن لنا سنن الخير وسيفَ الحقّ سنّا
وكذا أصحابه ما وامقٌ هاجه الوجدُ إلى نجدٍ فأنّا

القصيدة الرابعة عشرة نظمها في الاحساء سنة ١١٩٦ ﻫ بمناسبة وفاة الشيخ درويش والد الشيخ أحمد البصري الكوازي العباسي من آل عبد السلام ، يعزيه فيها بموت أبيه بعد مقدمه من شيراز إلى البصرة سنة ١١٩٥ ﻫ . فهذه القصيدة تعد بحق من عيون قصائده التي تتجلى فيها قوة البيان وبلاغة الاسلوب وكثرة المعاني ورقتها واتساع مدى الخيال ، وقد عثرنا عليها في المجموعة الخطية بمكتبة المرحوم الملا محمد الجلي .

يبدأ القصيدة - كما هي عادة البيتوشي - بالغزل والتشبيب بالمحبوبة وذكر محاسنها في أربعة وعشرين بيتاً الى أن يصل إلى غرضه وهو المدح ثم الرثاء . فيقول :

(١) ها كها : الهاء الاولى اسم فعل بمعنى خذ . والهاء الثانية مفعوله . والكاف حرف لمجرد الخطاب . شُرّد : جمع شاردة صفة للصعاب . دِنّ : أي طاوعن بعد إباء .

(٢) اليفع : ما ارتفع من الأرض .

منع الكرى طيفٌ ألمَّ بمرقدي وَهناً ولم يك بيننا من موعد (١)
يا أُختَ حربٍ كيف زُرتِ ودوننا حربٌ وَقودُ لَظــاه كلُّ مهنَّـد (٢)
وَسباسبٌ غُفلٌ يَظَلُّ نسيمُها حَيرانَ في حُجُراتِها لا يَهتدي (٣)
وَيبيتُ فيها البرقُ دونَ مَزارنا مِن كلِّ مَهوىً موصَلٍ بمُصَعَّد (٤)
يسري كشعلة قابسٍ عَجِلاً فيُصبِحُ دوننَا صَرَداً كزندٍ أصلد (٥)
أسدُ السماء يُرى' خفوقاً قلبُه أبداً مخافـةَ ذئبهـا المترصِّد (٦)

---

(١) الكرى : النوم . الطيف : الخيال الطائف في النوم . ألمَّ : أي نزل . المرقد : المضجع . الوهن : من الليل نحو منتصفه .

(٢) اخت حرب : أي يا من هي من قبيلة حرب . دوننا : أي بيننا . اللظى : النار أو لهبها وأعاد الضمير إلى الحرب مذكراً للضرورة . المهند : السيف المصنوع من حديد الهند .

(٣) السباسب : جمع سبب ، المفازة ، وهو عطف على « حرب » في الشعر السابق ، أي كيف زرتِ ؟ وبيننا سباسب الخ . الغُفل : من الأرض ما لا عمارة فيه . الحجرات : جمع حجرة للناحية .

(٤) يبيت : من بات بالمكان أقام فيه ليلاً . دون مزارنا : أي لا يصلنا لحيلولة الجبل الشاهق . المهوى : ما بين الجبلين . المصعد : المكان المرتفع .

(٥) القابس : طالب النار . العَجِل : بفتح فكسر المسرع ، حال من فاعل يسري . دوننا : أي قبيل أن يبلغنا . صَرَداً : من صرد السهم اذا لم يصب فشبهه بالزند غير الواري . الزند : العود الأعلى يقتدح به النار . الأصلد : من صلد الزندُ اذا صوَّت ولم يور عند القدح .

(٦) أسد السماء : البرج الخامس من دائرة البروج . خَفوقاً : أي مضطرباً . المترصد : الذي ينتظر الشيء ليأخذه بغتة .

والحوتُ وَدَّ لوأنّه في الدَّلوِ مِن رَمْضائِها وهجيرِها المتوقِدِ (١)
ولِغولِها زَجَلٌ كغمغمةٍ عَلَتْ مِن عابدِ الصُّلبانِ في مُتَعَبِّدِ (٢)
بأبي مَهاةٌ قد تجشّمتِ السُّرى لِأخي ودادٍ للغرامِ مُعبَّدِ (٣)
تختالُ بين خلاخلٍ ودَمالجٍ وتَميسُ بين مُوَرَّسٍ ومُوَرَّدِ (٤)
فأتتْ وقد أبلى الهوى مِنّي سوى رَمَقٍ يُقَلَّبُ في أيادي العُوَّدِ (٥)
لم أكتحِلْ مذ حالَ دونَ مَزارِها الأميالُ مِن سِنَةِ الرُّقادِ بِمِرْوَدِ (٦)

---

(١) الحوت : البرج الثاني عشر من دائرة البروج . الدلو : البرج الحادي عشر منها . الرمضاء : الأرض الحارة من شدة وهج الشمس . الهجير : نصف النهار في القيظ .

(٢) الغول : حيوان هائل خرافي . الزجل : الصوت الرفيع . الغمغمة : الكلام الذي لا يبين . الصلبان : جمع صليب ، وعابد الصلبان : المسيحي المتعبد . المتعَّبد : كالمعبد الموضع الذي يُعبد فيه .

(٣) المهاة : البقرة الوحشية ، تشبه بها المرأة في سمنها وجمالها وحسن عينيها . تجشمت السرى : أي تكلفت على مشقة السير ليلا لزيارة أخ المودة المذلل بالغرام والهيام .

(٤) الخلاخل : جمع خلخال حليــــة تلبس في الرجل كالسوار في اليد . الدمالج : جمع دُملج حلي يلبس في المعصم . تميس : من ماس الرجل مشى وهو يتمايل ويتبختر . المورّس : المصبوغ بالورْس وهو نبات كالسمسم يصبغ به . المورَّد : المصبوغ على لون الورد ، أي بين ثوب مورّس وثوب مورّد .

(٥) العوَّد : جمع عائدة للتي تعود المريض وتزوره .

(٦) المرود : ميل المكحلة ففيه مع الاميال جناس المترادف .

فرَنَتْ اليَّ بلَحظِ ريمٍ جافِلٍ   وحَنتْ عليَّ بِعِطفِ بانٍ أملَدِ (١)
وشَفَيْتُ مِن مَبرودِ كأسِ رُضابِها
مَحرورَ قلبٍ بالصَّبابةِ مُوقَدِ (٢)
قالَتْ - وقد بَلَّتْ دُموعي نحرَها -
ماذا ؟ فِداكَ أبي وأُسْرَةُ مَحتِدي (٣)
فأجبتُها هذي لآلي عِقدِكِ الـ   منظومِ ذابتْ مِن لَظى قلبي الصَّدي (٤)
ثمَّ اعتنقنا ليس يحجزُ بيننا   غيرُ التَّعفُّفِ والحُسامِ المُغمَدِ (٥)

---

(١) رَنَتْ : أي نظرت . اللحظ : مؤخر العين . الريم : الظبي الخالص البياض . الجافل : النافر . حنت : أي مالت . العِطف : جانب العنق مع الخد ، ويجوز أن يراد به نصف قامتها مع ما فيها من صفحة العنق والخد . البان : اسم شجرة . الأملد : الذي لا ورق له .

(٢) المبرود : ما دخلته البرودة بثلج أو نحوه . المحرور : ما دخلته الحرارة .

(٣) وقد بلت الخ : جملة معترضة . ماذا : مقول قالت ، وجملة فداك أبي الخ : جملة دعائية . المحتد : الأصل ، والمراد به هنا الأجداد .

وهذا البيت مع تاليه مكتوب في صورة الرباعي بخط البيتوشي على ظهر مسودة كتاب الحفاية المكتوب بخطه أيضاً هكذا :

قالت - وقد بلَّتْ دموعي نحرها   يومَ النوى - ماذا فدتكَ أناسي
فأجبتها هذي لآلي عِقدِكِ الـ   منظوم ذابت من لظى أنفاسي

فلعله قالها سابقاً ثم أدخلها في هذه القصيدة بعد تبديل القافية .

(٤) لآلي : جمع لؤلؤة وهي الدرة . الصَّدي : العطشان .

(٥) المغمد : فيه اشارة لطيفة إلى أنه يخاف من أهلها البواسل .

حتى إذا لَمَعَ الصَّباحُ كأنَّه شُمْطُ الذوائِبِ في مَفارقِ أسودِ (١)
قالتْ - وقد نظرتْ كمذعُورِ المَها
ودمُوعُها كاللؤلؤ المتبـــدِّدِ - (٢)
يا ويحَ مُفتَضِحٍ لِوَقفةِ ساعةٍ فانهضْ تزوَّدْ مِن لمَايَ وزَوِّدِ (٣)
ثم انثنَتْ بعد الوداعِ كأنَّها مَشمُولُ غُصنِ البانِ في يومِ نَدي (٤)
وغدتْ تَهادى في غلائلها كما مَشَتِ القطاةُ إلى شريعةِ مَوردِ (٥)
تمحو بسَحبِ المِرطِ آثارَ الخُطى عن قومها وبني أبيها الحُرَّدِ (٦)

---

(١) الشُّمط : جمع أشمط لمن خالط بياضَ رأسه سواد . الأسود : ذو السواد كالزنجي ، واضافة الشمط اليه من اضافة الصفة الى الموصوف ، أي الذوائب التي بدأ فيها البياض في رأس الأسود .

(٢) المتبدِّد : المتفرق .

(٣) يا ويح : مقول قالت في الشعر السابق ، والويح : بمعنى الويل . اللمى : سمرة في باطن الشفة تستحسن . زوِّد : أي زوِّدني من تقبيلك ورشف ريقك .

(٤) أي كأنها غصن بان مرت عليه ريح الشمال فهزته في يوم ماطر فسقطت منه قطرات الندى ، يشير بهذا الى أن المحبوبة لما رجعت بعد الوداع بكت وتقاطرت دموعها على الأرض من ألم الفراق وفرط الوجد .

(٥) تهادى : أصله تتهادى أي تمشي مشياً متمايلاً . الغلائل : جمع غلالة شعار يلبس تحت الثوب . القطاة : طـــائر معروف . الشريعة : حافـــة مورد الماء .

(٦) المرط : ثوب من خز أو صوف . الحُرَّد : جمع حارد بمعنى الغضبان الفاتك .

والوجدُ يَـثني عِطفَها نحوي كما ... تثني غصونَ المجدِ راحةُ أحمد[1]

ثم يدخل في مدح الشيخ أحمد بن الشيخ درويش العباسي ، ويصفه بالجود والسخاء والقوة والعزيمة . فيقول :

سيلُ الندى للمجتدي سيفُ الردى

للمُعْـتدي نجمُ الهُـدى للمقتدي[2]

شيخُ الشيوخ سليلُ أمجادٍ علَوْا ... هامَ السِماكِ بعزمِهِمْ والفرقَد[3]

مِن كلِ مَن وهبَ الألوفَ وكلِ مَن

آوى الضيوفَ بكلِ عامٍ أرْبَد[4]

إن سالموا فمن العَبير وَقودهم ... أو حاربوا فمِنَ القنا المتقَصِّد[5]

يُمسي الطريدُ لديهمُ كحمامةٍ ... أمستْ ببيتٍ للحجيج مُشيَّد[6]

شتَّـانَ بين أبي المكارم أحمدٍ ... في الجودِ والبحر الخِضَمِّ المُزبِد[7]

---

(١) الوجد : المحبة . يثني : أي يُميل . العطف : بالكسر من كل شيء جانبه ، وفي هذا البيت حسن التخلص ، وقد سبق تعريفه في ص ١٣٨ .

(٢) الندى : الجود والفضل والخير . المجتدي : السائل . الردى : الهلاك .

(٣) الهـام : جمع هامة بمعنى رأس كل شيء . السماك والفرقد : اسما نجمين .

(٤) من كل من : بيان للامجاد . العام الأربد : المقحط .

(٥) القنا : الرماح . المتقصد : المتكسر أي يكون وقودهم من كسر الرماح .

(٦) أي يبقى المطرود المنهزم في كنفهم آمنا مطمئنا كأمن الحمامـة في حرم الكعبة .

(٧) الخضم : العظيم . المزبد : ذو الزبد .

فالبحرُ يُعطيكَ الغُثَــاء بمَدِّه ويفيضُ من يُمناهُ خالصُ عَسجَدِ[(١)]
يُعطي بلا وعــدٍ إذا ما جئتَـه أو قالَ بَعْدَ غدٍ فيُعطي في غد
ذو منطقٍ عَذبٍ يُحاكي لؤلؤاً في سِلْكِ عِقدٍ للنحور مُنضَّد[(٢)]
ما شئتَ من حزم وعزم مثلَ عضـ ـبٍ للنِزال عن الحَمائل مُفرَد[(٣)]
شيَمٌ له في المجــد عباسيَّـةٌ يَفنَى الحسابُ وفيه ما لم يُعدَدِ[(٤)]
شَرُفَتْ بنو عبد السلام به كما شرُفتْ قريشٌ بالنبي محمد
يا مَن يُؤمّلُ أن تـكون صفاتُه
كصفات أحمدَ ، سُدْ ، زِدْ ، اصبر ، زِنْ ، قُدِ[(٥)]

---

(١) الغثاء : البالي من ورق الشجر المخالط زبد البحر . العسجد : الذهب أي ان البون شاسع بين كرم الممدوح وكرم البحر ، لأن عطاء الأول الذهب الابريز ، والثاني الزبد . وفي البيتين من أنواع البديع الجمع مع التفريق والتشبيه الضمني التفاضلي .

(٢) العقد : القلادة . المنضد : المنظم .

(٣) الحزم : ضبط الأمر وإحكامه والحذر من فواته . العزم : الجد . العضب : السيف القاطــع . النزال : نزول الفريقين في الحرب ليتضاربوا . الحمائل : جمع حمالة لعلاقة السيف . أي احكم بما شئت مدحاً فيه من الحزم والعزم الخ .

(٤) الشيم : جمع شيمة وهي الخلق والطبيعة . يفنى الحساب : أي فيه من الشيم العالية ما لو تريد عدَّها لنفد العد والحساب قبل أن تنفد تلك الشيم كما ان فيه من المحاسن والأخلاق الفاضلة ما ليس قابلاً للعد والتعداد .

(٥) سد الخ : أمر بالسيادة ، والزيادة ، والصبر ، والاتزان ، والقيادة . وفيه من البديع التعديد وكذلك ما بعده .

وَاصْلُبْ ، ولِنْ ، عِفَّ ، اعفُ ، هَشَّ ، اسْمُ ، احتَمِلْ

واصدُقْ ، وصِلْ ، واحزِمْ ، وبرّ ، احلَمْ ، جُدِ (١)

اني أرى أن تستريحَ من العَنا ان الثواقبَ لا تُناوَشُ باليد (٢)

يا راكبَ الوَردِ العتيقِ وصاحبَ الـ

ـعهدِ الوثيقِ وذو القِرانِ الأسعد (٣)

ثم يشرع في الرثاء فيقول :

قد مرّ درويشُ الأراملِ والذَوا بلِ والقَنابلِ للنعيم السّرمَد (٤)

مِن بعدِ ما وردتْ ركائبُ جوده فينا مواردَ قبلَهُ لم تُورَد (٥)

فتأوّدتْ لوفاته سُمْرُ القَنا يا رحمتا لِقَوامِها المتأوِّد (٦)

والبيضُ قد كادت تسيلُ جفونُها

كجفونِ بيضٍ ثمّ ناحت خُرَّد (٧)

---

(١) أمر بالصلابة مع الأعداء ، واللين مع الأصدقاء ، والعفة ، والعفو ، والهشاشة بمعنى التبسم ، والخفة للمعروف ، والسمو ، والتحمل ، والصدق ، والوصل بين الأرحام ، والحزم ، والبر ، والحلم ، والجود .

(٢) الثواقب : النجوم . لا تناوش : أي لا تؤخذ .

(٣) الورد : من الخيل ما كان أحمر اللون الى صفرة . العتيق : الكريم والخيار من كل شيء .

(٤) الأرامل : جمع أرملة للمرأة التي مات عنها زوجها . الذوابل : جمع ذابل للرماح . القنابل : جمع قَنْبَلة وهي جماعة الخيل .

(٥) الركائب : جمع ركاب بمعنى الابل .

(٦) تأودت : أي اعوجت .

(٧) البيض : السيوف ، وجفونها : أغمادها. البيض : جمع بيضاء يريد بها =

والخيـــلُ آلَتْ لا تغيرُ لمغنمٍ ... ووَدِدْنَ أن يُفدى بها لو يفتدي (١)

وتنادَتِ الأيتامُ أينَ ثِمالُنا الـ ... ـمطعامُ في أيام جهـــدِ مُجهِد (٢)

مَن للمُسيفِ المُستميرِ وللّهيـ ... ـفِ المستجيرِ وللضعيفِ المُقْرِدِ (٣)

مني اليه تحيـــةٌ مشفوعـــةٌ ... بزفيرِ وجدٍ في الحشا مُتردِدِ

مني السلامُ لِمَن ثوى دارَ السلا ... مِ كجده عبد السلامِ المرشِدِ (٤)

وسحائبُ الغفرانِ تُسقي قبرَهُ ... مِن كُلِ هطّالِ العَزالى مُرْعِدِ (٥)

ما زِلتُ أبكيهِ وأشكرُ أنعُماً ... كانت تروحُ اليَّ منه وتغتدي

فلكَ البقاء وكل شيءٍ هالكٌ ... غـــيرَ الاله الدائمِ المتفرِدِ

أن فاتنا الوَردُ البهيُّ فأنت ما ... ءُ الوَردِ طيبُ المنتدى والمنتدي (٦)

= المرأة البيضاء الجميلة وجفونها أغطية عينيها . الخرد : جمع خريدة البكر التي لم تمس . النوح الصياح والعويل .

(١) وَدِدْنَ : تمنين .

(٢) ثمال القوم : غياثهم الذي يقوم بأمرهم . المطعام : الكثير الأضياف والقِرى . الجهد : المشقة . أي في أيام القحط والغلاء .

(٣) المسيف الفقير . المستمير : الذي يطلب الميرة . اللهيف المضطر . المقرد : الذي اقرد أي لصق بالأرض .

(٤) ثوى : أي أقام . دار السلام : الجنة . وفيه من البديع حسن الاتفاق .

(٥) الهطال : من المطر والسحاب الهاطل بشدة . العزالى : مصاب الماء من القربة ونحوها يقال : أرسلت السماء عزاليها إشارة الى شدة وقع المطر .

(٦) المنتدى : النادي بمعنى المجلس . المنتدي : المنتسب إلى النادي والجالس فيه .

ولئن مضى الصبحُ المنير فما مضى … إلّا وخلف منكَ شمسَ السُّؤدَد [1]

أمست عجوزاً بعده الفيحاء ثُـ … ـمّ كَسَوْتَهَا ثوبَ الشبابِ الأغيَدِ [2]

وحللتَ لما جئتَها باليُمْن من … أجفانها القَرحى محلّ الإثمِدِ [3]

فاقفُ المآثرَ من صنائعه التي … بينَ البريـةِ فضلُها لم يُجحَد

فلقد تُركتَ على سبيلٍ واضحٍ … مِن سَعْيِهِ للمُقتَفينَ مُمهّد [4]

ثم يخاطب الشيخ أحمد ، ويشكو عنده الأيام وقسوة الزمان .

فيقول :

أمُعَوِّدَ الفتيان بذلَ النيل والـ … أقران طعنَ الخيلِ دونَ تلدُّد [5]

إني لأشكو ـ لا شكَوْتَ ـ جوانحاً … مُلِئَتْ جوىً ، نيرانُها لم تخمُد [6]

---

(١) السؤدد : الشرف والمجد والسيادة .

(٢) الفيحاء : لقب البصرة . الأغيد : اللطيف اللين الأعطاف .

(٣) القرحى : أي التي تقرحت من البكاء . الأثمد : حجر يكتحل به أي لما جئت باليمن والبركة إلى الفيحاء حللت في أجفانها القرحى محل الأثمد أو حلول الأثمد فيها فتداوت بك .

(٤) تركت : بالبناء للمجهول . من سعيه : بيان للسبيل الواضح وقوله : للمقتفين : أي المتبعين متعلق بسعيه ، وقوله : ممهد : صفة بعد صفة للسبيل ، أو المعنى انك تركت على سبيل واضح للمقتفين من سعيه

(٥) الفتيان : جمع فتى للشاب الحدث بذل النيل : أي العطاء . التلدد : التحير .

(٦) إني : جواب النداء في الشعر السابق لا شكوت دعاء للممدوح =

شوقي اليك كشوق صادٍ قائظٍ   وقتَ الهجير لدى الفُراتِ مُقيَّدِ (١)
أوشوقِ نجديٍّ بأرضِ الهندِ با   تَ يَهيجُهُ ذِكرُ الغضا والفرقدَ (٢)
أو طائرٍ مرّتْ به طيرٌ وقـد   قُدّتْ قوادِمُ ريشه بُمحدّدِ (٣)
كم قد نَهضْتُ اليك ثم تعوقُني   نُوَبُ الزمانِ وسوء حظٍ أنكد
انّي لأرجو أن أراكَ ولا أرى   بك ما يسوءك من شُرورِ الحُسَّد
فلـئِنْ بلغتُ فذاكَ غايةُ بُغيتي   أو لا فـكم مِن جاهدٍ لم يُسعَد
خُذها اليك خريدةً لَمياءَ هَيْـ   فاءَ المعاطفِ بَضَّـةَ المتجرّدِ (٤)
كُرديةً لكنّها فاقتْ ظِبا   حَوضى بُحسنِ نَواظرٍ ومُقـلد (٥)

= الجوانح : الأضلاع تحت الترائب مما يلي الصدر ، وهي مفعول أشكو .
الجوى : شدة الوجد من حزن أو عشق . نيرانها : مبتدأ وضميرها راجع إلى الجوانح ، ولم تخمد خبره ، والجملة صفة لجوانح .

(١) الصادي : العطشان . القائظ : الواقع في القيظ أي الصيف . الهجير : الظهر . لدى الفرات مقيد : يريد شدة الشوق ، أي كشوق العطشان الممنوع من الماء وهو يراه .

(٢) الغضا والفرقد : إسمان لشجرتين من شجر البوادي .

(٣) القوادم : جمع قادمة ، وهي أربع أو عشر ريشات في مقدم الجناح .

(٤) الخريدة : البكر التي لم تمس قط . لمياء : صفة مشبهة لمن عندها لمى وهو سمرة في باطن الشفة . الهيفاء : صفة مشبهة لمن بها هيف أي رقة . المعاطف : جمع مَعطِف وهو العنق وجمعه ليتناول ما يتصل به من الخد وغيره . البضة : رقيقة الجلد ناعمة في سِمَن . المتجرد : الجسم أو ما تحت الثوب منه ، وضمير خذها راجع إلى القصيدة المشبهة بالخريدة الكردية .

(٥) حوضى : كسكرى اسم موضع . المقلد : موضع القلادة .

فاستجلها لا أبتغي مهراً سوى حسن الثناء إذا ذكرت بمشهد (١)
لا زلت شمساً في السناء وفي السنا تحظى بعمر كالهلال مجدد (٢)

القصيدة الخامسة عشرة في مدح الشيخ أحمد بن محمد بن رزق مثري البصرة ومحسنها الشهير يمدحه فيها بكرمه الحاتمي ، عثرنا عليها وعلى الابيات الخمسة التي تليها في مجموعة خطية بمكتبة الشيخ محمد العسافي المدرس الديني بالبصرة . فيقول :

هذا بشير سعاد أقبل فاسعد وانه البكاء عن الجفون السهد
مالي أرى أبداً دموعك وكفا ولهيب وجدك في الحشا لم يخمد
فكأن لبك أول الألباب نهـ ـباً بين ألحاظ الغواني الخرد (٣)
كم في التراب قتيل أتراب دمى سمر اللمى بيض الترائب نهد (٤)
ولقد أمرتك أن تغض عن المهى
ومطينا تهوي بوادي الفرقد

---

(١) الاستجلاء : اظهار العروس لزوجها مجلوة ، أي اقدم اليك هذه القصيدة التي هي كعروس كردية وأنا لا أطلب مهرها سوى الخ .

(٢) السنى : الضياء . السناء : الرفعة . تحظى : تنال .

(٣) الغواني : جمع غانية ، وهي المرأة الغنية بحسنها وجمالها عن الزينة . الخرد : جمع خريدة للبكر التي لم تمس .

(٤) دمى : جمع دمية وهي الصورة المنقوشة في الرخام أو العاج . اللمى : سمرة في باطن الشفة تستحسن . الترائب : جمع تريبة لموضع القلادة من الصدر . النهد : جمع ناهد للمرأة التي نهد ثدياها . وبين التراب والأتراب والترائب جناس محرف غير تام .

إذ كنتَ لَدْنَ العُودِ خِلْوَ البال في
كفيكَ مِن جفنيك فَضلُ المِقوَدِ (١)
فعصيتَني وأطعتَ سُلطانَ الهوى
غيّاً ، ومَن يُطِعِ الهوى لم يَرشُدُ
فاصبرْ ، أو اجزعْ مِن تباريح الجَوى
ما ذاكَ إلّا زرعُ كفكَ فاحصُدُ (٢)
والصبرُ أجملُ في المكاره كُلِّها إلّا على ضَيمِ الزمانِ المعتدي
يا شاكياً نُوَبَ الزمانِ وعادِماً ظِلَّ الأمانِ بحَيْرةٍ لا يَهتَدي
هَل يَنفَعَنْ قولُ الفتى مَن مُنصِفي
مَن مُسعِفي ، مَن مُسعِدي ، مَن مُنجِدي؟ (٣)
أنّى ؟ وحُزمُ جيادِه مَحلولةٌ وركابه بفِنائه لم تُشدَدِ
عيشُ الأرانبِ منه تأنفُ أنفسُ الـ أُسْدِ الضراغمةِ الضواري الحُرَّدِ (٤)

---

(١) لدن : يقال لَدُنَ لَدانةً : كانَ ليناً فهو لَدْن . العود : الغصن ، ولدونة العود كناية عن أول الشباب وآخر الطفولة ، أي نصحتك بغض البصر عن النظر إلى الغواني حينما كنت في باكورة الشباب وكنت خالي البال من الغرام والهيام ، وكان زمامك بيدك لا بيد الغرام تقدر أن تكف نظرك .

(٢) التباريح : الشدة . الجوى : شدة الوجد من حزن أو عشق .

(٣) المسعف : الذي يساعدك ، وفيه من صفة البديع التعديد والترادف .

(٤) الضراغمة : جمع ضرغام وهو الشجاع القوي . الضواري : جمع الضاري وهو الحيوان المفترس . الحرّد : جمع حارد بمعنى الغضبان الفاتك .

لا عار إلّا عارُ بازٍ أشهبٍ مُتبوِّئٍ وَكرَ الغُرابِ الأسود
فارْبأْ بنفسك عن دِيارِ مَذَلّةٍ ودَعِ التَّعلّل للهدانِ القُمْدَدِ (١)
واضْرِبْ بعَضْبِ الحزمِ يافوخَ الدُّجى
والْطِمْ بأيدي العِيسِ وجهَ الفَدْفَدِ (٢)
وارْتَدْ لِذَودكَ مَرتعاً مُعشَوشِباً واهْجُرْ مَؤُونَةَ مثلِ خَدِّ الأمرد (٣)
وشِمِ البروقَ ولا يَغُرَّكَ خُلَّبٌ ما كلُّ برقٍ فيه ما يَشفي الصَّدى (٤)
فَلَرُبَّ شخصٍ مُزدَهٍ برُوائِهِ يومَ الفَخارِ يُرى كزَنْدٍ أصْلَدِ (٥)

---

(١) إرْبأ : يقال ربأ بنفسه عن كذا : أجلّها عنه ونزهها . الهدان : الثقيل في الحرب . القمدد : القاعد عن المكارم .

(٢) اليافوخ : الموضع الذي يتحرك من رأس الطفل ، فاستعار للّيل رأساً ويافوخاً استعارة تخييلية وهكذا وجه الفدفد .

(٣) إرْتد : أي اُطلبْ ، يقال ارتاد ارتياداً الشيء طلبه . الذود : ثلاثة من الابل إلى عشرة أو خمس عشرة أو عشرين أو ثلاثين أو ما بين الثنتين والتسع مؤنث ولا يكون من الاناث وهو واحد وجمع ، أو جمع لا واحد له . المؤنة : ما يُدّخر من القوت ، وأراد به الرعي ، أي واترك الرعي في الأرض الملساء التي لا عشب فيها .

(٤) شم : من شام البرق يشيمه نظر اليه أين يقصد وأين يمطر . الخلّب : السحاب لا مطر فيه فكأنه يخدع ، والبرق الخلّب الذي ليس وراءه مطر ، ويقال لمن يعد ولا ينجز إنما أنت كبرق خلب .

(٥) الازدهاء : المباهاة . الرواء : حسن المنظر . الزند : العود الأعلى تقتدح به النار . الأصلد : من صلد الزند اذا صوّت ولم يور عند القدح ، أي رب حسن منظراً رديء مخبراً .

إني أقولُ وخيرُ قولِ المَرء ما ... لم يُرْمَ بالتكذيب منه بِمشهَدِ
كان النَدى بعدَ البَرامِكة العُلى ... عِلمي به رهنَ الضَريح المُلْحَدِ
فسألتُه يوماً وقد أبصرتُـــه ... يختالُ في بُرد الشَباب الأغيَدِ
من ذا الذي أحياكَ قال المرتجى ... شمسُ الرئاسة أحمـــدُ بنُ محمد
مَن عِرقُه الزاكي كماء المُزْنِ أو ... ذَهبٍ بكفِّ الصَيرَفيّ مُنَقَّدِ
كَتَبَتْ يمينُ الجود فوق جبينه ... يا قاصدي أبشِر بنُجح المَقصِدِ
هو بهجةُ الدنيـــا أقرّ بفضله ... أهلُ العُلى من غائبين وشُهَّدِ
زحلٌ وشمسٌ في السَناء وفي السنا ... حَيْنٌ حَياً المُعتَدي والمُجتَدي (١)
ما كعبُ مامةَ، ما أبو دُلَفٍ، وما ... مَعْنٌ، إذا ذُكرتْ أيادي أحمد (٢)
شادَتْ له الهِممُ العَوالي رُتبةً ... خَضَعَتْ لرِفعتِها رقابُ الحُسَّدِ
مابين جَدواه وجَدوى مَن مضى ... بَوْنٌ، كما بين الثَرى والفرقَدِ
فلو انَّ حاتم طَيِّءٍ في عصره ... لرأيتَه بِمُناخه في الوُفــد (٣)

---

(١) زحل : نجم من النجوم السيارة اشتهر بالنحوسة . السناء : الرفعة . السنا : الضياء . الحين : الموت . الحيا : المطر . فالحين يرجع إلى المعتدي ، والحيا إلى المجتدي .

(٢) هؤلاء الثلاثة من العرب يضرب بهم المثـــل في الجود والوفاء والايثار .

(٣) هو حاتم بن عبدالله بن سعيد بن الحشرج الطائي فارس ، شاعر ، جواد ، جاهلي ، يضرب المثل بجوده ، مات ٤٥ سنة قبل الهجرة . الوفد : جمع وافد .

فارْحَلْ وها أنّي أمامَكَ عنده ... بفِنـائه لك لا أزال بمَرصَدِ
فقصدتُه ثقةً بما وَعَدَ النّدى ... مُتيقِناً أنْ ليس يُخلِفُ مَوعِدي
مُتقحِماً دُلَجَ الدّياجي مُزْجِياً ... نُجُبَ النّواجي في الهَجير المُوقَد (١)
إمّا على عيديّـةٍ في الدوّ أو ... عُوديّـةٍ في لُجّ بحرٍ مُزبِدِ (٢)
حتى أنختُ ظِماءَ آمالي بــه ... يَرجون من جَدواه أعظَمَ مَوردِ
فلئن رَوِينَ لأوقِرَنّها شُكرَهُ ... وجميلَ مدحٍ في الدّيار مُخلَّد (٣)
مدحٍ كأزهار الرّبيع ونَورِهِ ... تُصغي له آذانُ صُمّ الجَلمَد
أولا فإنّي عاذرٌ مــع أنني ... ما زِلتُ أشكر منه سابقة اليَد
فلتهنِهِ مِنّي قــوافٍ شُرَّدٌ ... عن أهل عصري وهي لي طوعُ اليد
أدعو بها فتُجيبُني فأحوزُ ما ... أختـارُ لا كالخاتِلِ المتصيّد (٤)
مع أنني لا أرتضي بالشعر لي ... لقَباً وإن يكُ كلّه من عَسجَد
يأباه لي عِلمي وآبائي الأُولى ... ورِثوا المكارمَ سيداً عن سيد

---

(١) متقحماً : من تقحّم الفرس النهر دخل فيه . الدلج : الساعة من آخر الليل . مزجياً : من ازجى ازجاءاً ساقه . النواجي : جمع ناجية وهي الناقة السريعة تنجو بمن ركبها .

(٢) العيدية : نسبة الى عيد ، اسم فحل نجيب ، ومنه النجائب العيدية . العودية : نسبة الى العود والمراد بها السفينة المصنوعة من الخشب .

(٣) لأوقرنها : يقال أوقر ايقاراً الدابة : حمّلها ثقيلا .

(٤) الخاتل : الصياد الذي يمشي على مهلٍ لئلا يحس الصيد به . المتصيد : المتكلف في الصيد والمعاني لذلك .

لكنّ أحياناً أذود بنظمه | عن خاطري همَّ الزمانِ الأنكد
فالهمُ قدماً مُولَعٌ بأولي النهى | وَلَعَ العُلى بأبي محمدِ النَدِي
الواهبِ الآلاف نقداً مُنجزاً | ما إن تراه يقول : لا ، أو في غد
لا زال مطلولَ الرياض ومَنهلاً | لِلمُمْحِلين وللعِطاش الوُرّد (١)
ما رنّحت غُرَرُ المدائح والثنا | أعطافَ أربابِ العُلى والسُؤدد

ثم يقدم البيتوشي قصيدته هذه إلى الممدوح بهذه الأبيات الخمسة ، إذ يقول :

هاك نظماً لي يَهشُّ إلى | نوره الفوّاح رائدُه
في فتىً مهما تجد بَشراً | ساد مجداً فهو سائدُه
وكأني بي وقد بُسِطَتْ | مِن نَداه لي موائدُه
ولسانُ الفأل بَشّرني | أن ستغشاني عوائدُه
مذ شَدا نطقي بِمدحته | عام (أغناني عوائدُه)

١١٩٩

يظهر من هذه الأبيات أن الشيخ أحمد الممدوح ساعد البيتوشي في أيام محنته وضنك معيشته فأفاض عليه من وابل إحسانه وجوده في السنة التي أرخها بقوله : (أغناني عوائده) وهي سنة ١١٩٩ ه كما يظهر من قصيدته السابقة انه وعده بسد حاجته ، كلما ضاقت حاله وتبلبلت أحواله ، وان البيتوشي يريد أن يذكره بوعده السابق .

---

(١) المطلولة من الرياض : التي أصابها الطل وهو المطر الخفيف . الممحل : المجدب .

القصيدة السادسة عشرة نظمها في الاحساء سنه ١٢٠٨ هـ في مدح صديقه الشيخ أحمد بن الشيخ درويش الكوازي العباسي البصري ، والشيخ أحمد هذا هو الذى بنى للبيتوشي مدرسة بالبصرة ليقوم فيها بالتدريس ونشر العلوم والمعارف واستدعاه من الا حساء اليها كما ذكرنا آنفاً . وقد عثرت عليها في مكتبة العلامة الشيخ محمود المجموعي الامام والخطيب بجامع (الزبير) ثم بعث الي بنسخة منها الشيخ يوسف ابن عيسى القناعي في إمارة الكويت بعد أن كتبت إلى بعض الأصدقاء هنالك .

وقد جمع البيتوشي في هذه القصيدة بين التناسق في المعاني والألفاظ فهي تأبى أن يؤخذ عليها شيء كثير من تكلف الصناعة ، وأنها تجري في سهولة فهم ، وحلاوة لفظ ورقة اسلوب ، ورصانة قافية مع شيء من الاقتباس كقوله : (مستقراً ومُقاما) ، و (مساكين وأسرى ويتامى) ، و (تراهم خُشَّعاً أبصارهم) ، و (أوهنتْ مني العظاما) . فيقول :

هَتَفَتْ وُرقُ الضُحى شَجْواً فهاما   وبَدا البرقُ فأمسى مُستهاما (١)

لائِمَ المُغْرَمِ ا دَعِ عنكَ فيما   رُبَّ لومٍ زاد شَوقاً وغَراما (٢)

مَن يَلُم في ريم وادي رامةٍ   هائمَ القلبِ فلا نالَ مَراما (٣)

---

(١) الورق : جمع ورقاء وهي الحمامة . الشجو : الهم والحزن . المستهام : الذي ذهب فؤاده وخلب عقله من الحب أو غيره .

(٢) لائمَ : منادىً محذوف الياء . المغرم : من به ولع وغرام .

(٣) الريم : الظبي الخالص البياض . رامة : اسم جبل .

يا حمامَ الأيكِ ساعِدْنَ أخا　　شجَنٍ لاقى من البين الحِماما (١)

كلما هبَّ الصَّبا مادَ كمَنْ　　نالَ مِن صِرفِ الطِّلا جاماً فجاما (٢)

مَن لظمآنٍ حشىً أروى ثرى　　كَنَفي رَبعِ الغضا دمعاً سِجاما (٣)

شاقه سُكانُ جرْعاءِ الحمى　　لا أقاحيها ولا ريحُ الخُزامى

لا سقى اللهُ رُبا نجدٍ إذا　　أقفرتْ من أهلها إلّا اضطراما (٤)

ليت أيامَ الصبا لي رجعت　　بعدما قوَّضْنَ عن ربعي الخِياما (٥)

مَن يَبعني مِن أُويقات الصبا　　أُعطِهِ من عُمُري سبعين عاما (٦)

تلك أيامٌ تولّت وانقضتْ　　وكأنْ لم نرَها إلّا مَناما

يا سَميري في ليالي المُنحنَى　　وأخا سِرّيَ مِن دونِ النَّدامى (٧)

---

(١) الأيك : الشجر الملتف . الحِمام : بالكسر الموت . وبينه وبين الحمام بالفتح جناس .

(٢) ماد : يقال ماد الغصن تمايـل ، والرُجل تبختر . الطِلا : أصله طلاء وهو ما طبخ من عصير العنب حتى ذهب ثلثاه ، وقد يكنى به عن الخمر ، والمراد به هنا المعنى الكنائي .

(٣) مَن : استفهامية وهو للاستعطاف والاستغاثة . الكنف : الجانب . الربع : المكان . الغضا : شجر الأثل . السجام : المنصبّ ، أي هل يوجد أحد يرحم محرور قلب ظمآن يروي بدموعه الغزيرة المنهمرة صفوف أشجار الغضا .

(٤) الضرام : الاضطرام والاتقاد للنار .

(٥) قوضن : أي هدمن ورفعن .　　(٦) اويقات : تصغير أوقات .

(٧) السمير : كأمير من يسامرك أي يحدثك ليلاً . المنحنى : المنعطف من الرمل أو من الوادي .

أترى تُصغي إلى شكوى شجٍ ... أرِقٍ أورثه السُهدُ السّقاما؟[١]
إن بالبصرة في مِشراقِها ... ليَ ظبياً قمَرَ البدرَ التماما[٢]
جاءني منه سلامٌ بعدما ... رُمتُ دهراً أرتجي منه سلاما
هتكَتْ ألحاظُه سِرّي ويا ... طالما كنتُ أرى الحُبَّ أثاما
كنتُ من قبلِ هواه ناسكاً ... واعظاً معتقَداً شيخاً إماما
فغدا خلعُ عِذاري في الهوى ... مثَلاً بين الورى مِصراً وشاما[٣]
بأبي نشوانُ من خمر الصبا ... كقضيب البان ليناً وانهِضاما[٤]
قمرٌ إنْ في لِثاميه بدا ... بدرُ تمّ إن نضا عنه اللِثاما[٥]
كوثريُّ الريق معسولُ اللمى ... جوهريُّ اللفظِ خطّيٌّ قواما[٦]
خضِرُ العارضِ منه الياسُ لي ... وبموسى اللحظِ أوحى لي كلاما[٧]

---

(١) شجٍ : أصله شجي وهو الحزين . الأرِقُ : من ذهب عنه النوم في الليل . السهد : قلة النوم .

(٢) المشراق : اسم محلة بالبصرة .

(٣) العذار : مقود الفرس فاذا نزع من رأسها انطلقت حسب ارادتها ، فكنى بخلع العذار عن الاستهتار في الصبوة دون مراعاة الأخلاق والعادات وقيودها المرعية في المجتمع .

(٤) الانهضام : رقة البطن ولطف الكشح .

(٥) نضا : أي خلع ونزع . اللثام : ما كان على الأنف أو الفم من ثوب أو نقاب ، وتثنيته باعتبار الأنف والفم .

(٦) اللمى : سمرة في باطن الشفة . الخطي : الرمح المنسوب الى الخط وهو مرفأ للسفن بالبحرين حيث تباع فيه الرماح .

(٧) الخضر : الأخضر . الياس : مخفف اليأس وهو القنوط وقطع الأمل . =

عبثاً يقتُل أربابَ الهـوى ... لا يُبالي أحلالاً أم حراما ؟
يقتـل الصبَّ صُدوداً وقِلىً ... ثم يُحييـه التفاتاً وابتساما (١)
عَطِرُ الأنفاسِ يُغـني ثغرُهُ ... عَن تعاطي الكأسِ مَن رام المُداما
ريقه ماء حياةٍ من يذُقْ ... منـه لا بِدعَ إذا عاشَ دواما
خلتُ أن لو نضحوا منه ثرىً ... قبرِ هابيلَ لأحيـاه وقاما
فاق كلَّ الناس في الحسن كما ... أحمدٌ ـ دام عُلىً ـ فاق الـكراما (٢)
نجلُ درويشِ النّدى غيظُ العِدى
مَن تمطّى مِن ذُرى المجدِ السّناما (٣)
بَهِجُ الأخلاقِ ذو عزمٍ ندٍ ... فيُرى رَوضاً وبَرقاً وغَماما (٤)

= الموسى : آلة يحلق بها واضافتها إلى اللحظ من اضافة المشبه به إلى المشبه ، ومن البديع بمكان رفيع جمع الوحي مع موسى الـكليم وصاحبه الخضر ثم جمع الخضر مع شكل الياس ، ففي البيت توريات وتوجيهات .

(١) الصب : العاشق وذو الولع .

(٢) دام على : جملة دعائية .

(٣) درويش : والد الممدوح . الندى : الجود والفضل والخـير ، وفي اضافة درويش إلى الندى إشارة إلى أن والد الممدوح كان مغرماً بالجود فـكأن الندى شيخ مرشد ووالد الممدوح مريده ودرويشه . الغيظ : الغضب . تمطى : ركب ظهره . السنام : حدبة في ظهر البعير استعاره لذروة المجد .

(٤) بهج الأخلاق : أي حسنها . ند : أصله ندى ، يقال فلان ندي الـكف أي جواد . فشبه أخلاقه بالروض وعزمه بالبرق ونداه بالغمام .

مَن يُسالِمْهُ يجِدْهُ عَسَلا ... أو يُحارِبْ يَرَهُ الموتَ الزُّؤاما (١)
باسلٌ يحسِبُ ضوضاء الوغى ... صوتَ شادٍ ودَمَ القِرنِ مُداما (٢)
في مَكَرٍّ حَرِجٍ لستَ ترى ... فيه إلا جُثثاً صرعى وهاما (٣)
سارَ - إن سار - لواء الجود والـ ... ـمجدِ يوماً وأقاما إن أقاما
ذو مَضيفٍ حَسُنَتْ أفناؤه ... للبَرايا مُستقَرّاً ومُقاما (٤)
كم رَوَتْ يُمناهُ أخبارَ النَّدى ... لِمساكينَ وأسرى ويَتامى
عَن أبيه المُرتجى عَن أنسٍ ... عَن بني العباس مَن ساسوا الأناما
وبحُسنِ الرأي كم داهِيةٍ ... قد رأيناهُ جَلا فيها الظلاما
ما تَرى أنجز نَيلاً منه إن ... جئتَهُ يوماً ، ولا أرعى ذِماما (٥)
ماجدٌ فاقَ شيوخَ العصرِ في ... حَلْبَةِ الفخرِ وقد كانَ غلاما
فتراهُم خُشَّعاً أبصارُهم ... حَولَ ناديه قُعُوداً وقِياما
فهو كالبحرِ طَما تيّارُه ... وهُمُ كالصَّدفِ المُلقى رُكاما (٦)

---

(١) الزؤام : الكريه .

(٢) شاد : اسم فاعل من شدا ، يقال شدا المغنّي رفع صوته بالغناء . القرن : بالكسر نظيرك في الشجاعة ومن يقاومك .

(٣) المكر : بالفتح موضع الكر في القتال . الهام : جمع هامة وهو الرأس عطف على جثثاً .

(٤) الأفناء : جمع أفنية جمع فناء وهي الساحة أمام البيت .

(٥) الذمام : جمع ذمة وهي العهد .

(٦) طما : ارتفع .

مِن بني العباسِ بَسّامٌ إذا ... كالحُ الجدبِ كَسا الجَدَّ قَتاما (١)
كعبةُ الآمالِ أضحى في النَدى ... كَفَّهُ الرُكنَ ازدِحاماً واستلاما
كان عودُ الجودِ مُعوَجّاً فما ... زالَ في تقويمهِ حتى استقاما
يا عميدَ البصرةِ الفيحاءِ يا ... مَن سَقى جدواهُ غَوراً وأكاما
يا ابنَ عمِّ المصطفى يا خيرَ مَن ... مِن بَني العباس مَدعُوٌّ هُماما
لستُ في حُبِّكَ مَن يَطلُبُ لا ... وَحطيمِ البيتِ والحِجرِ حُطاما (٢)
يُعجِبُ الروضُ الفتى وهو وإن ... كانَ لا يرعى بهِ يوماً سَواما (٣)

ثم يشكو الأيام وجور الزمان ، ويلتمس من الشيخ أحمد العون على صروف الدهر ونوائبه فيقول :

فاستمع منّي ، وأقصى رغبتي ... في لُقَيّاك ولئن كان لِماما
لك أشكو - لا شكوتَ السوء - ما ... عاقني عن بابكم عاماً فعاما

(١) الكالح : الشديد ، يقال دهر كالح أي شديد . الجدب ضد الخصب . القتام : الغبار . الجد : بالفتح الحظ والرزق ، والاجتهاد في العمل ، أي انه بسّام في وجه الفقراء والمعدمين في سنة القحط والغلاء اذا أمطر الجدبُ الغبارَ على حظوظ الناس وأرزاقهم .

(٢) لا : تأكيد لقوله لستُ الحطيم : جدار حِجر الكعبة أو ما بين الركن وزمزم والمقام . الحجر : بالكسر ما حواه الحطيم المدار بالكعبة من جانب الشمال ، وقوله : وحطيم البيت والحجر : جملة قسمية . حُطاما : مفعول يطلب ، أي لستُ باظهار هذه المحبة في هذه القصيدة ممن يطلب الجائزة .

(٣) السَوام : الماشية والابل الراعية .

أثقلت ظهري بنات عِدّةٌ ... لم أُطق منها نهوضاً وقياما
وديونٌ بَهَظَتْني وحروبٌ ... عِظام أوهنتْ مني العظاما [1]
مع ما تعلم فيما بيننا ... مِن مَوام جوبُها يُعيي النعاما [2]
وركوب لبحارٍ جُمَّحٍ ... شُمُسٍ الأغمار لم تعرف لجاما [3]
موجُها عَضْبٌ به صال على ... راكبيها الحتفُ خلفاً وأماما [4]
فاقبلنْ - أفديك - عُذري مُعرضاً ... عن جهول عاب معذوراً ولاما
هاكها خُرعوبةً رُعْبُوبةً ... عَرفُها يحكي عَراراً وبَشاما [5]
بَضَّةً ما تحت مِرطَيها كما ... فتَقَ الغيثُ من الزَّهر الكِماما [6]

---

(١) بهظتني أي أثقلتني .

(٢) موام : جمع موماة المفازة الواسعة والفلاة التي لا ماء فيها ، أصله موامي حذفت الياء للتنوين . الجوب : مصدر جاب بمعنى قطع . يُعيي : من أعياه أي أتعبه .

(٣) الجمَّح : جمع جامح . الشُمس : انظر الى صحيفة ١٧١ . الأغمار : جمع غُمر وهو لجة البحر .

(٤) العضب : السيف القاطع .

(٥) ها كها : انظر الى صحيفة ١٩٩ ، وخرعوبة - وهي غصن سنة أو أقل - بالنصب حال من المفعول . الرعبوبة : جارية بيضاء حسنة . العرار : بهار ناعم أصفر طيب الرائحة والنرجس البري . البشام : شجر طيب الرائحة تتخذ عيدانه لاخراج ما دخل بين الاسنان من الطعام ، ثم ان الهاء الثانية في « ها كها » راجعة الى القصيدة المشبهة بالمرأة الناعمة ، ففيه استعارة مكنية واثبات المرط والتعثر في أذيالها الطويلة خجلاً وحياءً تخييل .

(٦) البضة : رقيقة الجلد ناعمة في سِمَن . المرط : ثوب من صوف أو =

أقبلتْ تَعثرُ في أذيالهـا خَجَلاً تُبدي حياءً واحتشاما
مِن بنات الكُرد تُسلي بَملَها عن بنات البدوِ دَلّاً وكلاما
فاجْلها هُنّيئتها ، بل هُنّيئتْ بك إن لاقتْ قَبولا واحتراما[1]
عش كما شئتَ وقد كنتَ لنا في خُطوب الدهر دِرعاً وحُساما
ما أجادت حاكةُ المنظوم في وَشيها المدح بَدءاً وختاما[2]

يبدو لنا من هاتين القصيدتين اللتين وجّهها البيتوشي الى الشيخ أحمد الكوازي انه كان معجباً به وبوالده الشيخ درويش ومحباً لهما ، وانه ذكرهما بما اتصفا به من سخاء وفضل ، وشهامة ونبل ، فكان في وفائه لهما ، والاعتراف بنعمتهما وأياديهما ، مبدعاً .

وللبيتوشي قطعة من قصة روائية شعرية ، كتبها بخطه ضمن مجموعته الخطية الموجودة في مكتبة باش أعيان بالبصرة . وهي هذه :

إن تسألوا عن حال هذا العبدِ يا سادتي بعدَ النّــوى والبُعدِ
فليستْ أمُ تسعةٍ مِن الولَدْ أبطالِ يومِالروع فيِنسجِالزَرَدْ[3]

= خز . الزهر : نَور النبات . الكمام جمع كِمّ وهو الغلاف الذي يحيط بالزهر فيستره ثم ينشق عنه ، أي انها شابة طرية ناعمة نهد ثدياها مثل زهر انشقّ عن اكمامه من أمطار الربيع .

(١) اجلها : فعل أمر من جَلا الزوجُ عروسَه هديةً أعطاها إياها وقت الزفاف .

(٢) الحاكةُ : جمع حائك . الوشيُ : نقش الثوب ، وختم القصيدة بلفظ الختام من المحسنات البديعية .

(٣) ليست : اسمها قوله : أُم تسعة ، وخبرها قوله الآتي ابرح في الشعر =

عِقبانِ أوكارِ ذُرى الشوامخِ ... مُعاقلٍ لكل طَـودٍ باذِخ (١)
أبادَ مكرُ الليلِ والنهـارِ ... وحادثاتُ الزمن الغدّارِ
مِن هؤلاء الأُسْدِ غيرَ واحدِ ... والأُمُّ تبكيهم بطرفٍ ساهدِ
صارتْ على التاسع منهم حاميَـه ... تـكلَـؤه في السرِّ والعلانِيه
عن نائبـاتِ الزمن العنيدِ ... وبائقاتِ القـدرِ العتيـدِ (٢)
إذ صارخٌ نادى بتلك الباديه ... يا لَرِجالِ حيِّنا للعاديَـه
فأقبلتْ خيـلُ الوغى سواعي ... قاصدةً لنحو صوتِ الداعي
قامَتْ تصُـكُّ صدرَها مُرتاعه ... خائفةً أحشـاؤها مُلتاعه (٣)
يا ولَدي بالرَّحِمِ الأنـاتا ! ... وهو يُنادي السيفَ والقنـاتا (٤)
فبينما واحـدُها كالأسَدِ ... يَهزُّ لدْناً في وَضينِ الزَرَدِ (٥)
يقُدُّ أبطـالاً بعَضْبٍ قاضِبِ ... غيرَ خؤونِ الحدِّ والمضارِبِ (٦)
إذ بانَ مِن تحتِ العَجاج فارسُ ... له ، لِلزباتِ الوَغى مُمارِسُ (٧)

= الأخير . الروع : الخوف والفزع . الزَرَد : الدرع .

(١) عِقبان : جمع عُقاب وهو طائر من الجوارح أعقف المخالب قويّها . الطود : الجبل العظيم . الباذخ : المرتفع .

(٢) بائقات : جمع بائقة وهي الداهية . العتيد : الحاضر المهيأ .

(٣) مرتاعة : أي خائفة . ملتاعة : أي محترقة من الهم .

(٤) الأناة : التمهل .

(٥) الوضين : المنسوج حلقتين حلقتين .

(٦) العضب : السيف القاطع . القاضب : القاطع .

(٧) الأزبات : جمع لزبة وهي الشدة .

فطـــالَ ما بينهما الطِعانُ   ومَلَّ حَدُّ السيفِ والسِّنانُ
حتىٰ أتاحَ القَدَرُ المعتوبُ   وبَخْسُ حظِ اُمِّهِ المكتوبُ
في نحرِهِ طعنَـةَ ذاكَ الباسِلِ   والمرءُ لا ينجو من الغَوائِلِ
لمّا أتى النـاعي بقتـــل الولَدِ   صاحَتْ عليه وهي حرَّى الكَبِدِ
فأمّتْ المَــكَرَّ تبتغيـــــه   فصادفَتْ مادعْ عَدُوِّي فيه
رأتْ عِتاقَ الطــيرِ والسِباعا   لم تُبقِ إلّا الدمَ والكُراعا (١)
أبرَحَ مِن عبدكُمُ تلهــفا   مِن بَعدِ بُعدِكم ولا تأسُّفا (٢)

رسائله الادبية

اشتهر البيتوشي برسائله البليغة التي كتبها إلى الادباء والامراء ، فقد أنشأ عشرات من الرسائل النادرة في الأدب العربي ، اشتملت كل واحدة منها على النظم والنثر والأمثال والحكم ، منها رسالته التي بعث بها من الاحساء إلى بغداد للعلامة (عبيدالله) بن صبغةالله الحيدري الماوراني سنة ١١٩٧ هـ ، والتي اشتهرت بين الادباء بـ (الرسالة العراقية) . فهي قطعة أدبية رائعة تحتوي على غُرر البيان ودُرره ، ومُلَح الأدب ونوادره ، وعلى جد القول وهزله ، ورقيق اللفظ وجزله ، وانني وإن أثبت منها في الأبواب السابقة بعض المقتطفات إلا أنه لا ضير في ذكرها هنا

(١) عتاق الطير : جوارحها . الكراع : من الانسان ما دون الركبة من مقدم الساق .

(٢) خبر ليس في قوله : فليست أُم تسعة الخ .

بحذافيرها ، تنويراً للقراء ، وصوناً لها من الضياع ، من حيث انها نادرة الوجود ، مع تشوّق كثير من الادباء للوقوف عليها ، نعم انها نشرت في الجزء العشرين من مجلة (اليقين) البغدادية للسنة الاولى بتأريخ ٢٠ شعبان ١٣٤١ المصادف ٧ نيسان ١٩٢٣ ولـكنها كانت محرفة وغير معربة ودون تعليق عليها ، على أنها تشير من طرف خفي الى شيء غير يسير من أحوال البيتوشي ، بل تعطينا صورة دقيقة لنواحي كثيرة من حياته ، وماجريات أحواله . عثرنا عليها في مجموعة خطية موجودة بمكتبة الملا عبد الله إمام الجامع الـكبير بالسليمانية ، وفي مجموعـــة خطية اخرى بمكتبة المرحوم الملا محمد الجلي بكويسنجق ، وفي المجموعة الخطية المرقمة [٨٨٠] بمكتبة الاستاذ المحامي السيد عباس العزاوي ، وفي مجاميع اخرى كثيرة . قال :

اني أحِنُّ الى العراقِ ولم أكن ... لا مِن رُصافته ولا مِن كرخه

لكنَّ في بغدادَ لي مَن قربُهُ ... أشهى إليّ من الشّباب وشرخه (١)

بأبي الذي شَوقي له شوقُ السقيـ ... ـم الى الشفاء أو الظّليم لفرخه (٢)

أو شوقُ أعرابيةٍ حنّتْ الى ... أطلالِ نجدٍ فارقَتْهُ ومَرخه (٣)

---

(١) شرخ الشباب : أوله .

(٢) الظليم : الذكر من النعام ، هكذا في النسخ الخطية الموجودة لدينا ، وأما في النسخة الخطية الموجودة في مكتبة المحامي بهاء الدين اليازجي بالموصل فهو هكذا :

شوقي له شوق السقيم إلى الشـــفا ● أو العديم إلى الثراء أو الظليم لفرخه

(٣) المرخ : شجر معروف في البادية .

قلبي أسيرٌ عنـــده دَنِفٌ فقُلْ   إن لم تَجُلَّ إسارَهُ فلْيُرخِهِ[1]

أهدي مِن التسليمات رِياضاً تفتّقَتْ مِن كِمام الوَلاء أزهارُها[2] ، وتدفّقتْ من ينابيع الوَفاء أنهارُها ، وسَجَعتْ بمحضِ الودادِ أطيارُها[3] ، ورقّتْ مِن رِقّة نسيم الإخلاص أصائِلُها وأسحارُها[4] ، ومِن التحيات قلائدَ نفائسَ بَهرَ النيّرَيْنِ لثلاَء دُرَرِها[5] ، وخرائدَ عرائسَ أنافتْ على الليـــل إذا عَسْعَسَ ، بِسَوادِ طُرَرِها[6] ، وعلى الصبح إذا تنفّسَ ، ببياض غُرَرِها[7] ، وعلى الشمس وضُحاها ، بواضح مُحيّاها ، ومن الأثنية ما لو مَسّهُ مُحرِمٌ لأوجبنا عليه الفِدا ، لأنه باشر طِيبا ، أو استنشقه مُقعَدٌ لَراحَ وغدا ، إذا أُوتِيَ من ماء

---

(١) الدنف : من لازمه المرض . الإسار : بالكسر ما يربط به الأسير .

(٢) الكمام : جمع كم وهو الغلاف الذي يحيط بالزهر فيستره ثم ينشق عنه .

(٣) الأطيار : جمع طائر .

(٤) الأصائل : جمع أصيل بمعنى الوقت بين العصر والمغرب .

(٥) ومن التحيات : عطف على قوله « من التسليمات » ، وكذلك قوله الآتي : « ومن الأثنية » وقوله : « من الأدعية » . القلائد : جمع قلادة وهي ما تجعل في العنق من الحلي والجواهر . النيّران : الشمس والقمر . لثلاَء دررها : أي لمعانها واشراقها .

(٦) الخرائد : جمع خريدة وهي بكر لم تمس . أنافتْ : أي فاقت . الطُرر : جمع طرّة وهي الناصية .

(٧) على الصبح : متعلق بقوله : « أنافت » وكذلك قـــوله : « على الشمس » .

الحياة نصيبا [١] ، ومن الأدعية ما هبّتْ عليه قَبولُ القبول [٢] ، وتكفَّلَ بحصول السُّؤل على الوجه المأمول [٣] ، إلى مَن رَبّتْهُ المكارمُ في حِجرها ، وغذّتْهُ مِن أفاويق دَرِّها [٤] ، حتى ترعرع وبَرَع [٥] ، ووردَ منهلَ الفضل وشَرَع ، فبَنى باعرابه عن مُضمراتِ الأحكام للدين قصراً مَشيداً ، وأطلقَ أعِنّةَ الأفكار في اقتناصِ الفوائد ، فقيَّد منها الأوابد ، ولله ذلك الاطلاقُ كيف صار تقييدا [٦] ، وتعاطى ذَروةَ سنامِ المعالي فتمطّاها [٧] ، ورمى الشوارِدَ عن قِسِيِّ الإصابة فما أخطاها [٨] ، وقَفَتْ منهاجَه فُضَلاء عصره ، ومَشَتْ

---

(١) المُقعد : المصاب بداء القعاد .

(٢) القبولِ الأولِ نقيض الدَّبور من الرياح ، والثاني من قَبِل اللهُ الدعاءَ . وكلاهما بالفتح .

(٣) السؤل : الشيء المسؤول .

(٤) الأفاويق : جمع أفواق ، جمع فيقة وهي اللبن يجتمع في الضرع بين الحلبتين .

(٥) ترعرع : أي بلغ أوان حسن شبابه . برَع : أي بارع في البراعة أي البلاغة .

(٦) اقتناص الفوائد : اصطيادها . الأوابد : المعاني الحوشية التي تنفر عن الادراك . ولله : كلمة يؤتى بها عند إرادة التفخيم أو التهويل أو اظهار العجز عن القيام بواجب ما يُذكر فيضيفه المتكلم إلى الله .

(٧) فتمطّاها : أي ركبها .

(٨) الشوارد : المسائل الوحشية الغريبة . القِسيُّ : جمع قوس ، وهو آلة على شكل نصف دائرة ترمى بها السهام .

أدراجه نُبَـلاءُ مِصرِه [١]، فهو مَجازُهم إلى كلّ حقيقه، وقطبُهم الذي تَدورُ عليه رَحىً كل دقيقه، والبليغُ الكاسي حُوشِيَّ الكلامِ طَلاوةَ المألوفِ مِن حَلاوةِ خطابِه.

كالنحلِ يَجني المُرَّ مِن زَهرِ الرُبا فيصيرُ شَهداً في طريقِ رُضابِه [٢]

والعَضْبُ الذي لا يُفَلُّ [٣]، والبعضُ الذي حوى الكُلَّ بلا كَلّ [٤]،

جامعُ أشتاتِ علومِ الورى فاستَشْهِدَنْ أقلامَهُ تَشْهَدِ
وما على اللهِ بمُسْتَنْكَرٍ أنْ يجمعَ العالَمَ في مُفرَدِ
كما حوى كُلَّ حروفِ الهجا بيتٌ قصيرٌ فاستَمِع واعدُدِ [٥]
جاحِظُ فضلٍ غوثُ مُسْتَصرِخٍ هَشٌّ ذكيٌّ قطبُ عِزٍّ نَدِ [٦]

رابطةُ نظامِ العقيدةِ الأشعريّة، وواسطةُ القِلادةِ الجوهرية الحيدريةِ [٧]،

---

(١) الأدراج: الطرق. النُبلاء: جمع نبيل وهو الذكي النجيب.

(٢) الرضاب: بالضم الريق ما دام في الفم.

(٣) العضب: السيف القاطع. لا يفلّ: لا ينكسر.

(٤) الكُل: بالضم بمعنى الجميع، أي حوى جميع الصفات الحسنة. الكَل: بالفتح التعب والمشقة.

(٥) أُعدُدِ: أي أُعدد من البيت حروف الهجاء واحداً واحداً.

(٦) الجاحظ: هو لقب عمرو بن بحر من رؤساء المعتزلة، ولد بالبصرة سنة ١٦٣ ومات بها سنة ٢٥٥ هـ، له تصانيف كثيرة. الهش: سهل الجانب فيما يُطلب لديه من الحوائج. ند: أصله ندى أُعل فيه اعلال قاضي، يقال فلان ندي الكف بالتخفيف والتشديد أي سخي. يريد أن الممدوح جامع لكل الصفات الحميدة المتفرقة في العالم. كما جمع هذا البيت جميع حروف الهجاء.

(٧) الحيدري: أي العلماء الحيدرية نسبة إلى حيدر جدّ الممدوح.

التي صيغَتْ بيدِ الأقدار على أتقنِ صيغه [1] ، وصُبِغَتْ مِن صِبغةِ اللهِ بأحسن صِبغه ، وروى حديثَ قديمِ شرفِها الأعلام [2] ، بأقلام الألسِنَة وألسنة الأقلام ، وطار صيتُها مَدى دهرٍ لا شهر ، وازدهَتْ بها ماوَرانُ على ما وراء النهر [3] ، لِما تضمَّنتهُ من كل حَبرٍ بحِبَر الفضائلِ مُشتمِل [4] ، وبحرٍ تُضرَبُ إلى عَذبِ شرائعه أكبادُ الإبل [5] ، فهم الذين جُبِلوا على حُسن الشيَم ، وطُبِعوا على طيبِ الخِيَم [6] ، حتى فاحَ عبيرُ أخلاقِهم في كلّ ناد ، وغنّى الحادي ، بما لديهم مِن الأيادي ، في كلّ واد [7] ،

---

(١) التي صيغت : صفة القلادة .

(٢) الأعلام : فاعل روى ، وهو جمع علم بمعنى الجبل ، أي العلماء البارزون ، وفي الجمع بين الحديث والقديم من صفة الطباق وفي الفقرة التي تليها رد العجز على الصدر .

(٣) ازدهت : افتخرت . ماوران : قرية من قرى الأكراد . ما وراء النهر : هي تركستان الروسية اليوم ، وكان قد نبغ فيها علماء وأئمة في كل علم وفن .

(٤) الحِبرْ : بالفتح والكسر العالم النحرير . الحِبَر : كعنب جمع حبرة لنوع من بُرد اليمن ، وفيه جناس محرف .

(٥) تُضربُ الخ : أي يُرحل اليه في طلب العلم وغيره .

(٦) الخيم : على وزن شيم جمع خيمة لا غير ، وهو بهذا المعنى غير ملائم وبمعنى الطبيعة والسجية ملائم غير أن ياءه ساكنة فلا تستقيم القافية ، اللهم إلا أن يقال بأنه كنى بطيب الخيم عن طيب الأصل .

(٧) الحادي : الذي يسوق الابل ويغني لها . الأيادي : جمع أيدٍ جمع =

قد كادَ مِن كَرَمِ الطِباعِ وَليدُهم يَهبُ التمائمَ ليلةَ الميلادِ
وإذا امتطى مهداً فليس يُنيمُه إلّا نشيدُ مَدائحِ الأجدادِ (١)

ما رُفعتْ رايةٌ من المعالي ونُوديَ مَن لها إلّا كانوا أحقّ بها وأهلها ، فَلْيُنْشِدْ مَن أرادَ مِن ابكار أفكاري إعلانا ، ولا يُبالي بمَن شكى قلبُه مِن داءِ الحسدِ نيرانا ،

كلُّ حُرٍّ في فضلِهِ عبدُ رقٍّ لِمَوالٍ تَدَيَّرُوا ماوَرانا (٢)
وأقرُّوا لهم سِوى مَن هَواهُ تَرَكَ القلبَ منه أعمى ورانا (٣)
كم شَفَوا بالعلومِ منّا صدوراً كان فيها من جهلنا ما ورانا (٤)
سُئِلوا هَل وَراءكم مِن مَرامٍ لِمُريدٍ فقيل لا ، ما وَرانا (٥)

= يد فهو جمع الجمع . واليد أصل في الجارحة ، وتطلق على النعمة وهي المراد ههنا .

(١) امتطى مهداً : ركبه .

(٢) كل حرّ : مبتدأ وعبد رق : خبره ، وجملة الأبيات مفعول ينشد . الموالي : جمع مَولى وهو السيد . تدبّروا الخ : أي اتخذوها داراً ، وماوران : قرية الممدوح وأجداده .

(٣) أي يعترف لهم كل حُرّ بكل فضل سوى الحاسد الذي ترك الهوى قلبه أعمى . رانا : من قولهم ران على قلبه الذنب اذا غشيه وغطاه .

(٤) منّا : مِن زائدة ، وفي « الصدور » مجاز مرسل أي القلوب . ما ورانا : ما موصولة أو موصوفة . ورانا . أي أفسدنا ، من قولهم : ورى القيحُ جوفه إذا أفسده .

(٥) سُئلوا : بصيغة المبني للمجهول والضمير للموالي ، أو بصيغة المبني للفاعل والضمير للأحرار . ماورانا : ما نافية وتأكيد لـ « لا » ، أي ليس مرامٌ بعدَنا ، وفي هذه القوافي جناس ملفق .

أعني به شمسَ المعارف المشرقة في الآفاق ، شيخَ مشايخ العراق ، على الاطلاق العلاّمة الذي أصبح العلمُ منه مُتقلِداً بالصارمِ الهندي(١) ، حضرةَ سيدِنا المكرّم عُبيد الله بن صبغةِ الله أفندي ، أسألُ اللهَ الذي جلّتْ أسماؤه وأفعالُه ، وتنزّهتْ عن صِمةِ الحروفِ والألفاظِ كلماتُه وأقوالُه(٢) ، أن لا يزالَ ذلك العَلَمُ المفردُ مُنادىً لدفع المُعضِلاتِ ، مُستغاثاً به في حلّ المُشكلات ، مُصغَّراً بالنسبة اليه ، والاضافةِ إلى ما لديه ، من غزارةِ الفهم ، البحرُ الخِضَمّ(٣) ، مُمَيَّزاً باختصاصه بين الجموع بالتفوُّق والتبريز(٤) ، مكسوراً ضدُّه ، مرفوعاً في خفضٍ من العيش مجدُه ، منصوباً على ذلك التمييز ، مُرَفَّهاً حالُه ، مُنصرفاً بالُه ، على ما فيه من العدلِ والمعرفةِ(٥) ، عن اشتغاله بالتنازُع على الدنيا المتزخرِفة .

وبعدُ فإنّي مُذ طوّحتْ بي طوائحُ الاغتراب(٦) ، وأنأتني عن شرف تلكَ الأعتاب(٧) ، لم يَزل الدهرُ يَرمُقني شزْرا(٨) ، ويَلحظني

---

(١) متقداً الخ : كناية عن حدة الذكاء .

(٢) الصِمة : من الوصم وهو العيب .

(٣) البحر الخضم : أي الغزير .

(٤) التبريز : من برّزَ على أقرانه أي فاقهم .

(٥) العدل والمعرفة : أي العدالة والعرفان .

(٦) طوّحت : أي قذفتْ .

(٧) أنأتني : أي أبعدتني .

(٨) يرمقني شزراً : أي ينظر إليّ مُبغضاً .

خَزْرا (١) ، ويُوسِمُني هُجْراً وهَجْرا (٢) ، ويُعطيني غارِبَ كلِّ هَجين (٣) ، ويُنيخُ بي على كلِّ وَجين (٤) ، لا أسري منه إلا في داجٍ داجِن (٥) ، ولا أردُ إلا على آجِن (٦) ، يَسومُني خُطّةَ الأذى (٧) ، ويَقلاني قِلى المقلةِ للقَذى (٨) ، لكنّه مع ذلك يُزاوِلُ مِنّي فتىً شديدَ الشكيمةِ أبيّا (٩) ، ويَرعى مِنّي مرعىً وَبيّا (١٠) ، ويستَمري مِنّي دماً عَصيّا (١١) ، ويخوضُ مِنّي غَمرةَ الدأماء (١٢) ، ويُزاحِمُ مِنّي صخرةً صَمّاء ، لا يتعثّرُ مِنّي إلّا بحَدِّ صارمٍ قضيب (١٣) ، ولا يعجُمُ مِنّي غيرَ عُودٍ على نابٍ

(١) يلحظني خزراً : أي ينظر إليّ بمؤخر عينه .

(٢) هُجراً وهَجراً : بالضم القبيح من الكلام ، وبالفتح المباعدة .

(٣) يُعطيني : أي يُركِبني . الغارب : الكاهل . الهجين : من الخيل غير الأصيل .

(٤) الوَجين : ما خشُنَ من الأرض .

(٥) الداج والداجن : كلاهما بمعنى المظلم .

(٦) الآجن : الماء المنتن من طول المكث كالآسن .

(٧) يسومُني : أي يدفعني كُرهاً .

(٨) المقلة : شحمة العين . القذى : ما يقع في العين .

(٩) الشكيمة : من اللجام الحديدة المعترضة في فم الفرس ، وشديد الشكيمة أي أنوف أبيّ لا ينقاد .

(١٠) الوبي : الوخيم .

(١١) يستمري : أي يستخرج ويستدرّ .

(١٢) الدأماء : البحر .

(١٣) يتعثّر : من عثر به الدهر عثاراً جار عليه وغدر به . القضيب : القاطع .

الزمان صليب [1] ، لم يحملني - ولله الحمد - تصريفه لأحوالي ، وإعلاله لآمالي ، على ابتذالي ، بالتملّقِ إلى والي ، حياءً مِن قولي الذي شرَّقتْ به الرُّكبانُ وغرَّبوا [2] ، وأطربَ أُولي الألبابِ لمّا صعَّدوا النظر فيه وصوَّبوا [3] ،

لا تمدُدَنْ يداً يوماً لأخذِ يدِ
وإنْ أضرَّتْ بكَ اللأواء والنُّوَبُ [4]

فالصبرُ صبرٌ على مَنِّ الرجالِ ولو
أربى على المنِّ والسَّلوى الذي وهبوا [5]

على أن التعفُّفَ كان دابي ، وأجملَ ثيابي ، قبلَ أنْ أطويَ بُردَ شبابي ، فكيف وليلُ الشبابِ إنقضى ، وصبحُ المشيب أضا ،

إذا الفتى ذمَّ عيشاً في شبيبته
فما يقولُ إذا عصرُ الشبابِ مضى ؟

بل كنتُ مما شاهدتُ مِن تقلُّب الزمانِ بينَ قالَبي البرد والحرّ ،

---

(١) يعجمُ : كينصرُ من عجَمَ العود اذا عضّه ليعرف أرخوٌ هو أم صلب ؟

(٢) شرّقتْ الخ : أي اتجهت به الركبان إلى الشرق والغرب .

(٣) صعّدوا النظر : يقال صعّد النظر اذا نظر إلى فوق وصوّب النظر إذا نظر إلى تحت .

(٤) اليد : النعمة . اللأواء : الشدائد . النوَب : جمع نائبة بمعنى نازلة الدهر .

(٥) فالصبر الثاني هو العقار المعروف مخفف صَبِرٍ ككَتِف . أربى : أي زاد .

وتبدّ له من الشرّ إلى الخير ومن الخير إلى الشرّ ، مُغتبطاً بالغنا (١) ، إغتباطَ المُثري بالغِنى ، وأجتني مِن غُصون المنايا ثمارَ المُنى (٢) ، إقتفاء لأسلافٍ كان ذلك سيماهم ، وقليلٌ ما هُم ، وانّي في أثناء ذلك - جنّبَ اللهُ سيّديَ المهالك ، وسلكَ به إلى رضوانه أحسنَ المسالِك - لم آلُ في اقتناء علم الأدب (٣) ، وتتبُّع خفايا كلام العرب ، فقطعتُ من تلك الفنون الشجْراء والمرْداء (٤) ، وطويتُ منها الآهِلَ والبيْداء (٥) ، ولم أترك منها مَورداً إلّا وعرّستُ عليه (٦) ، ولا طَلَلاً إلّا وحثْحثْتُ رِكابي اليه (٧) ، حتى صار الأدبُ حَشْوَ إهابي ، ومِلْءَ جِرابي (٨) ، فطَفِقْتُ أصوغُ مِن الغزَل والتشبيب ما تغنّي به الغواني في سَهَواتِها (٩) ، ومن الوَعظِ ما ترفضُّ منه مآقي العُبّاد في خلواتها ، ومن رقيق

(١) مغتبطاً : خبر كان ، أي مسروراً .

(٢) المنايا : جمع منية وهي الموت . المُنى : المقصد ، وبين الكلمتين جناس محرف مذيل .

(٣) لم آلُ : مِن ألا يألوا ألواً في الأمر قصّر وأبطأ .

(٤) الشجراء : أرض ذات شجر . المرداء : الخالية .

(٥) الآهل : المكان الذي به أهل . البيداء : البادية .

(٦) التعريس : نزول المسافر آخر الليل للاستراحة .

(٧) الطلل : البقايا الشاخصة من آثار الديار . حثثت : أي وجّهت .

(٨) الإهاب : الجلد . الجراب : وعاء من جلد .

(٩) التشبيب : ذكر أيام الشباب . الغواني : جمع غانية وهي المرأة الغنية بجمالها عن الحلي . السهوة : منزل تختلي فيه المرأة بامورها .

المديح ما تندى له صفاةُ الشحيح [1] ، ومن الهزل والمجون [2] ، ما يطربُ له العاقلُ والمجنون ، كما قلتُ ملتزماً فيه ما لا يلزمُ من القوافي [3] ، مُجيداً منه القوادمَ والخوافي [4] :

وكم من قليبٍ خضخضتهُ دلاؤنا
فعادَ نميراً بعدما كانَ آجنا [5]

وليلٍ قدحنا فيه زندَ احتيالنا
فصار مُنيراً بعدما كان داجنا [6]

ولمّا رأيتُ الجِدَّ لم يُجدِ طائلاً
برزتُ ولم أحفِلْ بما قيلَ ماجنا [7]

تراني أبيعُ اللؤلؤ الرطبَ ساعةً
وسودَ برامٍ ساعةً ومَعاجنا [8]

---

(١) تندى : من نديَ الشيء يندى بمعنى ابتلّ . الصفاة : واحدة الصفا وهو الحجر الصلد الضخم الأملس ، ومن أمثال العرب في الشحيح قولهم : « فلان لا تندى صفاته » أي انه بخيل .

(٢) المجون : مصدر من مجن بمعنى صلب ، والماجن مَنْ لا يُبالي قولاً وفعلاً كأنه صلب الوجه .

(٣) ما لا يلزم : لأنه إلتزم فيها حرف الجيم قبل حرف الروي وهو (النون) وذلك غير لازم .

(٤) القوادم : جمع قادمة وهي أربع أو عشر ريشات في مقدم الجناح . الخوافي : ريشات اذا ضم الطائر جناحه خفيت .

(٥) القليب : البئر . خضخضته : حرّكته . الدِلاء : جمع دلو . النمير : الطيب من الماء . الآجن الماء المتغير .

(٦) الزند : العود الأعلى يقتدح به النار . الداجن : المظلم .

(٧) لم أحفلْ : أي لم أُبال ولم أهتم . الماجن : قليل الحياء .

(٨) البرام : جمع بُرمة وهي القدر من الحجر ، وسود برام من اضافة =

لَحَى اللهُ دهراً لم يزَلْ فِيَّ مُنْشِباً ... ليأليه مِن كل الجهات مَحاجِنا [1]

ومِن كثرة شغفي في البُكر والأصائِل [2] ، بارْتشافِ رُضابِ الطَّلِ مِن ثغور أقاحي تلك الخمائِل [3] ، ووفرة كَلَفي بالمَقيل [4] ، في سَجْسَجِ ظِلّها الظَّليل [5] ، كنتُ أتنكّبُ [6] ، عن صُحبةِ من لا يدأبْ [7] ، في اجتناء ثمرة الأدب ، ولا يتعلّقُ مِن أهدابه

= الصفة الى الموصوف . المعاجن : جمع مِعجن لما يعجن فيه ، أي تراني تارة أبيع أشياء غالية كاللؤلؤ ، وتارة أشياء وضيعة كالبرمة والمعجن ، يريد أنه يضع نفسه تارة في موضع العظيم وتارة في موضع الوضيع .

(١) لحاه : أي قشر لحاءه . منشبا : اسم فاعل أي معلقاً ، ولياليي مفعول لمنشباً ومَحاجنا حال ، وهي جمع محجن وهو العصا المنعطفة الرأس ، أي ينشب في لياليه كالمخالب .

(٢) من كثرة : متعلق بقوله الآتي « كنت أتنكب » . البُكر : جمع بكرة وهي أول النهار . الأصائل : جمع أصيل بمعنى الوقت بين العصر والمغرب .

(٣) الارتشاف : من رشف الماء مَصَّهُ . الطل : الندى ، واضافة الرضاب اليه من اضافة المشبه به الى المشبه ، أي الطل الذي في الأزهار بين الأوراد والرياحين كالرضاب في فم الأحبة . الأقاحي : جمع اقحوان وهو نبات أوراق زهره مفلجة صغيرة يشبهون به الأسنان . الخمائل : جمع خميلة وهي الموضع الكثير الأزهار .

(٤) الكلف : الحب والولع . المقيل : موضع الاستراحة والقيلولة في الظهيرة .

(٥) السجسج : الهواء المعتدل كالذي بين الفجر وطلوع الشمس .

(٦) أتنكب : أي أعدل وأعرض .

(٧) لا يدأب : أي لا يسعى دائماً .

بِهَدَبٍ [١] ، ولو أناف في التصوّف على الجُنيد [٢] ، وفي التقشّف على عمرو بنِ عُبيد [٣] ، ظنّاً منّي أنه مِن أمنع المعاقل للعاقِل [٤] ، وأوثق الوسائل الى النائل ، إغتراراً بقول القائل :

لا تيأسنّ إذا ما كنتَ ذا أدبٍ على خمولِكَ أن ترقى الى الفلَكِ
بينا ترى الذهبَ الإبريزَ مُطَّرَحاً في التربِ إذ صارَ إكليلاً على الملِكِ [٥]

بَيْدَ أني كلما زدتُ في ذلك ارتفاعاً ، زاد حظّي نقصاً واتّضاعاً ، كما قلت فيما بثثتُ فيه شجوني [٦] ، قبلَ أن يطلع فجرُ المشيب مِن ليالي قُروني :

حتى متى أرقى المعالي ولا أبرحُ من دهريَ في الهون [٧]

---

(١) الهدب : الغصن .

(٢) أناف : أي فاق . الجنيد : هو أبو القاسم الجنيد محمد بن الجنيد البغدادي صوفي من العلماء بالدين ، ولد في بغداد وتوفي بها سنة ٢٩٧ هـ .

(٣) عمرو بن عبيد : هو معتزلي متنسك ، اشتهر بعلمه وزهده ، وفيه قال المنصور : « كلكم يمشي رُوَيد ، كلكم يطلب صيد ، غير عمرو بن عبيد » له رسائل وخطب كثيرة ، ولد بالبصرة سنة [٨٠] وتوفي بمران قرب مكة سنة ١٤٤ هـ ورثاه المنصور .

(٤) المعاقل : الحصون .

(٥) الابريز : الخالص . الاكليل : التاج .

(٦) فيما الخ : أي في الشعر الذي اذعت ونشرت فيه شجوني وأحزاني .

(٧) الهون : الخزي ، وفي التنزيل [فأخذتهم صاعقة العذاب الهون] أي ذو الخزي .

أعلو ورأسي في انتكاسٍ إلى سُفلٍ كأنّي (بيدُ مجنون)[1]

وأصبحتْ الليالي تشنُّ عليَّ الغارة بعد الغارة ، وتتلعّبُ بي تلعُّبَ السنّور بالفارة ، فأيقنتُ أن ذلك عقوبةُ ما كسبت يداي ، وانه من شؤم أدبي الذي كان غايةَ مبتغاي ، فصارَ فيَّ زيادة ، أورثتْني في العيون زَهادة[2] ، وليتها كانت كالزيادة في الآن[3] ، إن لم تُكسبه تعريفاً فهو من تنكيرها في أمان ، أو كواو عمروٍ إن لم تفده في المعنى حظّاً ، لم تزده الثقلَ لفظاً ، بل كانت لي كياء التصغير ، الكاسية ذويها ثوبَ التحقير ، أو هاء صَيارِفة ، التي صارت لها صارفة[4] ، وفعيلةٍ لولا

(١) بيد مجنون : اسم شجرة كلما ارتفعت زادت أهدابها تدلياً الى الأرض لينها ، وهي نوع من الخلاف ، وبيد مجنون كلمة أعجمية ، مركبة من الفارسية والعربية .

(٢) الزّهادة : مصدر كالزهد بمعنى الاعراض عن الشيء احتقاراً له في قولهم : شيء زهيد ، أي قليل ، والمراد به الحقارة .

(٣) الآن : يعني ان الزيادة في الآن - وهي أل - لم تفده تعريفاً ولا تنكيراً . وقال النحاة : إن الآن مبني لتضمنه أل المعرفة أي إن تعريفه بلام مقدرة ، وأما أل الملفوظة فيه فهي زائدة ، وإنما كانت زائدة لأن شرط المعرفة أن تدخل على النكرات فتعرّفها ، والآن لم يسمع مجرداً عنها فهي زائدة لازمة ، وهو الذي عنى البيتوشي بقوله ملغزاً في كتابه « صرف العناية » :

ما كلمة قد عرّفتْ بأل ، وأل زائدة فيها ؟ وهذا عجب

فبادر الآن الى جوابه لا زال معزوّاً اليك الأدب

(٤) أو هاء صيارفة الخ : فان صيارف وكذلك كل صيغ منتهى الجمع =

زيادة هائها ، لما رُزِئتْ في النَسب بحذفِ يائها [1] ، والعربُ تُجاهِر ، بالدُعاء على كل ماهر ، فتقول المِقدام المِطعان : وَيْـلُمِّهِ ما أشجعه !! [2] ، وللشاعر المُجيد : قاتله الله ما أبدعه !! ، ولِأمرٍ مّا ترعى الصَعوةُ لطائفَ الأزهار [3] ، وترِدُ حيثما أرادتْ من الأنهار ، والهَزارُ في ضيق قفصه [4] ، يشكو مضَضَ غُصصه [5] ، ورحم الله العلامة التفتازاني ، حيثُ يقول وازناً بصنجة ميزاني :

طويتُ بإحراز الفنون وكسبها ردَاء شبابي والجنونُ فنونُ !
وحين تعاطيتُ الفنون ونلتُها تبيّن لي أن الفنون جنونُ

ومع ذلك لم التفت يَمْنةً ولا يَسْرة ، إلا وأرى ما يزيدني حسرة ،

= كصياقل غير منصرف لثقله وتفرده دون غيره في الجموع لأنه لا نظير له في المفردات ، فاذا لحقت الهاء بآخرها ينصرف لأنها صيرته على وزن المفردات ككراهية ورفاهية فيزول الثقل الذي كان له .

(١) وفعيلة : بالجر عطف على صيارفة ، أي كهاء فعيلة لولا زيادة هائها الخ فانه يقال : في النسبة إلى حنيف حنيفي ، وأما في النسبة إلى حنيفة فيقال حنفيّ بحذف الياء لوجود الهاء .

(٢) ويلمّه : كلمة مركبة أصلها ويلُ أُمّه ، وأصل معناها الدعاء على الشخص ، ثم استعملت في التعجب والاستحسان مثل قاتله الله .

(٣) الصعوة : طائر صغير الجثة .

(٤) الهزار : بفتح الهاء نوع من البلابل .

(٥) المضض : وجع المصيبة .

مِن تقلُّب أغنياء أغبياء كالنَعَم ، في بُلَهنية النِعَم [1] ، وتصرُّفِ البُغاثِ المستنسرة [2] ، في الرياضِ النَضِرة ، واختيالِ أهلِ الفِرى [3] ، في نفائِس الفِرا [4] ، على أنهم يتيهون بالمال ، على أهل الكمال ، وقد تاهوا في تِيْهِهم ذاك تَيْها [5] ، ولم يشعروا أن النتيجة لا تتبع إلّا أخسّ مقدمتيْها ، والدهرُ مع الأنام كالميزان ، لا يرفع غيرَ صاحب النقصان .

فلما لم تزد عليّ أنائبُ النوائب إلّا حدّة [6] ، ومخالبُ المصائب إلّا شدّة ، ألجأتني الأيامُ الضُبْرُ ، إلى مُسالمة الدهر ، فاستسلمتُ له استسلامَ العاجز ، بعدما كانت قناتي لا تلينُ لغامز [7] ، وقلتُ للأدبِ ارْحَلْ عني ركابَ البيْن ، واجعل بَيني وبيَنكَ بُعدَ المشرقَين ، تبًّا لكَ مِن صارمٍ أكلَ بحدّه [8] ، جُثمانَ غِمدِه ، وثمرٍ عرّضَ

---

(١) بلهنية النِعم : سعتها ورخاؤها .

(٢) البِغاث : بالتثليث ضعاف الطيور . المستنسرة : المدعية انفسها فتاكة النسر .

(٣) الفِرى : جمع فِرية بمعنى الكذب واختلاقه .

(٤) الفِرا : أصله فِراء جمع فرو وهو لباس كالجبة يُبطن بجلود بعض الحيوانات ، كالأرنب والسمّور .

(٥) التيه : بالكسر التكبر وبالفتح التحير وضلال الطريق .

(٦) الأنائب : جمع أنياب جمع ناب كتبت ياؤه همزة بقاعدة صائن وبائع .

(٧) القناة : قصبة الرمح . الغامز : من يحاول غمز القناة وتقويمها .

(٨) تبا لك : أي ألزمك الله خسرانا وهلاكا .

أشجارَه ، للرّجم بالحجاره ، وأصالةِ رأيٍ ساقَتْني إلى الخَطَـل[1] ، وحليةِ فَضلٍ شانَتْني لدى العُطَل[2] :

وَهَبكَ كالشمس في حُسنٍ ، ألم تَرَنا
نَفِرُّ منها إذا مالَتْ إلى الضرر ؟

لا جَرَمَ أني انتظمتُ إستمالةً لخاطر الدهر في سِلكِ أغمارِ الناس[3] ، وطَويتُ كشحي عَن مُداناة الأكْياس[4] ، وفررت عن تلك المناهل والموارد ، فِرارَ الظلِّ عن الشمس ، وأقوتْ عني تلك المنازلُ والمعاهد ، حتى كأنْ لم تَغنَ بالأمس[5] ، وجلبتُ دواوينَ الأدب الى سوق الكَرَب[6] ، واتخذتُ من التغابي جلباباً[7] ، وفتحتُ عليّ من الفهاهة أبواباً[8] ، وأرَيتُ أنّي أرى الصوابَ خَطأً والخطأ صواباً ، إقتداءً بأديب مَعَرّةِ النُّعمان أبي العلاء أحمدَ بنِ سليمان ، حيثُ يقول

---

(١) الخطل : الحمق .

(٢) شانتني: من شانه ضد زانه . العُطل : بالضم من لا حلي عليه كالمعطال .

(٣) الأغمار : جمع غمر ، بمنى عامة الناس .

(٤) الكشح : الجنب . الأكياس : جمع كيّس بمعنى العاقل النشيط .

(٥) أقوت : أي خلت .

(٦) الكرب : أصول السعف الغلاظ ، والمراد أنه جلب دواوين الأدب إلى سوق الأشياء التافهة .

(٧) التغابي : إظهار الغباوة .

(٨) الفهاهة : العي والوهن .

- وقد رشقته سهامُ الزمان (١) - :

ولمّا رأيتُ الجهلَ في الناس فاشياً تجاهلتُ حتى ظُنَّ أنيَ جاهلُ
فواعجباً كم يدّعي الفضلَ ناقصٌ ووا أسفاً كم يُظهرُ النقصَ فاضلُ

وكنتُ إذا سمعتُ مُعرِباً في مجالس الألِبّا (٢) ، يقولُ زيد مجرورٌ بالبا ، أتباكى وأقول : ويحَ ذلك الفتى ، أينَ جُرّ ومتى ؟ ، وما الذي جُرّ لأجله ؟ ، وما البا ؟ وهل يُجرُّ المرء إلّا بنحو يده أو رجله ؟ ، أو رأيته يقول : عمروٌ مرفوعٌ أنباشرُ وأقول : لعلّ ذلك الشيطان ، مرفوع إلى السُلطان ، فلقد كان كأبيه فلان ، مُفسداً في الأوطان ، مُتسوّراً للحيطان ، وربّما أخذني ذلك المُعرِبُ بحلمه ، وأدناني ليُفيدَني مِن عِلمه ، فعلّمني معنى الرّفع ، وبيّن لي ما يُقصَدُ به في ذلك الوَضع ، فأقول : فما لنا لا نقرأ في بيوت أذن الله أن تُرفَع ، برفع بيوت ، وهل بعد اذنِ اللهِ لرِفعها مِن دفع ؟ ، وهل لنا بينَ الرفعين ، فارقٌ يرفع الأشكال مِن البين ؟ ، فيقولُ نعَم لنا بينهما فرقٌ قوي ، ذلك اصطلاحيٌّ وهذا لغوي ، فأقول : والله يا هذا لقد أطلتَ الهِراش ، حتى كثر الظِّباء على خراش (٣) ، هلّا كسرتَ مِن (فرقِ) الفاء ، وفتحتَ من (لغوي)

---

(١) رشقته : أي رمته .

(٢) الألِبّا : جمع لبيب بمعنى العاقل الظريف ، حذفت الهمزة لمراعاة السجع.

(٣) كثر الظباء الخ : هو من قول الشاعر :

تكاثرت الظباء على خراشٍ فما يدري خراشٌ ما يصيدُ ؟

والمعنى انك أطلتَ الجدال حتى كثُرت سقطاتك فلا أدري ما الذي ابدأ =

اللام ، اتسلّمَ من حمة الملام (١) ، ألم تقرأ في الكتاب المستبين ؟ « كلّ فرقٍ كالطود العظيم ، وانكَ اغويٌّ مبين ، فتضحك منّي تلك الطَلَبة ، ويقولون لله أنتَ ما أظرفَ جهْلَكَ وأعذبه ؟ ، وتاللهِ إنك بطُرق الجهالة ، أعلمُ من الشافعيّ بمسائل الرسالة (٢) ، وفي السلوك إلى الخَطا ، أهدى من القطا ، وانكَ لَأحلى فُكاهة ، لمجالسِ السفاهة ، ودمتُ على هذا النهج ، آتي أهلَ العصر من كلّ فجّ ، وأتقلّبُ بينهم بتقاليب ، وأتنكّرُ عليهم في أساليب ، حتى سكَنَتْ عني تلك المَزاهِرُ والزعازع (٣) ، وصافاني المُقاذِعُ لي قبلُ والمُنازع (٤) ، وهَشّتْ ليَ الليالي بعدَ اكفهرارها (٥) ، وتوطّأتْ ليَ الأيامُ بعد اشمخرارِها (٦) ، وانتبه طَرفُ حظّي بعد طولِ النُعاس ، ودَرّتْ عليّ أخلافُ النِعَمِ من غير إبساس (٧) ، فصِرتُ من يُمن التغابي والتعامي ، لا تخطىء سِهامي

= به منها بالرد . خراش : اسم رجل . الهراش : الخصام .

(١) الحُمة : بالضم والتخفيف السمّ .

(٢) الرسالة : هي كتاب للشافعي رضي الله عنه .

(٣) المزاهز : الاضطراب والتحير . الزعازع جمع زعزع والمراد بها الشدائد .

(٤) المقاذع : المشاتم .

(٥) هشتْ : أي ابتسمت . إكفهرارها : أي تعبيس وجهها .

(٦) اشمخرارها : أي ترفعها وعنادها .

(٧) أخلاف : جمع خِلف بمعنى حلمة ضرع الناقة . الإبساس : هو أن تقول للناقة عند حلبها « بس بس » تسكيناً لها لتدر .

المَرامي ، ولا تنثني بَراثِنُ آمالي عن فرائسِ الأماني إلّا دَوامي (١) ، فلا عَليَّ أن أُنشِدَ مِن حَوكِ جَناني (٢) ، ووَشْيِ بَناني (٣) :

أَلجأتني الأيامُ للجهل حتّى غَشِيَتني وأهلَ بيتي التهاني
فأنا اليومَ في الأنامِ أبو جهـ لٍ وعِرسي في الهَنا أُمُّ هاني

وبالجملة فللجهل عندي يدٌ لا أفتُرُ عن ذكرها ، ولا أقومُ ما حَييتُ بشكرها (٤) ، إذ لو لم أتظاهرْ بذلك العيب ، لم تظفرْ آمالي بإدراك السَيْب (٥) ، كالقوسِ لولا اعوجاجٌ فيها ، لما اهتدتْ نِبالُها إلى مراميها .

وحالَ التأريخ في الأحساء أتقلبُ في رَوضٍ من العيش أريض (٦) ، وأتبخترُ في بُردٍ من العافية طويلٍ عريض ، بين سادةٍ سُمحاء يُكرمون ولا يَمكرون ، ويُطعِمون ولا يطمعون ، ويَبْهَرون ، ولا يَرهبون (٧) ، ويَبتكرون ، ولا يَرتبكون (٨) ، لا تُمَلُّ مُناجاتُهم ،

---

(١) دوامي : جمع دامية مؤنث الدامي بمعنى ما يسيل منه الدم .

(٢) الحوك : مصدر حاك الثوب أي نسجه .

(٣) الوشي : النقش .

(٤) ما حييت : أي مدة حياتي .

(٥) السَيب : العطاء .

(٦) أريض : أي حسن معجب للناظرين .

(٧) يبهرون : أي يغلبون ويتعبون .

(٨) لا يرتبكون : مِن ارتبك في كلامه أي انحبس عنه باب الكلام فلم يهتد الى جهته . وبين يكرمون ويمكرون ، ويطعمون ويطمعون ، =

ولا تُخشى مُداجاتُهم[1] ، إلى أخلاقٍ في رقّة النسيم ، ومحاوَراتٍ في عُذوبةِ التسنيم[2] ، لا تَكبو في حَلْبةِ الفَخارِ جيادُهم[3] ، ولا تَصْلُدُ في مَشاهِدِ النّوالِ زِنادُهم[4] ، ثابتٌ لديهم كما أبتغي قَدَمي ، مُجرىً عليهم ما نفثَ به فمي ، أو كتبه قلمي :

لا عيبَ فيهم سِوى أن النزيلَ بهم

يسلو عن الأهل والأوطان والحشم

وقد أنختُ في رِحابِ أفنيتهم ، واستنشقتُ من نَدِّ أنديتهم[5] ، لم أزل أُذيعُ مِن جميل أوصافِ حضرةِ سيدِنا ما يَنفي كُلَفَ السَّهر[6] ، عن مآقي أهل السَّمَر ، مِن حُسنِ أخلاقه ، وطيب أعراقه ، وجَمْعِهِ إلى شجرة علمه ثمرَةَ عمله ، وَوَصْلِهِ بطُولِ طِوَلِ طَوْلِه ، قِصَرَ أَملِهِ[7] ،

= ويبهرون ويرهبون ، ويبتكرون ويرتبكون الجناس المقلوب .

(١) المداجاة : المداراة وستر العداوة .

(٢) التسنيم : ماء في الجنة .

(٣) الحَلْبة : الدفعة من الخيل في الرهان خاصة ، يقال هو يركض في كل حلبة من حلبات المجد .

(٤) تصلد : من صلد الزندُ إذا صوّت ولم يور عند القدح .

(٥) استنشقتُ : أي شممتُ . النَّدّ : عود يتبخر به . الأندية : جمع ناد بمعنى مجلس القوم .

(٦) الكُلَف : جمع كُلفة وهي المشقة .

(٧) الطُول : بضم فسكون خلاف العرض . الطِوَل : بكسر ففتح الحبل ، ومنه قولهم : فلان مُرخىً له الطول . الطَول : بفتح فسكون =

وعدم إزدهائه [١] ، عما هو فيه مِن سَمةِ جاهِهِ ، على أشباهِهِ ، عِلماً منه بأن الدنيا ذاتُ ضِماد [٢] ، ووائِدةُ أولاد ، ومِن بحر علمه الذي لا تكدِرُهُ الدِلاء ، ولا ينتقصه الغَرْفُ بالإِملاء ، كما قلتُ فيه من غير تمويه :

إن فاخرتْ دجلةُ في فيضها ... عِلمَ عُبيدِ اللهِ قل أقصري

فعلمُـهُ ليس له مَعْـبَرٌ ... وكم رأينا لكِ من مَعْبَرِ

وَدَّ السما تشري عُلاهُ ولو ... بالشمس والمريخ والمشتري

أقـلامُه تفعلُ في مُهجة الـ ... حاسِدِ ما لا يفعلُ السَّمهري [٣]

زَهَتْ به بغدادُ زَهوَ الرُّبا ... بالنبتِ غِبَّ العارضِ الممطرِ [٤]

وما فتئَ قلبي مِن تذكُّرِ منادمته في ذهول ، وجسمي في ذُبول ، وزَفراتي في صعود ، وعَبَراتي في نُزول ، فاذا ضاقتْ بي رحبةُ البلد مما بي من الـكَمَد [٥] ، برزتُ إلى الرياض ، وتنزَّهتُ في الغِياض [٦] ،

= القدرة والـغِنى . أي أن الممدوح يصل بغناه الطويل العريض الذي من شأنه أن يغرّ الناس قصر الأمل في الدنيا فلا يغره طُول حبل الجاه والغنى ، بل هو يرى ذلك بعين العاقل المجرّب ، فيقصر أمله .

(١) الازدهاء : الافتخار .

(٢) الـضِماد : هو أن تكون المرأة ذات زوج وتخادن رجلاً آخر .

(٣) السمهري : الرمح .

(٤) العارض : السحاب .

(٥) الـكمد : الحزن والغم الشديد .

(٦) الغياض : الآجام .

لَعلّي أَبلُّ من مُتسَلسَلِ أنهارِها صَدىً[1] ، أو أجِدُ على نارِ جُلنارِها هُدىً[2] ، فما أنثني إلّا على ما كنتُ من صبرٍ في انتقاصٍ وولوعٍ في مَزيد[3] ، مُنشِداً ما قاله الأمين بنُ الرشيد :

وصَفَ البدرُ حُسنَ وجهكَ حتى ... خِلتُ أنّي أراه أنّى أراكا
وإذا ما تنفَّسَ النرجسُ الغَـ ... ـضُّ توهمتُـه نسيمَ شَذاكا[4]
خُـدَعٌ للمُنىٰ تُعَلّلني فيـ ... ـكَ بإشراقِ ذا ونكهةِ ذاكا
لأُقيمنَّ ما حَييتُ على الشُكـ ... ـرِ لهذا وذاك إذ حلّياكا

ويا ليتَ شِعري هل درىٰ ، أنّي أبثُّ إلى طيفِ خياله مع كلِّ بَرقٍ جَرىٰ ، أو نسيمٍ سَرىٰ[5] ، بمثل قولي الذي يَملأُ العينَ عَبرا ، ويَصدَعُ القلبَ ولو كان حجرا :

هل ترى زَورةَ صَبٍّ مولَعٍ ؟ ... بِـهِ وا كم فترىٰ هل فَترا ؟[6]

---

(١) الصدى : العطش الشديد .

(٢) جُلنار : بضمٍ فتشديد نورُ الرمان .

(٣) ما أنثني : ما أتراجع .

(٤) الشذى : قوة ذكاء الرائحة .

(٥) سرى : أي جرى بالليل .

(٦) الزورة : المرة من الزيارة . فترى : الفاء للعطف وترى فعل مضارع من الرؤية . فترا : فعل ماضي من الفتور ، وبينهما الجناس المركب ، وهو أن يتم بتركيب كلمتين ، وكذلك سترى وسترا ، فسينُ الأول حرف تنفيس والثاني من أصل الكلمة .

سترى إن جئته حِلفَ أسىً ... فيكَ كم داءٍ دَخيــلٍ سَتَرا
وتَرى مَن في انحناءٍ شابَهَ الـ ... قوسَ لكن في نُحُولٍ وَتَرا[1]

وما بَرِحتُ من الشّجيِّ والخليِّ في ثوْبَيْ مَعذرةٍ وتعنيف[2] ، إلى أن أتاني مِن جنابه الشريف ، - لا زالتْ حضرته العليةُ للطلاب أخصب ريف[3] - كتابٌ فحاويه أرقُّ من ماءِ الشّباب ، ومَعانيه أحلى مِن رُضابِ الخُود الكَعاب[4] ، لم يترك مِن الجزالة طريقةً إلّا حَواها ، ومن السلاسةِ صغيرةً ولا كبيرة إلّا أحصاها ، فوقفت على ما فيه مِن بدائع الفنون ، وقوفَ شحيح ضاع في التُّربِ خاتَمُه ، فألفيتُ عِقْدَ مُجمَلِ سِرِّه المَصون ، كما فصّل الياقوتَ بالدُّرِّ ناظِمُهْ ، ورأيتُ أصدافَ ألفاظه تنفَلِقُ عن اللؤلؤِ المكنون ، كما افترّ عن زَهرِ الرياض كمائِمُهْ[5] ، فتضاعفَ عند قراءته على قلبي المحزون ، من الشوق

---

(١) الوتَر : اسم لشرعة القوس ومَعلّقها ، وبينه وبين وترى الجناس المركّب ، ولهذه الأبيات الثلاثة بيت رابع لم يذكره هنا ، وجدناه مكتوباً معها في المجموعة الخطية الموجودة لدى الملا عبدالله إمام الجامع الكبير ، وهو قوله :

ها ، جَرى كالشمع شوقاً فصِلوا ... مَن سواكم كلُّ خلٍّ هَاجرا

(٢) الشجيّ : الحزين . الخليّ : الفارغ من الهم ، والكلام على حذف المضاف أي حالتها ، وهو إشارة إلى المثل السائر : « ويل للشجي من الخلي » . ثوبي : بالتثنية . المعذرة : مصدر عذره بمعنى رفع عنه اللوم .

(٣) الريف : أرض فيها زرع وخصب ، أي كأرض مخصبة .

(٤) الخود : المرأة الناعمة . الكعاب : الجارية التي أصبح ثدياها قدر كعب .

(٥) الكمائم : جمع كامة وهي غطاء الزهر .

والتبريح ما اللهُ عالِمُهْ ، وكأنَّ جفني حينَ بادره بالدمع الهَتون [١] ، كريمٌ رأى ضيفاً فدرَّتْ مَكارِمُهْ ، فليزهُ كاتبُ ذلك الخطّ [٢] ، فلقد حط بعدما قط [٣] ، فأتى بمالم يُسْبَقْ اليه قطّ [٤] ، وسطّرَ ، فمطَّر ، وأوجزَ ، فأعجز ، وقرّر ، فحرّر ، وجمعَ جمعَ تصحيح لا مُكسَّر ، إلى حُسنِ كتابةٍ سَخِرَتْ أَلِفاتُها بالقُدود ، وواواتُها بالأصداغ فوق الخُدود [٥] ، وسيناتُها بالطُرِرِ على الغُرَر [٦] ، وصاداتُها بالعيون ولو استعانتْ بالحَوَر [٧] ، ولاماتُها بالعِذار على سَوالفِ العَذارى [٨] ، وميماتُها بالأفواه ولئن تركتْ راشفيها سُكارى [٩] ، ونوناتُها بالحواجب ، وإن أنافتْ في الفَخار على قوس حاجب [١٠] ، فلا غرو أن وقعتْ

---

(١) الدمع الهتون : المنصبُّ المهراق .

(٢) فليزهُ : أي فليفتخر .

(٣) حطّ : من حطّ الجلد صقله ونقشه بالمِحَطّة . قطّ : من قطّ القلم ونحوه قطع رأسه عَرضاً .

(٤) قط : ظرف زمان لاستغراق الماضي .

(٥) الأصداغ : جمع صُدغ ما بين العين والاذن ، ويطلق على الشعر المتدلي على هذا الموضع .

(٦) الطُرر : جمع طُرة وهي الناصية . الغُرر : جمع غرة لبياض الجبين .

(٧) الحور : شدة سواد العين في شدة بياضها .

(٨) السوالف : جمع سالفة وهي صفحة العنق عند معلق القرط .

(٩) راشفيها : أي متجرعيها .

(١٠) أنافت : أي فاقت . حاجب : هو حاجب بن زُرارة الذي رهن قوسه المشهورة عند كسرى .

تلك الألوكة من قلوب الأُدَبا[١] ، موقع الطلّ من أقاحي الرُّبا ، وأطربتْ حتى مَن لم يفهم معناها ، فصار كأنه أعمى مُغنًى بحُبِّ الغانياتِ ولا يَراها ، فشكرتُ عند ورودها من ذلك الجناب ، شكرَ الروض للسحاب ، وحمدتُ الله على أن أجناني ثمرةَ شجرةِ إخلاصي في وَلائه ، وإقامتي على دُعائه ، وإذاعتي لعبير ثنـــائه ، ولقد زادني سيّدي بما كتبْ ، إجلالاً عند جَحاجحةِ العربْ[٢] ، حتى انّي حَلَلْتُ مِن كل صدرِ محلّ جَنانه ، ومن كل عينِ محلّ إنسانه[٣] ، وقلّدني نعمةَ لا أُقارف كُفْرَها[٤] ، ولا أُفارق شكرَها ، الى أن تُفارِقَ الحمائمُ أطواقها ، والجوزاء نِطاقَها .

وقد أملتُ بإطنابِ هذا الهَذَرِ جنابَهُ الخطير[٥] ، وأبرمتُـــه بتطويل ما لا طـائل تحته على أنّي من أهل التقصير[٦] ، فما هو إلّا هذيانُ محموم ، أو تخليطُ مَمْوم[٧] ، مع أن من الـكلام ما هو كالشَعَرِ كلما طـــال ، زاد في الجمال ، وكالحياة تشتهي النفوسُ بُعدَ

---

(١) الألوكة : الرسالة .

(٢) الجحاجحة : جمع جحجاح وهو السيد المسارع إلى المـكارم .

(٣) الانسان : هي النقطة السوداء في سواد العين .

(٤) لا اقارف : أي لا ارتـكب ، وبينه وبين افارق جناس القلب .

(٥) الهذَر : سقط الـكلام الذي لا يُعبأ به .

(٦) أبرمته : أي أضجرته . الطائل الفائدة والمنفعة .

(٧) الممُوم : الذي معه البرسام وهو علة يُهذى منها .

مَداها ، وأن لا تقفَ على مُنتهاها ، وكالتشاكي والتناجي من المحبين ، إذا التقيا بعد البَيْن في الليل الداجن :

ولرُبّما ساق المحدّثُ بعض ما　　ليس البذيْ اليه بالمحتـــاج

لـكن لا عتبَ على نازحٍ صدعَ قلبَه تذكُّرُ أوطانه صدْعَ الزُجاج[١] ، وأخلّ منه طولُ حنينه إلى إخوانه المِزاج ، ففي دماغي من السّوداء[٢] ، التي هي أسوأُ داء ، ما لو صُبّ في الفُراتِ لانقلَبَ نيلا[٣] ، أو حُمّلَ رأسَ غيري لاندَقّ عنقُه ولو كان فيلا ، ولولا أني كَبَحْتُ طِرْفَ قلمي الجموح[٤] ، وغضضتُ طَرفَ فكري الطموح[٥] ، لأفضَيا بي الى عقد فُصول ، مِن جنس هذه الفضول[٦] ، ومؤلّفات ، من نوع هذه الخُرافات ، فليَحْمَدْ سيدي على العافية مَولاه ، وليَحذرْ مَن ابتلاه ، أدام اللهُ لنا مَكارِمَهُ التي عمّتْ ، ولم أسأل زيادتَها فقد تمّتْ » .

---

(١) النازح : البعيد عن محله .

(٢) السوداء : مرض الماليخوليا ، وهو فساد الفكر من حزن .

(٣) النيل : صبغ أزرق ، وفي الجمع بين النيل والفرات مراعاة النظير .

(٤) الـكبح : الجذب . الطرف بكسر فسكون الفرس الـكريم . الجموح : المستعصي الذي لا يمكن رده ، وفيه اضافة المشبه به إلى المشبه .

(٥) غضضت : أي أغمضت . الطرف : بفتح فسكون العين . الطموح : في الفكر والبصر وشبههما كالجموح في الدواب .

(٦) الفضول : فضلات الشيء الزائدة عن الحاجة ، وقد يستعمل مفرداً فيقال : ما هذا الفضول ؟

إن اسلوب البيتوشي في هذه الرسالة ، اسلوب القدماء ، فتراه يُكثر من التلميح والتضمين ، والجناس ، والاستعارات ، والسجع ، فكأنها جعبة الفاظ لغوية . وعلاوة على ذلك فقد أشار ببعض الفقرات الى بعض المسائل العلمية ، مما يحتاج الى شرح وبيان ، كما أسرف في حشو مقدمته بالمصطلحات العلمية توخياً لما يُسمى حسنَ الابتداء ، وبالتأمل في المقدمة تجد أنه ذكر الاسم ، والفعل ، والحرف ، واللفظ ، والكلمة ، والقول ، والمفرد ، والجمع ، والاعراب ، والبناء ، والرفع ، والخفض ، والمرفوع ، والمنصوب ، والمكسور ، والمعرفة ، والعلم ، والمضمر ، والنداء ، والمنادى ، والاضافة ، والمنصرف ، والعدل ، والاشتغال ، والاختصاص ، والتنازع ، والنسبة ، والمصغر ، والمميز ، والتمييز ، والحال ، والمستثنى ، والحقيقة ، والمجاز ، والاطلاق ، والتقييد ، والأحكام ، والقصر ، والحديث ، والراوي . وان هذا الاسلوب غامضٌ مثقّل بأوقار الصنعة ، عسير الفهم لدى كثير من قراء هذا اليوم .

وبغض النظر عن هذا الاسلوب ، فان البيتوشي جمع في هذه الرسالة بين التناسق في المعاني والألفاظ ، والتأليف والجمع ، فهي رسالة بديعة في نظمها واسلوبها ، كثيرة الفائدة لما اشتملت عليه من جمل مختارة ، وأمثال سائرة ، وأشعار رقيقة ، ومعانٍ كثيرة كالمدح والاعتذار ، والفخر ، والاستعطاف ، والامتنان ، وذم الزمان ، ولوم أبنائه كل ذلك بعبارات بليغة سائغة تدل على طول باع البيتوشي في الأدب واللغة .

ومن رسائله الأدبية ما كتبه في البصرة سنة [١١٩٠ هـ] إلى سليمان

بك بن عبدالله بك الشاوي الحميري في بغداد ، بعدما هاجم صادق خان الزندي البصرة في أوائل سنة ١١٨٩ هـ وطوقها ستة عشر شهراً ، وبقي البيتوشي فيها مطوقاً ، فكتب رسالته هذه مع قصيدته السابقة محرّضاً سليمان بك على مهاجمة صادق خان وطرده والانتقام منه ، وتخليص البصرة من التطويق ، وعلاوة على ذلك فان الرسالة تحتوي على مناجاة البصرة ومآثرها وتأريخها المجيد ، وعلى وصف المصيبة وضروب الوحشية التي قام بها الايرانيون ضد أهل البصرة الآمنين ، وعلى استثارة الهمم لدفع العار ، وطرد الأشرار .

وبما أن هذه الرسالة غير مطبوعة ونسختها نادرة الوجود ، مع ما لها من القيمة الأدبية والتحلي بروائع البلاغة ، وأنها تشير إلى حادثة تأريخية مهمة في أهم جزء من العراق ، وأدق فترة من تأريخه ، فلذا وتلبية لرغبة كثير من الادباء نذكرها بحذافيرها .

وقد عثرنا عليها في مجموعة خطية موجودة بمكتبة المرحوم الملا محمد الجلي بكويسنجق . يقول البيتوشي :

يُقَبِّلُ الأرضَ مِن بُعدٍ ولو سَمَحَتْ
له الليالي بقُربٍ قَبَّلَ القَدَما
يُنهي المملوكُ الذي زُرِئَتْ أحواله[1] ، ورُزِئَتْ

---

(١) يُنهي : من أنهى الشيء إنهاءً أبلغه . المملوك : يريد نفسه ، أي يوصل العبد المتصف بالأوصاف الآتية استغاثته إلى عتبة الخ . وتلمح هذه العبارة إلى حقيقة واقعية هي خيبة آمال متسلم البصرة وقائمقامها سليمان آغا =

آمالُه[1] ، واستهجَرَتْ مِن لَفْحةِ الأيام أسحارُه وآصالُه[2] ، وسعي كالقلم القبطيّ إلى وراء إقبالُه[3] ، إلى عتَبةٍ أُلقِيَ عليها مِن رَكائِبِ المجد جِرانُها[4] ، وأُلْفيَ لديها من المكارم حِرانُها[5] ، يقودُها مُذلَّلةً عِرانُها[6] ، فيالها مِن سُدّةٍ تضمَّنتْ الثروةَ ثَراها ، وفاخرتْ الشُهُبَ حَصاها[7] ، ويروحُ الفضلُ ويغتدي في ذَراها[8] ، وبَنى

= المشهور بالمملوك ، وإلى انهاك روح المقاومة فيه ، وإلى أنه لم يبق في قوس صبره منزع . رزئت : أي عيبت وحقرت ، من زرى بالياء تصرف بها فأبدل الياء همزة لأن ابدال الياء همزة والهمزة ياء موجود في العربية .

(١) رزئت : أي صارت ذات مصيبة .

(٢) استهجرت الخ . أي صار أطيب أوقاته كالهجير ، وهو نصف النهار في القيظ .

(٣) يظهر من هذا أن الكتابة القبطية من اليسار إلى اليمين كاللاتينية وهي كذلك .

(٤) الركائب : جمع ركاب وهو الابل . الجران : من البعير مقدمة عنقه ، أي بركت على عتبته ركائب المجد .

(٥) الحِران : جمع حرون وهو من الدواب الذي لا يسلس قياده ، استعارها لصعاب المكارم .

(٦) يقودها : أي كلاً من الركائب والمكارم . مذلّلة : حال من المفعول . العران : ككتاب عود يجعل في أنف البعير ، وضميره راجع إلى كل من الركائب والمكارم ولكن على سبيل الحقيقة في الأول والمجاز في الثاني.

(٧) الشهب : جمع شهاب وهو ما يرى كأنه كوكب انقضْ .

(٨) الذرى : فناء الدار ونواحيها .

المُجتدي فوق آمال يتمناها ، أعني بها سُدّةُ حضرةِ الهِزَبْرِ المِغوار(١) ، البحرِ التيّار ، قانصِ الأقران(٢) ، فارسِ الفُرسان ، مَن يَعُلّ بِيضَ الصِفاحِ والسُمرَ الصّوادي(٣) ، مِن وِردِ وَريدِ الأعادي(٤) ، ويَنْظِمُ بالطعن قَوافيَ الكتائبِ بالهَوادي(٥) ، وتشكرُ فتكَهُ بالأقرانِ العُرْفُ الخوامع(٦) ، وتصدَحُ بفصاحِ الساجعةِ الجوامع ، الوُرقُ السّواجع(٧) ، مُعَوّدِ الضربِ والطِعان ، حضرة الأمجدِ ابن المرحوم

---

(١) المغوار : من الرجال كثير الغارات .

(٢) القانص : الصياد . الأقران : جمع قِرن بالكسر لمن يقاومك في المعارك .

(٣) العَلّ : السقي الثاني بعد النهل وهو السقي الأول . البيض : جمع أبيض وهو السيف . الصفاح : جمع صفح لعرض السيف . السمر : جمع أسمر وهو الرمح . الصوادي : جمع صادية بمعنى العطشى ، أي ان الممدوح يعاود سقي متون السيف ورؤوس الرماح من دم الأعادي .

(٤) الوِرد : الماء الذي يورَد . الوريد : عِرق العنق .

(٥) القوافي : جمع قافية بمعنى آخر البيت ، استعيرت لمؤخرة الجيش . الكتائب : جمع كتيبة وهي الجيش . الهوادي : جمع هادية بمعنى المقدمة ، أي أن الممدوح يوصل بانتظام وبمهارة حربية طلائع جيش العدو بمؤخراتها ، أي يرد المقدمات إلى المؤخرات ويهزمها بمهارة وانتظام حربي كأنه ينظم العقد .

(٦) العرف : جمع عرفاء مؤنث الأعرف وهو الضبع . الخوامع : جمع خامعة وهي صفة الضبع لأنها تخمع أي تمشي كأن بها عَرَجاً ، فالمعنى ان الضباع العرف تشكر الممدوح على فتكه بالأعادي لتوفير الأكل لها .

(٧) تصدح : أي تصيح ، وفاعله قوله الآتي : الورق السواجع . =

عبيد الله بگ سُليمان ، لا زالت الأكفُ تستوكفُ أنواءه (١) ، وعوادي الدهرِ تَنكِبُ أعداءه (٢) ، ومُطرَفُ المجدِ مَوشِيّاً بجوده (٣) ، وسماء الفضل مزيَّنةً بقِرانِ إقباله وسعوده ، ذا بُردٍ من شبابِ المجدِ قشيب (٤) ، وعُودٍ على ناب الزمان صَليب .

وبعدُ يا سيديّ ! بينما نحن نلجأ إلى الله تعالى في ظُلَمِ الأسحار ، ونتضرّعُ آناء الليل وأطرافَ النّهار ، نستدعي منه أن يَردّكم إلى الوَطن ، ردّ الروح إلى البَدَن ، ويُحيي بكم العِراق ، الذي أفناهُ فيكم الفِراق ، وبلغتْ روحُه بعدَكم الى التّراق (٥) ، لاسيّما لكشف ما نحن فيه من المصيبة التي طمّ سيلُها ، وعمّ ويلُها ، وانسحب على الخاصة

= الفصاح : جمع فصيح مضاف إلى الساجعة وهي الحمامة التي تهدر وتردد صوتها . الجوامع : جمع جامع وهو من الكلام ما قلّت ألفاظه وكثرت معانيه . الوُرق : جمع ورقاء وهي الحمامة . السواجع : جمع ساجعة ، أي تصدح بفصاح الصدحات الجوامع الورق السواجع ، ولعله أشار إلى زمزمة الطيور على القتلى ووقوعها عليها للنهس .

(١) تستوكف : أي تستقطر . الأنواء : جمع نَوء مستعمل للمطر وأراد به العطاء .

(٢) تنكب أعداءه : تصيبهم بالنكبة وهي المصيبة .

(٣) المطرف : رداء من خز ذو أعلام . موشيّا : أي منقوشا .

(٤) ذا بُرد : حال من ضمير الممدوح .

(٥) التراق : أصله تراقي جمع ترقوة للعظم الذي في أعلى الصدر بين ثغر النحر والعاتق ، وبلوغ الروح الى التراقي كناية عن مشارفة الموت .

والعامة ذيلُها ، أعني محاصرةَ البصرة التي استمرّتْ نارُها ، وانتشر شرارُها ، وطارتْ أخبارُها ، حتى تناقلتها الرُكبان ، الى أقاصي البُلدان ، وصُمّتْ من سِماعها الآذان ، اذ بُشّرْنا من جهتكم بظهور تباشير الفَلاح ، وانبِلاج صُبحِ الإقبالِ والنجاح ، فحمدنا الله حيثُ عمّر برجوعكم الى رُبوعكم ، تلك المعاهِدَ والموَاطن ، وردّ سرح الفضل الى ما لَه من المَواردِ والمَعاطِن[1] ، ورجعتْ منكم الشمسُ المنيرةُ الى بُرجها ، والدُرّةُ الثمينة الى دُرجها ، رجوعَ الضِرغام الى غابه ، والقِرضابِ الى قِرابه[2] ، وتباشرنا بالتهاني ، ونادانا لسان الأمن بوصول الأماني ، ثِقةَ بحميّتكم التي لا تجارى[3] ، وأبيّتكم التي لا تُبارى[4] ، وعِلماً بأن غيرتكم على أذى ، هذا القَذى ، لا تُغمِّضُ[5] ، وتَنهضُ مُتَشمّرةَ لدَفعه وتُستنهَضْ ، ولقد استغاثت البصرةُ قبل قدُومِكم بالعراق كم مرّة ، فكانت كاستغاثة الضَّرّة بالضرّة ، ولم ينفعها مثقالَ ذرّة ، والآن وقد ظهر فيها الخللُ والفساد ، من طول

---

(١) السرح : الماشية . الموارد : جمع مورد وهو موضع الورود من الماء . المعاطن : جمع مَعطِن لمبرك الابل ومربض الغنم حول الماء .

(٢) الضرغام : الأسد . القِرضاب : السيف القاطع . القِراب : الغمد .

(٣) لا تجارى : من جاراه بمعنى جرى معه . أي ان حميتكم ليس لها مثيل حتى يمكن الجري معها .

(٤) لا تبارى : من بارى الرجل سابقه ، أي ان أبيتكم لا تقابل .

(٥) لا تغمض : يقال غمض عينه وأغمضها : أطبق جفنها .

الحِصار ونَفاد الزاد ، وجاعَ العيالُ وهلكَ الأطفالُ ، وبيعت في سوقِ الكسادِ نفائِسُ الأموال ، وفُقدتِ الحنطةُ والشعير ، واسترحنا من من صَهيل الخيل ونهيق الحمير (١) ، ووالذي عطّلَ التنانير ، إنّ السنانيرَ بالدّنانير (٢) ، كم مُنشِدٍ إذا قام يشكو ضُرّه (٣) :

أفلحَ مَن كانتْ له قوْصَرّه يأكلُ منها كلَّ يوم مرّه

وارتجّتِ البلادُ طولاً وعرضاً ، وامتلأتْ عداوةً وبُغضا ، وهمّ الناس أن يأكل بعضُهم بعضا ، فالبصرة البصرة ، يا مَن عُرف بالحميّة أبوه (٤) ، والبصرةَ البصرة ، يا مَن القَسْوَرَةُ في المُساوَرَةِ عبدُه ولا أقول أخوه (٥) ، فلقد طالت بَلواها ، وفنِيَ مَرعاها وكلاها (٦) ،

---

(١) أي لموتها من شدة الجوع وانقراضها .

(٢) التنانير : جمع تنُّور . السنانير : جمع سنّور .

(٣) أي رب شاعر اذا أراد أن ينشد شعراً غابت عنه وجوه الانشاد فلم يتذكر إلا هذا البيت : أفلح الخ ، لأنه محل الحاجة ولأن الخواطر كلها متعلقة بالزاد ، أي لم يبق عند الناس إلا هم الجوع ، والقوصرّة : وعاء من قصب يجعل فيه التمر ونحوه ، وهذا البيت معزوّ إلى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

(٤) البصرةَ البصرةَ : هذا من باب الإغراء منصوب بفعل محذوف تقديره : انقذ البصرة أو ائتِ البصرة ، والثانية تأكيد للاولى ، وكذلك قوله الآتي : النجاء النجاء ، والوحاء الوحاء .

(٥) القسورة : الأسد . المساورة : المواثبة .

(٦) الكلا : بالفتح العشب رطبه ويابسه .

وقد هزلت حتى بدا من هزالها كُلاها[1] ، وهل يسوغُ لكم أن تُسلِمُوها إلى يد البلا ، أو تَسومُوها على هذا الصّلى[2] ، وقد ربّت لكم نُوَمَةً تُنْتِجُ في حِجرها[3] ، وأرضعت من أفاويق درّها[4] ، من مشاهير النُحاةِ والعُبّاد ، والقُرّاء والزُهاد ، مَن إلى الآن تستشهدون بآرائهم ، وتستضيئون من مصابيح أنبائهم ، وتقتدون بأفعالهم ، وتعتمدون على أقوالهم ، فلا تُضيِّعوا لها الحقوق ، ولا تقابلوا بِرّها بالعُقوق ، وهل تطمعون في الراحة بعد ذَهاب البصرة ؟ ، واكتواء القلوب بنار الحسرة ، والعدوُّ مُضمِرٌ في أخذها أن يوقعكم في الكَمَد إلى الأبد[5] ، ويأخذكم بلداً بعد بلد ، والأمر عظيم ، والخَطبُ جسيم :

أمورٌ تضحكُ السُفَهاء منها   ويَبكي من عواقبها الحكيمُ

---

(١) الكُلا : جمع كلية بالضم ، وهي واحدة الكليتين وهما غدتان يمنى ويسرى لازمتان لعظم الصلب عند الخاصرتين أي جوانبها .

(٢) تسوموها : يقال سامه على كذا عرضه عليه . الصِلى : من صَليَ النار يَصلى صِلىً قاسى حرّها واحترق بها .

(٣) النومة : المراد بهم الأطفال ، أي ربت لكم أطفالاً أصبحوا عظماء أفادوا كثيراً .

(٤) أرضعت : الضمير للبصرة ، وهذه الجملة معطوفة على جملة : ربّت . الأفاويق : جمع أفواق جمع فيقة وهي اللبن يجتمع في الضرع بين الحلبتين .

(٥) الكمد : الغم والحزن الشديد .

فالنجاء النجاء ! والوحاء الوحاء [1] ، في انقاذ الفيحاء [2] ، فان العدو ما زال الى الآن يقدح زنادَ الحرب ، ويُضرم حولها نائرة الطعن والضرب ، ويقطع النخيلَ والأشجار ، ويخرّبُ الديار ، ويقتلُ الرجال ، ويسبي من الأطاريفِ المالَ والعيال [3] ، ومن الآذانِ والأنوف ، جدعت ألوف [4] ، إذ لم يتهيّأ له من الفرسان ، مَن يُسابقه في حَلبة الرهان [5] ، ويطاردُه في الميدان ، وإلّا فهو أضعفُ من ذلك حالا ، وأقلُّ عُدّةً ورجالا :

وإذا ما خلا الجبانُ بأرضٍ طلبَ الطعنَ وحدَهُ والنزالا

ولولا أن الله جلت حكمتُه ، وسبقت مشيئتُه ، أيّدها بالمكرّم الهمام ، والمحترم القمقام [6] ، حضرة سليمان آغا القائمقام ، نظراً الى هذه الواقعة العظيمة المهمّة ، والمصيبة المدلهمّة ، لخربتْ منها الديار ، ولما بَقيَ فيها الآثار ، إذ بذلَ في تدبير امورها الفكرَ الصائب ، وأعملَ في مُداواة أسقامها الرأيَ الثاقب ، وكسّر في إصلاحها الخزائن وأظهر في افتدائها من أيدي المهالك الدفائن ، ونفّذ بحسن بصيرته

---

(١) النجاء : النجاة . الوَحاء : السرعة والعجلة ، أي البدار البدار .

(٢) الفيحاء : الواسعة من الدور ، لقبت بها البصرة لسعة دورها .

(٣) الأطاريف : جمع أطراف جمع طرف بفتحتين وهو الكريم .

(٤) الجدع : قطع الأنف وما شاكله .

(٥) الحَلبة : الدفعة من الخيل في الرهان خاصة .

(٦) القمقام : السيد الكثير العطاء .

النهيَ والأوامر ، وجمعَ فيها من كلّ أوبِ الجوعَ والعساكر[1] ، وشيّدَ السورَ والقلل ، واتّقى بعكرهِ الرصاصَ والشُكُل[2] ، وتركَ لذيذَ المنام ، وهجرَ أطايبَ الطعام ، ولم يُزحزحه من العدوّ التهديد ، ولم يلتفت إلى وعيده الشديد ، بل لم يعُدَّ ذلك الزئيرَ إلا صفيرا[3] ، وما يُشنِّفُ أسماعَه من النُباح إلّا هَريرا[4] ، ويسّر على الرعيةِ حتى الإمكانِ وما عسّر ، وبذلَ الجُهدَ من كل الجهات وما قصّر ، وكم مرّ عليه من الأيام السود ، وسُرادقُ الدُخان عليه ممدود ، والطوبُ يُناديه ويصيح ، بلسان فصيح ، أنا مُخرّب الديار ، أنا مُفني الأعمار ، لا يَردُّ رسولي غَلَقُ الأبواب ، ولا يسترخص البوّاب ، ولا يتحمّلُ مِنّةَ الحُجّاب ، ولا يدفعه بذلُ الرِشى ، بل يدخل دخولَ الموتِ أينما يشا ، فثبت على ذلك كله وما تزلزل ، وصعِد في مصاعد الحميّة وما تنزّل ، فجزاه الله أحسنَ الجزاء ، ووقانا وإيّاه شرّ الأعداء .

وعلى الإجمال ، فالأمرُ كبير ، واللسانُ قصير ، ولا نقول إلّا ما قال سيدُنا عثمانُ (رضي الله عنه) لعليّ (كرّم الله وجهه) في المحاصرة ، يستنهضه إلى المناصرة :

---

(١) الأوب : الجهة .

(٢) العكر : الكرّ والحمل . الشُكُل : بضمتين جمع شِكال وهو حبل يشد به قوائم الدابة ، وأراد به الخيل نفسها ، أي أنه يلقى العدو رغماً عن كثرة الرصاص وكر الخيل .

(٣) الزئير : صوت الأسد .

(٤) الهرير : صوت الكلب دون النباح .

« فإن كنتُ مأكولاً فكن أنت آكلي
وإلا فأدركني ولمّا أُمزّقِ

والسلام » .

وايؤرِّخ ختمَ الكلام ، (حُسْنَ الختام)[1] .

١١٩٠ هـ

يظهر من ثنايا هذه الرسالة أن البيتوشي كان متألمًا كل التألم من النكبة التي ألمّت بالبصرة ، لا لأنه كان داخلاً فيها ومتأثراً بها شخصياً بل لغيرته الدالة على روح دينية وشهامة عالية .

ومن مراسلاته الأدبية رسالته التي كتبها من بيتوش إلى استاذه (محمد ابن الحاج) سنة [١١٨٠ هـ] بعدما رجع من الاحساء إلى كردستان أول مرة ، عثرنا عليها في مكتبة المدرس الشيخ محمد العسافي بالبصرة . وهذه هي :

« الحمــد لله الذي جعلَ الفصاحةَ عرشا ، وصيّرها لذَويها فرشا ، والصلاةُ والسلامُ على رسوله الذي أقرَّ ببلاغته الأضداد ، وشرّف بتشريف الحصر دون سائر الحروفِ الضاد ، وعلى آله الذين حازوا بسيف المنطق غنائم المعاني والبيان ، وأصحابه الذين بكّتوا ببديع عباراتهم كلَّ لسان .

وبعد : فأُهدي إلى مَن قلبي عنده ، ولا زلتُ في المكارم عبدَه ، مالكِ أزمّةِ الفضل والفصل ، والشافي باشاراته داء العِيّ والجهــل ، مُثير نقع الفصاحة وفارسها ، ومُنير غياهبها ومحارسها ، أعني به استاذي

(١) حسن الختام : أي حروفه وهي الف ومائة وتسعون بحساب الجمل .

مولانا محمد بن الحاج ، قضى الله لنا وله كلّ حاج ، سلاماً يبهَرُ في الطَراوةِ ريحانَ الغدائر وورْدَ الخدود ، ويُزري في اللطافة بمائساتِ الأعطافِ وهيفِ القدود(١) ، كيف لا ؟ وسينُه في الملاحة تُكسّرُ سوقَ استقبالِ العُشاقِ بسينات الطُرَر ، وتلومُ لامُه لابسَ لامَةِ الهوى لِلامات العِذار على الوجوه الغُرَر ، وألِفُه تثني بيدِ التيه والدلال ألفاتِ القدود ، وميمُه تستهين بميماتِ الأفواهِ ورُمّانِ النّهود ، لا زال كما هو صاحبَ تلخيصٍ في اشاراته ، وتوضيح في عباراته وتنبيهٍ في أقواله ، وتهذيبٍ في أفعاله ، وتنقيحٍ في أحواله ، وإصلاحٍ في مآله . هذا ، وقد ورد بعد بُرهةٍ من الزمان ، وطول افتراق الشّملِ في مقاساة الهجران ، وقد قلتُ مِن فِلْقِ فيّ ونحتِ قوافيّ(٢) :

مَن لِصَبٍ بليالي المُنحنى أورثتْ قلبي وجُثماني ضَنَى
لم أذُق مِن بعدِ توديعكَ لي يا أخا البدر سَناءً وسَنا(٣)

مكتوبٌ ما غادر صغيرةً من الفصاحة إلّا حواها ، ولا كبيرةً من البلاغة إلّا أحصاها ، فلما تأملتُه بعدما قبّلتُهُ ، ألفَيتُ كل حرفٍ منه جالِبَ فرَحٍ ، وكلّ سطرٍ مُنطوياً على طِرس ، وكلّ كلمةٍ مانحَ

---

(١) مائسات : جمع مائسة للمرأة التي تمشي متبخترة وتميل بأعطافها وجوانبها . الهيف : جمع هيفاء وهي ضامرة البطن لطيفة الخصر .

(٢) الفلق : الشقّ ، أي قلت بفمي المنشق .

(٣) الوسن : النعاس .

لِمَلَكةٍ(١) ، فقمتُ إجلالا وفَرَحاً ، وكدتُ أن اقضي مَرَحاً ، فقلتُ ارتجالاً : هكذا هكذا وإلّا فلا :

جَزَى سيداً قد كاتَبَ العبدَ ربُّهُ
بِعتْقٍ مِن الأهوال في مَوقفِ الحشرِ (٢)

وكنتُ عتيقاً في يد البَيْنِ والأسى
فأيقنتُ بالاعتاقِ في ساعة النشر

وقد أشرتم ببيان البَنان في أحشائه ، وشرّفتم المملوكَ في مَطاوي ترصيفه وانشائه ، إلى ارسال الكُتُبِ الثلاث ، فأرسلتُ اثنين بلا ارتياب ولا ارتيات ، وأما الشفا ، في حقوق المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، وشرّف محله وكرّم ، فمولانا الغزّالي زاده الله فضلاً وتشرّفاً لديه ، جَذَبه منذ أزمان اليه ، ولا أقدِرُ الاجتراء عليه ، وأما الألغاز ، الذي أبانه لسانُ الإعجاز ، فلا زلنا جازمين على الشروع في أفعال الخيرات ، حازمين في الاحتراز عن مخالبِ الشهوات ، غير مُملّقين صَوالح الأعمال والأقوال بإن وسائر الأدوات ، والسلام للكلام ختام » .

---

(١) لايخفى أن ما بين حرف ، وفرح ، وسطر ، وطرس ، وكلمة ، وملكة جناساً مقلوباً .

(٢) السيد : ذو السيادة . كاتب الخ : أي كتب إلى عبده . ربه : فاعل « جزى » العتق : الحرية ، وفي ذكر السيد والكتابة والعبد والعتق والعتيق والاعتاق مراعاة النظير .

وللبيتوشي كثير من المراسلات الأدبية الاخرى لا تقل من حيث الروعة والبلاغة عن رسالته العراقية ، على ما ذكره النودهي سابقاً ، إلّا أننا لم نعثر عليها حتى الآن ، على الرغم من بذل الجهود في البحث والمحاولات المتواصلة للحصول عليها ، فنرجو من الادباء والفضلاء الذين لديهم من آثار البيتوشي ما لم نقف عليه أن يوافونا بصورة منه لنتمكن من درجها ونشرها في الطبعة الثانية إن شاء الله ، وذلك خدمة للعلم والادب ، وصوناً لتلك الآثار القيمة من الضياع والتلف .

تقاريظـــه

لما رجع البيتوشي من الاحساء إلى مسقط رأسه (بيتوش) بكردستان في المرة الثانية ، وقد تم نضجه الفكري ، وطار صيته العلمي والأدبي ، أقبل عليه العلماء والادباء مواجهةً أو مكاتبة ، معجبين بعلمه وأدبه ، وممن ارتبط معه برابطة الوُدّ العالم الأديب السيد محمد أمين العمري الموصلي صاحب كتاب (البديعية) . ولما فرغ من تأليف كتابه هذا في شهر ربيع الاول سنة [١١٨٣ هـ] أرسل منه نسخة إلى البيتوشي أثناء وجوده في (بيتوش) ، فقرظه برسالة منثورة مع قصيدة منظومة ، أثنى عليه فيهما ثناءً عاطراً ، ووصف الكتاب وبالغ في مدح مؤلفـــه واسرته العمرية .

وللبيتوشي تقاريظ عديدة كلها آية في البلاغة والابداع ونفائس مبتكرة في الأدب واللغة ، منها تقريظه بالنثر والنظم رسالة استاذه

(ابن الحاج) المسماة بـ (ايقاد الضرام ، على من لم يوقع طلاق العوام) ، ومنها تقريظه كتاب (فوائد القلائد ، في مختصر شرح الشواهد) ببيتين كتبهما بخطه في آخر صفحة من الكتاب ، وقد ذكرناهما سابقاً ، عثرنا على التقريظ الأول في المجموعة الخطية الموجودة لدى الملا عبدالله إمام الجامع الكبير بالسليمانية ، وعلى التقريظ الثاني بخط البيتوشي على رسالة استاذه المذكورة المكتوبة بخط المؤلف . ولقد رأينا من الأنسب أن نورد هنا التقريظين السابقين لما لهما من المكانة الأدبية والقيم البلاغيـة ، ولأنهما غير مطبوعين ونسختهما نادرة الوجود مع تشوق العلماء والادباء اليهما ، وحفظاً لهما من أن يتطرق اليهما التلف والضياع كالكثير من آثاره الأدبية التي ضاعت في مجاهل الاحساء وغيرها .

التقريظ الاول

بسم الله الرّحمن الرّحيم

حمـداً لمن جعلَ فصاحةَ كلامه إعجازا ، فأظهرَ المعانيَ وأوجزَ الألفاظَ ايجازا ، وصلاةً وسلاماً على أمينه أفصح مَن نطقَ بالضاد ، والمُرْوي بزُلال جَوامع كَلِمه غليـلَ الصاد ، وعلى آله وصَحبه إلى يوم التناد .

وبعدُ : فلمّـا اطّلعتُ على البديعية التي قيـّد أوابدَ معانيها [1] ،

---

(١) البديعية : قصائد يشتمل كل بيت منها على نوع من البديع ، والبديعيات ظهرت منذ أمد بعيد ، وأول بديعية كانت لصفي الدين الحلي ، =

وشَيّدَ مباني مَغانيها (١)، وأسّسَ أُسّسَ البلاغة فيها ، وأحكمَ أجناسَ الفصاحة باديها وخافيها ، مُثيرُ نقع حَلبَةِ المنظوم والمنثور ، وحاملُ عَلَمِها المشهور المنشور ، محمد أمين العمري الموصلي (٢) ، لا زال مُقوّماً لأَوَدِ الأدب (٣) ، وقائماً باقتناص شَوارِدِ كلام العرب (٤) ، وراِيتُهُ قد

= وجاءت بعدها بديعيات لعز الدين الموصلي وتقي الدين بن حجة الحموي وعبد الرحمن السيوطي والامام ابن المقري والفاضلة عائشة الباعونية وأمين الدين علي بن عثمان الأربلي الصوفي والشيخ أبي الوفاء العرضي والأديب الحميدي والشيخ صلاح الدين الكوراني والشيخ عبدالغني النابلسي الشامي والعلامة قاسم البكرهچي الحلبي والشيخ محمد الغلامي الموصلي ، وأخيراً هذه البديعية المقرظة بهذا التقريظ . الأوابد : جمع آبدة وهي المعاني الوحشية التي تنفر عن الادراك .

(١) المغاني : جمع المغنى وهو المنزل .

(٢) هو الشيخ محمد أمين بن خير الله العمري الموصلي الخطيب . ولد سنة ١١٥٠ هـ — ١٧٣٠ م وتوفي سنة ١٢٠٣ هـ — ١٧٨٣ م أخذ العلم أولاً عن والده ثم عن ملا سليم الاردلاني وملا درويش العقراوي وملا علي السوسني وملا جرجيس الاربلي ، ثم سافر إلى ما وران سنة ١١٧٤هـ — ١٧٥٤ م وأخذ العلوم العقلية والنقلية عن العلماء الحيدرية ، ثم سافر إلى بغداد سنة ١١٧٨هـ — ١٧٥٨ م وقرأ على العلامة صبغة الله أفندي الحيدري وعلى ولده ملا عيسى ، ثم عاد إلى الموصل واشتغل بالتدريس والتأليف . له من المنظومات والمؤلفات ما يزيد على ثلاثين مجلداً .

(٣) الأَوَد : الاعوجاج .

(٤) الاقتناص : الاصطياد .

أبدَعَ في أساليب فنونها وأغرَب ، وأودعَ في تضاعيف شجونها ما أطرب ، فجاءت هَدِيّاً صيغتْ شُنوفُها من عَسْجَدِ الغزالة [١] ، وابتَزّتْ لطوقها من القمر الهالة [٢] ، ولا غروَ من ذلك وأبو عُذرِها مَن تَروعُ بِفقَرِهُ في التسجيع حاليةَ العَذارى ، فتَلمسُ جانبَ العِقدِ النَّظيم [٣] ، وتتمنّى من قوافيه المُوَشَّحَةِ بالترصيع النطاقَ لخِصرها الهضيم ، فلو رآها الاسيوطيُ - مع إتقانه في نظم جُمانه - لعاتبَ على القصور نفسَهُ [٤] ، وعقلَ عن مُحاكاتها بِجِمارِ العجز

---

(١) الهدِيُ : العروس . الشنوف : جمع شَنف وهو القرط . الغزالة : الشمس عند ارتفاعها .

(٢) ابتزت : أي سلبت .

(٣) أبو عذرها : أي مفتض بكارتها . مَن : خبر لقوله : وأبو عذرها . تروع : تفزع ، من راع أي افزع كروّعَ لازم ومتعد . الحاليــــة : لابسة الحلية ، بالنصب مفعول تروع ، واضافتها إلى العذارى من اضافة الصفة إلى الموصوف . العقد : القلادة . النظيم : المنظوم ، أي ان فقرات هذه البديعية تشبه اللآلي ، فاذا نظرت اليها العذراء المتحلية بقلادة لؤلؤ تخيلت أنها قطعة من قلادتها المنفرطة فارتاعت ومدت يدها إلى جانب عقدها تلمسه . وهذه الفقرة مقتبسة من بيت المنازي في مقطعة له يصف فيها واديا فيقول :

يروع حصاه حالية العذارى فتلمس جانب العقد النظيم

(٤) الأسيوطي : هو الشيخ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي إمام ، بحاث ، حافظ ، مؤرخ ، أديب ، له نحو خمسمائة مصنف منها : « عقود الجمان » في المعاني والبيان ، نظم فيه تلخيص المعاني في الف بيت ، ومنها : =

عَنْسَه (١) ، أو ابن المقري مع صَلفِهِ بعنوانِ شَرفه الذي هو شرفُ كلِّ عنوان (٢) ، واجْتِنائه لما أينعَ مِن تلكَ القِنوان (٣) ، لتابَ مِن الإرشاد ، إلى طريق الإنشاد ، أو ابنُ سَرايا الصَفي (٤) ، مع أنه بجمع الآداب فضلُه غيرُ خَفِي ، لَذَوَتْ من حرارة الخَجَلِ روضةُ أشعارِه ، ولأمسك عن تجهيز سَرايا أفكارِه ، أو ابنُ حَجّه (٥) ، مع أنه في

= « الاتقان » جعله مقدمة لتفسيره : « مجمع البحرين » . ولد سنة ٨٤٩ هـ — ١٤٢٩ م وتوفي سنة ٩١١ هـ — ١٤٩١ م .

(١) الهجار : حبل يشد في رسغ رجل البعير ثم يشد الى حقوه . العنس : الناقة القوية .

(٢) ابن المقري : بفتح الميم والقاف ، والراء مكسورة مشددة : هو شرف الدين اسماعيل بن أبي بكر اليمني ولد سنة ٧٥٥ وتوفي سنة ٨٣٧ هـ ، وله كتاب اسمه : « عنوان الشرف الوافي ، في الفقه والنحو والتأريخ والعروض والقوافي » كما له كتاب آخر اسمه : « الارشاد » اختصر فيه الحاوي الصغير للقزويني . الصلف : الفخر والاعجاب اكثر من الاستحقاق . واجتنائه : عطف على قوله : صلفه .

(٣) القنوان : جمع قنو بمعنى العذق وهو في النخل كالعنقود من العنب .

(٤) ابن سرايا الصفي : هو عبدالعزيز بن سرايا بن علي بن أبي القاسم ابن أحمد بن العز الحلي من نبغاء شعراء القرن السابع . ولد سنة ٦٧٧ هـ ومات سنة ٧٥٠ هـ وله قصائد مطولة .

(٥) ابن حجة : هوالشيخ تقي الدين أبو بكر بن حجة الحموي ، له مؤلفات كثيرة منها كتابه الشهير « خزانة الأدب » وهو شرح لبديعيته التي بارى بها بديعية صفي الدين الحلي ، ومنها ثمرات الأوراق في المحاضرات ، وله ديوان كبير . ولد سنة ٧٧٧ هـ ومات سنة ٨٣٨ هـ .

الفضائل حُجبه ، لتناثرتْ من شدة احتراقه ثمرَاتُ أوراقـــه ، وما الحريريُ ومقاماتهُ ، والطبريُ ومُحاكاتهُ ، والصدرُ وأزهارُهُ ، والزَمخشري وأنوارُهُ ، وعلمتُ أنها بالنسبة إلى ما حواه من الآداب ، وزَواه من فصل الخطاب (١) ، رشحةٌ مِن يَمّ غزير ، وشِرْذِمَةٌ مِن جَمّ غفير ، وتيقّنتُ حينما رأيتُها فجراً يلمع ، أن وراءه للشمس مَطْلَع ، خقيقٌ بأن نُناديه ولو بَعُدَ ناديه :

قصيدتُكَ الغرّاء يا فردَ دهرِه ... تنوبُ عن الماء الزُلال لمَنْ يظما

فنروى متى نروِي بدائعَ نظامها ... ونظمَا إذا لم نَرْوِ يوماً لها نظما

أردتُ - مع أني حليفُ أشجانٍ وأحزان ، ثقيلة الأوزان ، مِن قهر دَهرِ الاريبُ فيه غريب ، والمصيبُ ليس له نصيب ، إذ لا ترى فيه الأشعار ، إلّا خَلَقَ الشِعار (٢) ، والنظمَ ، لا يقتات إلّا بالعَظم ، ومطيةُ المنثور عَثور (٣) ، ولقد قلتُ في ريّان شبابي ، وإبّان اضطرابي ، في اغترابي ، لجارتي في دارتي :

أعائشُ لا تلومي واعذِريني ... على مِدَحي وحرماني العطايا

فما برِشايَ مِن قِصَرٍ وضعفٍ ... ولكنْ ذاكَ من يبْسِ الرّكايا (٤) -

أن أخدمه قياماً بحقِّ الفضل وذَويه (٥) ، وإرغاماً لِمَن يُناويه (٦) ،

---

(١) زواه : جمعه .

(٢) الشعار : ما تحت الدثار من اللباس وهو ما يلي شعر الجسد .

(٣) العثور : كثير السقوط .

(٤) الرشاء : حبل الدلو . الركايا : جمع ركية وهي البئر الصغير .

(٥) أن أخدمه : مفعول أردتُ . (٦) يناويه : أي يعاديه .

بقصيدةٍ ولو أنها لا تليقُ بشريف جَنابه ، ولا تصلح إلا مِكنسةً لأعتاب بابه ، فأخذتُ يَراعة الصِناعة ، وقلتُ بلسان الفهاهة لا البَراعة[1] ، مِن الرَّمَل الأول ، والقافية متواتر :

ناحتِ الوَرقاءُ في الدَّوح فناحا	مَن حَشا أحشاءه البينُ جِراحا[2]
يا سَميري ارْحَم بَصَبٍّ مُذْ نَشا	مِن تباريح التصابي ما اسْتَراحا[3]
يا عَذُوليَّ على غيِّ الهَوى	إنني في الحُبِّ لا أهوى الصَّلاحا[4]
لا أُبالي أجُناحاً - لا ابا	لكما - ألقاهُ أم ألقى النجاحا ؟[5]
صِرتُما كالبَيْنِ والبَيْنُ عَنىً	فدعا ويحكما هذا النُباحا
هل تَرومانِ فَلاحاً لفتىً ؟	هام إذ برقٌ على رامةَ لاحا[6]
كلُّ جِدٍّ ضاع في غير الهوى	ذاك لا أحسَبُهُ إلا مُزاحا

---

(١) الفهاهة : العي والوهن .

(٢) الورقاء : الحمامة . الدوح جمع دوحة بمعنى الشجرة العظيمة .

(٣) السمير : من يسامرك أي يحدثك ليلا . ارحم : ضمن ارحم معنى ارفق فعداها بالباء . التباريح : الشدائد .

(٤) في البيت الطباق بين غيّ والصلاح .

(٥) الجناح : الاثم . أبا : لغة في الأب ، ولا أبا لكما : خبر في اللفظ ودعاء في المعنى ، ويقال ذلك لمن له أب ولمن لا أب له وهو كثير في الشعر خارج مخرج المثل يراد به التنبيه فقط . النجاح بينه وبين الجناح جناس القلب .

(٦) هام : تحيّر . رامة : اسم جبل ، وبين كلمتي فلاحا ولاحا في الشعر الجناس الناقص .

رُبَّ جُنحٍ طرَباً قاتُ وقد ... بَسَطَ النجم إلى الغرب جَناحا (١)
في نَدامى كأزاهيرِ الرُّبا ... عَرفُ أعراقِهمُ في الكون فاحا (٢)
نشربُ الرحراحَ صِرفاً شَمِلَتْ ... ببليلٍ شُرْبُكَ الماءَ القُراحا (٣)
في رياضٍ ماؤها صَبٌّ كما ... طرَباً قُمرِيُّها بالوَجد باحا (٤)
والأقاحي ابتسمَتْ من أدمُعِ الـ ... مُزنِ والنرجسُ نَشوانُ اصطِباحا (٥)
لِعاطٍ بصَباحِ الوجهِ في ... ذيلِ ليلِ الطُرَّةِ استهوى الصباحا (٦)
كسرُ جَفنيه ونصبُ القدِّ قد ... أهملا العاملَ والبيضَ الصِحاحا (٧)

---

(١) الجنح : الطائفة من الليل .

(٢) ندامى : جمع ندمان وهو النديم . الربا : جمع ربوة بمعنى ما ارتفع من الأرض . العرف : الرائحة . الأعراق : جمع عِرق أصل كل شيء .

(٣) الرحراح : لغة من الراح . صرفاً : أي غير ممزوجة . شملت : أي هبت عليها الشمال . البليل : الريح الباردة مع الندى . القراح : الماء الخالص .

(٤) صبٌّ : متدفق . طرباً : مفعول لأجله لباحا . بالوجد : متعلق بباح . باح : أذاع .

(٥) نشوان اصطباحا : أي سكران من شرب الصبوح .

(٦) العاط : متعلق بقوله قلت فيما سبق ، وهو اسم فاعل من عاطى بمعنى ناول . والمراد هنا الشخص الذي يسقي الخمر ويناولها ويديرها . الطرّة : شعر الناصية . استهوى الصباحا : أي جعل الصباح هاوياً له .

(٧) العامل : الرمح . البيض : السيوف ، أي إن كسر جفني الساقي ونصب قده كافيان لقتل المحب فلا حاجة إلى الرمح والسيف . وفي الجمع بين الكسر والنصب والعامل والاهمال مراعاة النظير ، وهي جمع أمر وما يناسبه لا بالتضاد .

وبلالُ الخــالِ في وَجنته ... خالَ لألاء جبينَيه الصَّباحا[1]
أشموساً في كؤوسٍ نحتَسي ... ونجوماً أم ـ فدتكَ الروحُ ـ راحا ؟[2]
مُطرَفٌ أم روضــةٌ وشَّمها ؟ ... حاكةُ السُّحبِ غُدُوّاً ورواحا[3]
وَسَنا الفجرِ خِلال الزُّهر أم ... ذا خَلالَ الزَّهَرِ الجدولُ ساحا[4]
وسَجوعُ الوُرق هذي أم قوا ... فٍ لفحلٍ حالَفَ المجدَ الصُّراحا[5]

---

(١) خال : أي ظن وضميره راجع إلى بلال ، ولألاء جبينيه مفعوله الأول والصباحا مفعوله الثاني ، شبه خال الوجنة في السواد ببلال الحبشي الذي كان مؤذناً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان يراقب كل ليلة طلوع الفجر ليؤذن ، فني بلال الخال اضافة المشبه به إلى المشبه ، وبين الخال وخال ، الجناس المستوفى .

(٢) أشموساً : مقول قلت السابق . الراح : الخمر .

(٣) المطرف : رداء من خز ذو أعلام . حاكة : جمع حائك واضافتها إلى السحب من اضافة المشبه به إلى المشبه .

(٤) السنا : الضوء . الخلال : بالكسر الوسط . الزُهر : بالضم جمع الأزهر بمعنى النير وهو صفة لموصوف محذوف أي الأنجم الزهر . الخلال : بالفتح جمع خلل بمعنى الشق . الزَهر : بالفتح النَور . ساحا : أي سال ، وبين الخِلال والخَلال ، والزُهر والزَهر الجناس المنحرف .

(٥) السجوع : فعول بمعنى ساجعة صفة لورق . الورق : جمع ورقاء وهي الحمامة . هذي : إشارة إلى البديعية . الصراح : الصريح ، وفي هذا البيت حسن التخلص وقد سبق تعريفه في ص ١٣٨ .

الأمينِ الحَبْرِ بَحْرِ الفضل رَحْـ ... ـبِ الفِنا حَربِ المُعاديه كِفاحا (١)
عُمَرِيٌّ المُنتَمى الشهمُ الذي ... صَيَّرَ النظمَ له مِلْكاً مُباحا
جَوهَرِيُّ اللفظِ لا تسمعُ مِن ... دُرِّ عِقدٍ صاغهُ إلّا صِحاحا (٢)
فترى كالعجَم اللُّكْنِ إذا ... قامَ يُنشي العَرَبَ اللُّسْنَ الفِصاحا (٣)
لَيثُ عِرِّيسِ العُلى مِن زأره ... صار أصواتُ أعاديه ضُباحا (٤)
سودُ أقلامٍ له سادَتْ على ... سُمْرِهم طعناً إذا راموا السلاحا (٥)
رُبَّ ربّاتِ حِجالٍ صاغ مِن ... نظمِهِ أحجالَها ثُمَّ الوُشاحا (٦)

---

(١) الحبر : بالكسر أو الفتح العالم النحرير . المعاديه : كالضاربك مطلقاً أي فيمن قال انه مضاف ومَن قال انه غير مضاف ، والضمير مفعول الصفة ، وبين الحبر والبحر والرحب والحرب الجناس المقلوب .

(٢) جوهري اللفظ : أي ألفاظه كالجواهر . دُرّ عقد صاغه : فيه استعارة مصرحة وقرينتها (لا تسمع) . وفي الجمع بين « الجوهري » و « الصحاح » لطافة لايهامه بكتاب « الصحاح » لـ « جوهري » .

(٣) قام : فاعله ضمير راجع إلى الأمين الحبر . العرب : مفعول « ترى » . اللُسْن : جمع ألسَن بمعنى الفصيح البليغ . الفصاح : جمع فصيح عطف تفسير للسن ، أي ترى العرب اللسن الفصاح كالعجم اللكن إذا قام الأمين ينشد . وبين اللكن واللسن الطباق .

(٤) العرّيس : بالتشديد مأوى الأسد . الزئير : صوت الأسد . الضُباح : صوت الثعلب .

(٥) سود أقلام : من إضافة الصفة إلى الموصوف . سادت : فاقت . السمر الرماح .

(٦) ربّات : جمع ربة بمعنى سيدة . الحجال : جمع حجَلة وهي ستر =

وثَنَى عطفَ ملوكٍ نحــوَه ... بثنــاءٍ قطُّ ما فيه استماحا (١)
قد ذكا عَرفاً وذِهناً عنــدَه ... ما شذا الرَّندِ وما الزَّندُ اقتداحا (٢)
كم أُديرَتْ بيننا أشعــارُه ... فطربنــا إذ ظننَّاها رَياحا (٣)
ما رِياضُ الحَزْنِ جيدَتْ نشرُها ... يُكسِبُ الرائدَ بشراً وانشراحا (٤)
أخذَت زُخرُفَهــا وازَّيَّنَتْ ... وشَدَتْ أطيارُها فيها مِراحا (٥)

= يضرب للعروض في جوف البيت . صاغ : فاعله ضمير راجع إلى الممدوح . الاحجال : جمع حجل وهي حلية تضعها المرأة في ساقيها فوق الكعبين . الوشاح: بالضم شبه قلادة من نسيج عريض يرصع بالجواهر تشده المرأة بين عاتقها وكشحها.

(١) ثنى : أي صرف وجلب . استماح : طلب العطية .

(٢) ذكا : من ذكا المسك سطعت رائحته . ذهنا : عطف على عَرفا . ما : استفهامية كالتي بعدها . الرند : شجر طيب الرائحة يشبه الآسَ ، وقوله « ما شذا الرند » ناظر إلى قوله « ذكا عرفا » ، وقوله « وما الزند اقتداحا » ناظر إلى قوله « ذهنا » ، ففيه لف ونشر مرتب .

(٣) كم : خبرية . رياحاً : بفتح الراء لغة من الراح .

(٤) ما : نافية . رياض : اسم ما ، وخبرها قوله الآتي « أحسن » . الحزن : بالفتح ضد السهل بمعنى الموضع الخشن . جيدت : أي سُقيت بالجود أي المطر الغزير . النشر الرائحة الطيبة . الرائد : الرسول الذي أرسله القوم لينظر لهم مكاناً للنزول والرعي .

(٥) أخذت : صفة للرياض . زُخرفها : أي حسنها وزينتها . ازّينت : أي تزينت . شدت : من شدا يشدو شدواً بمعنى أنشد الشعر فمدّ صوته به كالغناء . أطيار جمع طائر . المِراح : اسم من مَرِحَ الرجل إذا اشتد نشاطه وفرحه وبَطِر واختال .

وجَرَتْ أنهارُها، أحسنَ مِن وجهِها الوَضَّاحِ بَسطًا وارْتِياحا [١]
شادَ بيتًا قُرِّضَ الدهرُ بـه وكَفَى ذلكَ الدهرِ امْتِداحا [٢]
نَسَبًا لو نـاطحَ الشمسَ ضُحىً
لانثنَتْ مَنطوحَةَ القَرنِ افتِضاحا [٣]
أهلَ صُحْفٍ وصِحافٍ فلَـكم أحيَوا السُّنَّةَ والعامَ الكُلاحا [٤]
وتغاضٍ واغتِياظٍ مارَسُوا الصَّفحَ في السَلمِ وفي الحربِ الصِّفاحا [٥]
كم بِحَدِّ البيض مَتنًا شَرَحوا وبصَدرِ السُّمرِ كم راضوا جِماحا [٦]

---

(١) جرتْ : الخ : صفةٌ بعد صفةٍ للرياض . الوضّاح : أبيض اللون .

(٢) شاد الخ : أي رفع أُسرةً وهي الأُسرة العمرية التي لا تزال من أبرز الأُسر بالموصل .

(٣) نَسَبًا : بدل من « بيتًا » في الشعر السابق . لانثنت : أي لرجعت الشمس عن المناطحة منكسرة القرن مفتضحة .

(٤) أهل : بدل لنَسَب . صُحف : جمع صحيفة . صِحاف : جمع صحفة بمعنى القصعة أي ان الممدوح من أبناء العلماء الربانيين والكرماء الذين أحيوا بتآليفهم الدينية السنن النبوية ، وبكرمهم واحسانهم الفقراء والمساكين في الأعوام الشديدة بالقحط والغلاء على اللف والنشر المرتب .

(٥) وتغاضٍ الخ : عطف على قوله « صحف » أي ان الممدوح من أحفاد جماعة من أهل الحلم والمسامحة ، وأهل الغيظ والانتقام . الصفاح : جمع صفيحة بمعنى السيف ، فقوله « مارسوا الصفح » ناظر إلى قوله « وتغاض » وقوله « وفي الحرب الصفاحا » ناظر إلى قوله « واغتياظ » على اللف والنشر المرتب .

(٦) البيض : جمع أبيض وهو السيف . المتن : الظهر . راضوا : أي ذللوا =

ليتَ شِعري هل أرى نحوَهُمُ ناقتي تَطوي بيَ البيدَ الفِساحا [1]
آمِلاً سائِلُ دَمعي نَهرَهُم ولَهُ ذلك ما شَرْعٌ أباحا [2]
فعَسى حِينَ اجتماعي بِهِمُ وهو سُؤلي يَسبِقُ الحَيْنُ المُتاحا [3]
ومتى أحظَ بِلَثمي لضَريـ ـحِ ابنِ متّى مَرقَداً أفاقَ الضُراحا [4]

= وفي الجمع بين المتن والشرح مراعاة النظير والتوجيه حيث وجّه معنى شرح المتن إلى المعنى اللغوي لا الاصطلاحي المتبادر .

(١) البيد : جمع بيداء وهي الصحراء .

(٢) أملاً : حال من فاعل سائل . السائل : الجاري ، وجاء بمعنى السؤال ، واضافته إلى الدمع من اضافة الصفة إلى الموصوف . النهر : الماء الجاري المتسع ، وجاء بمعنى المنع . له : متعلق بأباحا ، وضميره للسائل بمعنى الطالب . ذلك : مفعول أباحا ، والمشار اليه به النهر بمعنى المنع على سبيل الاستخدام . والمعنى أن دمعي الجاري يرجو الوصول إلى نهرهم وهو دجلة ، وما أباح دين لأحد منع الطالب وحرمانه ، وفي التنزيل [وأما السائل فلا تنهر] .

ثم ان البيتوشي كرر هذا المعنى في قصيدة اخرى وقال :

ويمينه في الجود نهر سائل ما إن رأينا منه نهر السائل

(٣) فعسى : اسم مقدر أي عسى اجتماعي حين اجتماعي بهم ، وخبرها جملة يسبق الحين المتاحا . الحين : الموت . المتاح : المقدر . فالشاعر يتمنى أن يجتمع بهم قبل أن يموت . وبين الحِين والحَين الجناس المحرف .

(٤) متى : اسم شرط . احظ : فعل الشرط . تبرؤ الأجفان : جواب الشرط . ابن متى هو سيدنا يونس عليه السلام . ومتى على وزن حتى اسم أبيه ، وقيل اسم امه ولم يشتهر من الأنبياء أحد باسم امه إلا هو وعيسى بن مريم عليهما السلام . الضراح : على وزن غراب البيت المعمور . وبين متى ومتّى الجناس المحرف .

تَبرَؤُ الأجفانُ من تَذرافِها ... بِبَراهُ ولَكَمْ جَفنًا أراحا[1]
ما أرى مَغناهُ لي إلّا غِنىً ... ورِحابًا حولَه إلّا رَباحا[2]
وثَراهُ ثَروةً عليــاءَ والـ ... ـذُلُّ عِزًّا فيه والقيدَ سَراحا[3]
كلُّ مَن لاحَتْ له أعلامُه ... مِن رزايا الدهرِ يومًا ما ألاحا[4]
ولَئِن ساعَدَنا الحظُّ بِـه ... لَتحكَّمْنا على الدهرِ اقتراحا[5]
فسقى اللهُ عهودًا لي بـه ... بِعِهادٍ نَمنَمَتْ تلك البِطاحا[6]

---

(١) تبرؤ : أي تتخلص . التذراف : مصدر ذرف الدمع سال . البرى : التراب . أراحا : أي جعله مرتاحاً .

(٢) الرحاب : بالكسر جمع رحبة وهي الأرض الواسعة . رباحا : مصدر ربح . وبين رحاب ورباح الجناس المقلوب .

(٣) وثراه : عطف على المغنى . سراحا : أي اطلاقا . وبين الذل والعز والقيد والسراح طباق وهو الجمع بين المعنيين المتقابلين في الجملة .

(٤) من رزايا : متعلق بألاحا . الرزايا : جمع رزية وهي المصيبة . ألاحا : خاف .

(٥) اقتراحا : مفعول مطلق لتحكمنا ، ويجوز أن يكون تمييزاً من النسبة في تحكمنا . هذا ثم ان من يقارن بين عقلية البيتوشي في هذه الأبيات وبين عقليته في أشعاره المذكورة في باب « ايمانه » يرى فرقاً كبيراً بينهما ، ويرى أنه كان في عنفوان شبابه على عقيدة عامية و بعد النضج صار على عقيدة السلف الصالح .

(٦) العهاد : بالكسر أول مطر الربيع . نمنمت : أي زينت . وبين العهود والعهاد الجناس المحرف .

ما زهَتْ في عُلوِ نجدٍ أيكةٌ صافحتْ أفنانُها المُلْدُ الرياحا[1]

التقريظ الثاني

بسم الله الرّحمن الرّحيم

قال المفتقر الى الله في البُكر والعشِيّ ، عبدالله بن محمد الكردي الآلاني البيتوشي ، مَحا اللهُ صفحةَ صفيحة فكره [2] ، وأوزعه لحمده وشكره : ألّفَ استاذُنا غُرّةُ وجه العصر ، وعِقدُ جيد الدهر ، مُضيءُ كل مُدلَهِمّ داج ، وفاتحُ كل رِتاج [3] ، مولانا محمدُ بنُ الحاج ، قضى اللهُ لنا وله من الخير كل حاج [4] ، هذا التأليفَ الموسومَ بـ (ايقادِ الضِرام ، على مَن لم يُوقِع طلاقَ العوام) وهو - كما ترى - وفق ما تشتهيه الأودّاء [5] ، ونعمةٌ أقرّتْ به الأعداء ، فقلتُ إمتثالاً لإشارةِ مَن أمرُهُ واجبُ القبول ، لا دخولاً في سِلك مَن قرّض عليه من الفحول ، لذلك التأليف مُقرّضاً ، ولمن يخالفُ فحواهُ مُمرّضاً ، مِن بحر الوافر ، والقافية متواتر :

---

(١) ما : دوامية . زهت : من زها يزهو زهواً أي أشرقت وزهرت . الأيكة : واحدة الأيك وهو الشجر الملتف . الأفنان : جمع فنن وهو الغصن . المُلد : جمع ملداء مؤنث الأملد وهو الناعم اللين .

(٢) مقا : من مقا يمقو مَقواً السيفَ جلاه .

(٣) الرتاج : باب مغلق وفيه باب صغير .

(٤) حاج : جمع حاجة وهي ما يحتاج اليه .

(٥) الأوداء : جمع وديد وهو المحب .

ألا قُــل للّذي يفتي بزورٍ   تمادى في الضـــلال المستدام
يُضِلُّ الناسَ ليس له مرامٌ   سوى ما يرتشيه من الحُطام
دنا منه الرحيــلُ ولا يبــالي   إلى دار العذابِ والانتقــام
أفِقْ حتّــامَ تنهمِكُ انهماكاً   كَصبٍّ لا يُفيقُ من الغرام
أمِن كأسِ المُدام ثمِلْتَ لا بل   مِن الجهل الذي هو كالمُدام
بأيــةِ حُجةٍ تفتي وتُرشى   على النعماء تطليــق الدوام
فإن أبدى ضلالك ذا ، عنادٌ   فلستَ بمقلع عن ذا التمادي[1]
وإن جهلٌ - وأنتَ به حريٌّ -   فدونك قولَ ذا الفحلِ الهُمام
ظهيرِ السُنّــةِ ابنِ الحاج مُحيي   رياضِ العلم مِن دِيَم القِلام[2]
فـكم مِن مُرعَوٍ عن جهله بالّذي أبداه مِن حسن الـكلام[3]
وكم مِن مُعضلةٍ شابتْ لديه   وكانت مثــلَ ناصية الغلام
ودونكَ منه تأليفاً لطيفــاً   بديعاً وهو (ايقــاد الضِرام)
حوى المختارَ تصحيحاً ونقلاً   وايجازاً بلا خلــلٍ وذام[4]
مسائله تُحاكي الشمسَ نوراً   وإن كانت كزَهرٍ في ابتسام
وقرّظـــه تقاريظاً بنظمٍ   ونثرٍ كلُّ نقّــادٍ إمــام

---

(١) عناد : فاعل أبدى .

(٢) الديَم : جمع ديمة وهي مطر يدوم في سكون بلا رعد ولا برق .
القِلام : جمع قلم وهو البراعة .

(٣) مُرعَو : اسم فاعل من ارعوى عن الجهل كفَّ عنه .

(٤) الذام : العيب .

حبيبٌ عند ذي الإنصافِ لكن   عليكَ أشدُّ من وقعِ السهام
كبرقٍ يخطفُ الأبصارَ نوراً   يلوحُ عليكَ مِن خللِ الغمام
أو الهندي سُلَّ لكشفِ خطبٍ   يُضيء فِرِنْدُهُ سُدَفَ القَتام(١)
أو الأفعى الذي قد كان قِدماً   عصا موسى فينفثُ بالسّمام
أو الضرغام همَّ بكَ افتراساً   بأنيابٍ كما حدِّ الحُسام(٢)
فهل تلقى لإيرادٍ مساغاً ؟   وهل باقٍ لنفسك مِن مرام ؟
فتُبْ عما مضى فالعارُ خيرٌ   مِن النار المُذيبة للعِظام
وإلّا فاخشَ أن تَلقى وراشي   لكَ والشيطانَ في أخزى مقام
نصيحةَ ناصحٍ يرجو خلاصاً   بها يومَ القيامةِ مِن كلام
صلاةُ الله تغشى مُصطفاهُ   معَ الأصحابِ والآلِ الكرام
وأرجو مِن مواهبه تعالى   صلاحَ الحال معْ حُسن الختام

لقد تبين بكل وضوح مما أوردناه أو أشرنا اليه من قصائده ومنظوماته العلمية ورسائله الأدبية أن آثار البيتوشي الأدبية أخذت تقوى كلما تقدمت به السن . وعندي انه في سنة ١١٩٢ هـ - وكان في العقد السادس من العمر - وصل إلى مرتبة الزعامة في العلم والأدب ، وصار إمام المنظوم والمنثور ، وحامل علمهما المشهور وصاحب علمهما المأثور.

وليس ما ذكرناه أو أشرنا اليه هو كل أشعار البيتوشي كما أشرنا اليه

(١) الفرند : جوهر السيف وهو ما يُرى فيه شبه مدبّ النمل . السدف : الظُلَم . القتام : الغبار الأسود .

(٢) كما : ما زائدة ، أي كحد الحسام .

سابقاً إذ من المؤكد أن الذي لم نعثر عليه أكثر مما عثرنا عليه ، كما أن بقية قصائده الرنانة التي كثيراً ما أشار اليها في ثنايا شروحه وتآليفه لم يصلنا منها سوى النزر اليسير ، مع أنه كان شاعراً مُكثراً ، ولنا وطيد الأمل بأن نعثر في المستقبل على كثير من آثاره ، فان ما يقرب من اثنى عشر عاماً من أُخريات أيام حياته ونضجه الفكري وتكامله العلمي والأدبي التي قضاها في الاحساء بعيداً عن وطنه لم يصلنا من نتائج أفكاره خلالها شيء سوى مدونته على كتاب (الفاكهي) في النحو . وهذه الحلقة المهمة في حياة البيتوشي مفقودة أو مجهولة تماماً وفي طي النسيان وتحت ستار كثيف من الابهام لبعده عن أحبائه وأخلائه المخاصين في وطنه الأصلي وعدم وجود علاقة أو اتصال بينهم وبين من آل اليهم ميراث البيتوشي وتراثه العلمي والأدبي من أولاده أو أحبائه في الاحساء .

ونرجو من جميع منتسبي العلم والأدب ومحبي البيتوشي وعشاق آثاره الثمينة في جميع أنحاء كردستان والبلاد العربية ولاسيما من في بغداد وغيرها من امهات المدن العراقية وفي الاحساء وما جاورها من بلاد نجد أن يراجعوا مكتباتهم بكل دقة واعتناء باحثين عن تلك الآثار محققين عنها ، فيوافونا بما عثروا عليه من آثار البيتوشي تأليفاً أو نظماً أو نثراً عدا ما نشرناه في هذا الكتاب لكي نتمكن من درجها في الطبعة الثانية إن شاء الله ، وذلك خدمة للعلم والأدب والتأريخ .

(خاتمـــة)

كان البيتوشي شخصية بارزة ممتازة نبغت في كردستان في القرن الثاني عشر الهجري ، وكان اسمه يدوّي كعَلَم من الأعلام في جميع أنحاء كردستان ، وفي العراق ، وايران ، وسوريا ، وبلاد نجد ، والامارات العربية الواقعة على الخليج الفارسي ، وذاع صيته بين العلماء والأدباء ، وكان كعبة طلاب العلم ومقصد روّاد الأدب ، يستمدون منه الفيض والنور ، فيفيض عليهم من أنوار علومه وآدابه .

عاش البيتوشي ثمانين سنة في خدمة العلم والدين والأدب إلى أن لاقى ربه ، فما عاقه عن ذلك عدم استقرار حاله ، وتبلبل أحواله ، وكان من أعلام العلم والزهد والأدب ، بحيث إن بحثتَ عن زهده وعفافه فهو كعمرو بن عبيد ، وإن ذكرت مكانته في العلوم الاسلامية ومدى تضلعه من الأدب العربي منظومه ومنثوره فحدّث عن البحر ولا حرج .

مات البيتوشي بعد أن أدى رسالته في الحياة على أحسن وجه كعالم عامل ، وزاهد ورع ، وأديب بارع ، ومرشدٍ لامع . فكان اسوة حسنة ، ومثالاً في الدين والعلم ، وخلّف وراءه تراثاً علمياً وأدبياً قيّماً للأجيال القادمة ، فيجب على ذوي الهمم من رجال العلم والأدب أن يعملوا لتخليد ذكراه ، وارضائه في مثواه ، بالبحث عن بقية آثاره ، وطبع ما هو في متناول اليد ، ونشره وتدريسه ، وخاصـــة كتابه : (الحفاية ، بتوضيح الكفاية) ، فانه - والحق يقال - لائق لأن يدرس بالجامعات في فرع التخصص ، وذلك خدمة للعلم والأدب والتاريخ ،

وصوناً لهذا التراث القيم من أن تعبث به أيدي الفناء والضياع ، وتقضي عليه غوائل الاهمال والنسيان .

هذا غاية ما وصل اليه علمي من أخبار البيتوشي وأشعاره وآثاره ، وكل ما عثرت عليه بعد التحري والبحث ، ولكنه قليل من كثير ، وما ذلك إلّا لاهمال علمائنا وكتّابنا نحن معاشر الشرقيين .

انني بتأليف هذا الكتاب عن حياة البيتوشي حاولت حسب استطاعتي ، وبقدر بضاعتي ، أن اؤدي بعض حق هذا الرجل الفذ ، والشعلة الوهاجة تكريماً لعلمه ، واعترافاً بفضله وتخليداً لذكراه ، فرحم الله البيتوشي بقدر ما أدى الى الاسلام وأهله ، وإلى العربية وآدابها ، من خدمات نافعة وترك من آثار باقية .

فهرس محتويات الكتاب

فهرس الاعلام

فهرس الكتب

فهرس الاماكن

جدول الخطأ والصواب

الصحيفة	السطر	الخطأ	الصواب
ب	١٦	عن منظومته	من منظومه
ج	٢	وقف	دنف
٧	٣	الكفاية	الكافي
١٠	٦	الشيخ حمد	الشيخ محمد
١٠	٨	الآرية	الآرية ، دينهم الاسلام عموماً
١٠	١٠	قيل	قليل
١٢	١٤	طيب طوائها المدود والمقصور	لطيف هوائها المدود والمقصور
١٣	٥	الحُسامُ	الحُسامِ
١٣	١٧	يصعب	أي يصعب
١٣	١٨	السباط	البسط
١٩	٥	الاسلامية حيث	الاسلامية وقد كان من حسن حظه أن جاء في عصر بقيت فيه بقية باقية من علماء العصر الزاهر في كردستان، حيث .
٢٠	١٠	الاسلامية ، مستواها العلمي معادل	الاسلامية ومستواها العلمي معادلاً
٢٠	١٢	مرتبط	مرتبطاً
٢١	٩	فيه تحلّق	فيه لتحلّق
٢٣	١	وتحققه	وتخصصه
٣٣	١٣	له بنات	له بنات عدة
٣٣	١٨	من غصن	في غصن

الصحيفة	السطر	الخطأ	الصواب
٣٥	١٤	ترك هنا بيت كامل وهو :	ويبكي عليه النظم إن قيل هل فتى؟ لغرّ القوافي المرضيات يُحضّرُ
٣٦	١٨	أشمتُ أعداءً	وأشمتَ أعداءً
٤٢	١٨	وحثثت	وحشحشتُ
٤٦	٦	منها من ألوان الشعر العربي الجيدة ولا تختلف	منها في ألوان الشعر العربي جديدة تختلف
٥٥	١٣	سانح	رائع
٨٨	٦	ياراوناشد	ياراوباشد
٩١	٩	ازشك	ازأشك
١٠٠	١٦	يبيان	في بيان
١٠٠	١٧	ثم يقول بعقب ذلك	بعد قوله :
١٠٠	١٩	ويأتي	يأتي
١١٢	٢	وينتج	ونضج
١١٤	٨	من انتشاره في المدارس الدينية جميعها، واتفاق	وبقي له أن ينتشر في المدارس جميعها ، ويتفق .
١١٧	٨	آخذ	أخذ
١١٩	١٧	الكفايات	الكنايات
١٣٤	١٣	ذ كرها	ذكرها
١٣٦	٢٠	عبد الله	عبيد الله
١٤٢	٨	ومن تُقصيرُ	وتُقصيرُ
١٥٢	١٦	ذات الأيك : الأيك الشجر	ذات الأيك : أي بجانبه ، والأيك الشجر

الصحيفة	السطر	الخطأ	الصواب
١٥٧	٤	المَجْرُ	المَجْرَ
١٥٨	٥	نَوْرَ	نَوْرُ
١٦٤	١٠	لنجوم	نجوم
١٦٨	١٦	لما : أي المحبوبة قطعنا على ظهر الحروف	لما : أي على ظهر الحروف
١٧٣	١٨	أي شرب	أي إشرب
١٧٥	١٢	تذكُرَ	تذكُرُ
١٨٥	١٣	الضحاح	الضحضاح
١٩١	١	اذكُرَ	أذكُرُ
٢٠٦	٥	وذو	وذا
٢٢١	٢	كفّهُ	كفّهُ
٢٣٢	١٤	مُتَّقداً	متقلّداً
٢٣٠	٩	تَغَنّى	تُغنّي
٢٣٥	١٨	حثّثتُ	حثحثتُ
٢٣٨	١١	محمد بن	محمد بن محمد
٢٣٥	١٢	في	من
٢٤٠	١٠	في الجوع	من الجوع
٢٤٢	١٤	بمنى	بمعنى
٢٤٣	٣	يُظهِرُ	يُظهِر
٢٤٣	١٣	الأشكال	الإشكال
٢٤٥	١٩	ويتعبون	ويفوقون على أقرانهم في الاحتجاج

الصحيفة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٤٦	٧	وقد	ومذ
٢٤٨	٤	أراه أنّى	أرى وأنّى
٢٤٨	٧	إذ حلّيا كا	إذ حكيا كا
٢٥٧	١	عبيد الله بگك	عبد الله بگك
٢٥٧	٢	تَنْكِبُ	تَنْكُبُ
٢٦٧	٢	فوائد	فرائد
٢٧١	٢	ومحاكاته	ومحاكَاته
٢٧١	١١	والنظمَ	والنظمُ